International Historians Association
For Culture, Development and Social Sciences
الاتحاد الدولي للمؤرخين
للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية

مجلة محكمة تصدر عن الاتحاد الدولي للمؤرخين للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية

العدد الثالث شباط 2020

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
International Journal of historical and social studies

ISSN:2707-8183

فهرست

الموضوع	الصفحة
المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية مجلة علميه عالميه محكمه ربع سنوية	٦
الحياة الاقتصادية في اربيل في كتابات الرحالة الاجانب في العهد العثماني الأستاذة الدكتورة ناهدة حسين علي الجامعة المستنصرية	١٢
تقديم كتاب "الكتابة التاريخية" ترجمة محمد حبيدة الدكتور عادل النفاتي. باحث من تونس.	٢٦
مخطوطة رقم ٤٧٣٧ بمكتبة جامعة الملك سعود، وعلاقتها بالأجزاء الثّلاثة الأولى الضّائعة من بدائع الزُّهور في وقائع الدُّهور لابن اياس الدكتور أحمد يحيى العامر	٢٩
التطور السياسي في تشاد منذ عهد الممالك الإسلامية وحتى ظهور الدولة التشادية إعداد الدكتور إبراهيم برمة احمد	٤٤
كيف زُرِعَ الفكر التكفيري في ثمانيات القرن العشرين بتونس (شهادة للتاريخ)؟ د. عادل بن يوسف	٧٠
رموز عالمية مقدسة قديمة	٨١
محمد النافع: زمن المنفى خميس عرفاوي	٩٤
المطالبات البولندية بالمعونات الاقتصادية وموقف الولايات المتحدة منها عام ١٩٤٥ د ميادة قيس النصيري	١٢٠
عرض مؤتمرات الاتحاد الدولي للمؤرخين المؤتمر الدولي تحت عنوان قراءات في المدارس الفكرية التاريخية العالمية دراسات فكرية وتحليلية مقارنة الاستاذ المساعد الدكتورة وفاء نعيم	١٦٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الافتتاحية

بقلم الدكتور عثمان برهومي

نائب رئيس التحرير

يسر هيئة تحرير المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية، أن تضع بين ايدي المؤرخين والباحثين العدد الثالث من المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية. ويأتي هذا العدد ليدعم المجهودات التي يبذلها الاتحاد الدولي للمؤرخين للبحث العلمي والى الباحثين. وهو يوفر من خلال المجلة فرصة لنشر العلوم والمعرفة والثقافة والفكر الذي يرتقي بالشعوب ويتقدم بها.

وقد جاء هذا العدد حافلا بمجموعة من المقالات المتميزة والتي أثارت اشكاليات حديثة في الكتابة التاريخية. ولعل التأكيد بأن الموضوعية والانفتاح على مناهج البحث العلمي المختلفة أمر مطلوب.

فقد رأينا من الضروري أن نخصص هذه الافتتاحية لتثمين دور الباحث في مجال التاريخ والتأكيد على دقة وخطورة ما يقوم به المؤرخ في الزمن الراهن، زمن الأحداث المدوية التي يعيش عليها العالم العربي والعالم بصفة عامة في بداية القرن الواحد والعشرين، وهذا يحيلنا طبعا الى الاعتناء أكثر من أي وقت مضى، بالكتابة التاريخية ومزيد تعميق البحث وتجويد الاشكاليات. وهذا لا يحصل إلا إذا كان الباحث مطلعا على المناهج الجديدة، ومواكبا للتطورات الحديثة. خصوصا وأن أصواتا تتعالى وتطالب " بإعادة كتابة التأريخ " وقد أصبحت هذه العبارة علامة مميزة لعصر الايديولوجيات الكبيرة. كل ايديولوجيا ترغب في تطويع التأريخ خدمة لمصالحها، تنفيذا لرغبتها في السيطرة والهيمنة، الشيء الذي يجعل من التاريخ فاقد للموضوعية والدقة العلمية وبالتالي يغيب دوره المفسر والضامن لقدرة الانسان على الفعل والتفاعل مع الظواهر إجتماعية كانت أو طبيعية.

ونحن نسعى من خلال مجهوداتنا في الاتحاد الدولي للمؤرخين، الى ارساء منهج عقلي يأخذ بعين الاعتبار الروابط الجامعة بين العلوم والإنسانيات والعلوم والاجتماعية وربط كل ما يكتب وينتج في صيغة إطار بنيوي جامع، وهذا الأمر يمكن أن يكون كفيلا بأن يضع التأريخ في مكانة المراقب لنشأة العلوم في سياق تاريخي بالغ الدقة، كما أنه يمتلك القدرة على توضيح الكيفية التي يمكن بها تطبيق الأفكار العلمية على الكثير من الجوانب المعاصرة في حياتنا. هذا ويمتلك التأريخ القدرة على تفسير اللأحداث وأسبابها وعلة وجودها.

كما أننا نعتبر التعويل على العقل والعلم حاسمة في تشكيل صورة المستقبل الذي نتوجه إليه وترتسم معالمه أمامنا في الوقت الحاضر، وتمثل القراءة الواعية والموضوعية للأحداث بديلا أفضل لحيازة قدر أكبر من المعرفة لرسم نظرة أكثر تفاؤلا للإنطلاق في القرن الحادي والعشرين، نظرة تكفي لتفّهم مكانة الانسان في هذا الكون من جهة، وإدراك طبيعة العلاقات بين البشر والموجودات في هذا الكون بعيدا عن كل الايديولوجيات المضلّلة و التي تعمل على إذكاء نار الفتن والحروب التي لا يمكن أن تقدم بالانسان ولا ترتقي بالمعرفة والفكر والثقافة.

المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية
السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية البحوث العلمية المكتوبة وفقا للمعايير العلمية في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخ كعلم يتناول النشاطات الانسانية كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة، وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه سليمه واسلوب واضح.

سياسات النشر

تسعى المجلة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية والاجتماعية الى استيعاب رو افد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي هيئة التحرير الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية الواردة للمجلة، ووفقا لاعتبارات علمية و فنية تراها هيئه التحرير.

وتقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من تو افر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة تو افق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين، اذ تجري عملية التحكيم السري للابحاث المقدمة وفقا لاستمارة خاصة بذلك.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها، فضلا عن سلامه المنهج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصوروووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى

اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد اللازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقا مع عنوانه.

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات و اقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه ولا يقل عن 12 صفحة حجم A4 ،مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع .

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة

العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صورشخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع .

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.

خاتمة البحث

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث .

الهوامش

يجب ادراج الهوامش بطريقة الكترونية في اسفل كل صفحة في شكل ارقام متسلسله لكل صفحة، ووفقا لدليل شيكاغو.

حجم ونوع الحروف

تعتمد المجلة الدولية للدراسات التاريخية حرف Sakkal Majalla حجم 20 غامض للعنوان الرئيسي وحجم 18غامض

للعنوان الفرعي وحجم 16 غامض للمتن وحجم 14 عادي للهوامش.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.
- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.
- يعرض الكتاب ملخصا و افيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور و ابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن 8 صفحات.

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.
- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادواته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد صفحات عرض الاطروحة او الرسالة عن 8 صفحات.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية والاجتماعية والانسانية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.

- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه وورد, ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم العلمية وفقا أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث منشور نسخة الكترونية متكاملة للعدد الصادر.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها ويعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر المجلة الدولية للدراسات التاريخية بشكل دوري فصلي، ومن الممكن ان تصدر شهريا وفقا للابحاث المقدمة والملفات العلمية.
- المجلة متاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المو اقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

رسوم النشر: 100 دولار

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@gmail.com

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير

الدكتور عثمان برهومي تاريخ تونس

سكرتيرة التحرير

الدكتورة وفاء سمير نعيم اجتماع مصر

هيئة التحرير

الاستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي تاريخ العراق

الاستاذ الدكتورة جنان عبدالجليل هموندي تاريخ العراق

الهيئة العلمية

- **الاستاذ الدكتور صباح رميض تاريخ جامعة بغداد**
- **الاستاذ الدكتور علاء الرهيمي تاريخ جامعة الكوفة**
- **الدكتور الدكتور لحسن أوري تاريخ المغرب**
- **الاستاذ الدكتور ميلاد مفتاح الحراثي علوم سياسية ليبيا**
- **الاستاذ الدكتور حاجي دوران اجتماع تركيا**
- **الدكتور سليم الهناني تاريخ سلطنة عمان**
- **الاستاذ المحاضر الدكتور نورالدين ثنيو تاريخ الجزائر**
- **الدكتور عبد المومن بن صغير قانون الجزائر**

الحياة الاقتصادية في اربيل في كتابات الرحالة الاجانب في العهد العثماني

الأستاذة الدكتورة ناهدة حسين علي
الجامعة المستنصرية

تعد كتابات الرحالة الأجانب من المصادر المهمة لدراسة تاريخ العراق أبان العهد العثماني، لان أهميتها تكمن لا في عددها الضخم، وإنما في مادتها الغزيرة ومنهجيتها التي درست جوانب مختلفة وممتعة من تاريخ العراق الحديث. فقد ذكر لونكريك ستا وتسعين رحلة اغلبها أوربية، قدرها بعض الباحثين العراقيين بما يقرب من الثلاثمائة رحلة. وعلى الرغم من أن هذا العدد الضخم ما زالت معرفتنا قليلة بتلك الرحلات، وان ظهرت بعض الدراسات التي اعتمدت عليها أو ترجمت قسمًا منها إلي العربية. أن غايات وأهداف الرحالة الأوربيين كانت متباينة ومتعددة، وهي تعكس الاهتمام الأوربي بالعراق منذ مطلع القرن السادس عشر، عندما بدأ الصراع والتنافس الأوربي للسيطرة والتوسع في العالم الإسلامي، هذا التوسع الذي بدأه الهولنديون والبرتغاليون ومن ثم الإنكليز والفرنسيون بوصفها قوى بحرية استطاعت الوصول إلى مناطق مختلفة من الدولة العثمانية ومنها العراق، وقد وفر الرحالة معلومات تفصيلية ودقيقة ومهمة لحكوماتهم، كان لها تاثير في توجيه وبلورة سياسة تلك الدول نحو المنطقة.[١]

أربيل من أقدم المدن التي ما زالت مستوطنة ومحتفظة بأسمها القديم، من إهتمام المؤرخين والباحثين والبلدانيين والرحالة اكثر من أية مدنية كردية أخرى، ويعد العهد العثماني، الذي استمر لأربعة قرون، من بين الحقب التي لم تنل الاهتمام الكافي.

تحولت الى قبلة الانظار، وشد اليها العلماء الرحال من أقاصي العالم الاسلامي، وكان من بين زاروها خلال عصرها الذهبي ياقوت الحموي وإبن الجوزي وغيرهما كثيرون، نقول تحولت في العهد العثماني

[١] هشام سوادي هاشم ، أربيل في كتابات الرحالة الأجانب في العهد العثماني، مجلة التربية والعلم، المجلد ١٥ العدد ٣ لسنة ٢٠٠٨، ٩١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الى قضاء مهمل لم تهتم السلطات العثمانية الا بجمع الضرائب والاتاوات من سكانها، والاستيلاء على أراضيها الخصبة لضمها الى الاملاك الهمايونية (املاك السلطان العثماني). وتعد كتابات الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة في القرنين الأخيرين من العهد العثماني وسجلوا مشاهداتهم وإنطباعاتهم عنها ونشروها فيما بعد مصادر لايستغنى عنها لدراسة اوضاع المنطقة في ذلك العهد، مع الاخذ بنظر الاعتبار مسألة في غاية الاهمية الا وهي، أن ملاحظات هؤلاء تعبر غالبا عن ذهنية أوربية، جرى وفقها تقويم الاحداث والوقائع والظواهر، لذلك جاءت هذه التقويمات وفي أغلب الاحوال بعيدة عن الواقع الى حد كبير.[1]

شهدت الساحة الجغرافية للعراق حركة واسعة للرحالة الاجانب ، وشكلت المادة التي قدموها ركنا اساسيا ومصدرا مهما من مصادر دراسة تاريخ العراق ،والوصف ينطبق على منطقة كردستان العراق ، وبالتحديد اربيل التي شهدت حركة واسعة وزيارات متواصلة للرحالة الاجانب وقدموا اوصافا وشرحا لأوضاعها السياسية والعمرانية والاجتماعية ، ولعل الحياة الاقتصادية كانت من بين الجوانب المهمة التي تناولها الرحالة .

ولعل ابرز واهم الرحالة الذين زاروا اربيل وكتبوا عن حياتها هم نيبور وادموندز ونيومان، فقد غطت وتناولت كتاباتهم انواع واشكال الحركة الاقتصادية في اربيل في الزراعة والصناعة والانتاج الحرفي، فضلا عن تأثير الكوارث الطبيعية من اوبئة وفيضانات ومجاعات على الاقتصاد فيها ، وقد وصفت زراعتها بانها مزدهرة والانتاج الزراعي فيها يزيد بشكل واضح على بقية المدن ، وارتبطت تربية الماشية كمظهر من مظاهر الحياة الاقتصادية بالزراعه ، فقد حظيت تربية المواشي بمساحة من الاهتمام في كتابات الرحالة .

والسالنامة مصطلح عثماني مركب من كلمتين ايرانيتين، الاولى (سال) تعني سنة و الثانية (نامة) وتعني كتاب، كتيب أو رسالة. وهي بذلك تعني الكتاب السنوي. أطلقت كلمة السالنامة في الدولة العثمانية على المطبوعات السنوية الرسمية التي كانت تصدرها الدولة في العاصمة إسطنبول والولايات العثمانية. وكانت السالنامة تحوي بين دفتيها معلومات عن التقويم

[1] جبار قادر ، أربيل في السالنامات العثمانية. القي هذا البحث في ندوة (أربيل بين الماضي والحاضر وآفاقها المستقبلية) التي أقامتها جامعة صلاح الدين في ١٦-١٧ مايس ١٩٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السنوي، الاحوال والوقائع، مع أسماء أركان الدولة وكبار موظفيها والالقاب الرسمية المتداولة في الاوساط الرسمية. وكانت الوزارات والمؤسسات العثمانية تصدر سالناماتها الخاصة بها، كسالنامات وزارات الخارجية، المعارف، الحربية وغيرها.[1] توازي السالنامات الكتب السنوية التي تصدرها المؤسسات والدوائر والشركات في مختلف دول العالم في عصرنا الحالي. تشكل السالنامات العثمانية مصدرا تاريخيا مهما، وتعد منبعاً للكثير من المعلومات و البيانات و المعطيات الإحصائية المهمة عن الولايات العثمانية، اذ نجد فيها الى جانب الامور السياسية، أرقاماً عن سكان الولايات، وما فيها من حوانيت ومساجد، ومعلومات عن المهن والحرف التي كان يعمل بها السكان، الأمر الذي يجعلها مصدراً تاريخيا لا يمكن الاستغناء عنه.

والسالنامات في الدولة العثمانية نوعان: الأول، سالنامات الدولة العلية الرسمية (سالنامت دولت عليه عثمانية)، وكان هذا النوع يصدر سنويا عن الدولة و يغطي امور الدولة كلها. وقد صدر العدد الاول من هذا النوع من السالنامات في عهد الصدر الاعظم مصطفى رشيد باشا و بمبادرة منه في عام ١٨٤٧. واصلت الدولة اصدار هذا النوع من السالنامات حتى انهيارها في نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨، ووصل مجموع اعداداها الى ٦٨ مجلدا، حيث أصدرت أمانة المشيخة العليا في الدولة العثمانية عدداً واحداً منها فقط في تلك السنة، ليكون بذلك آخر إصدارات الدولة العثمانية من السالنامات، التي استمرت تصدر بمختلف أنواعها لمدة سبعين عاما.[2]

أما السالنامات التي أصدرتها وزارات الدولة، فإنها كانت تحمل اسم الوزارة المعنية، على سبيل المثال: « نظارت معارف سالنامه سي» تعني الكتاب السنوي لوزارة المعارف، و «نظارت امور جارجية سالنامة سي» الكتاب السنوي لوزارة الخارجية. وفي حالة صدروها في الولايات التابعة للدولة، فانها كانت تحمل اسم

[1] شمس الدين سامي، قاموس تركي، درسعادت (استنبول)، ١٣١٧، ٧٠١. أنظر كذلك: مادة (سالنامة) في دائرة المعارف الاسلامية، المجلد ١١، ٧٢. نقلا عن جبار قادر ، أربيل في السالنامات العثمانية. القي هذا البحث في ندوة (أربيل بين الماضي والحاضر وآفاقها المستقبلية) التي أقامتها جامعة صلاح الدين في ١٦-١٧ مايس ١٩٩٠.

[2] جبار قادر ، المصدر السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الولاية، فتكون «موصل سالنامه سي» و «بغداد سالنامه سي»، وتعني الكتاب السنوي الصادر من الولاية وعنها، والمتضمن أحداثها في السنة الواحدة، اذ يحتوي على أسماء أركان الدولة والجيش فيها ورتبهم العسكرية، وأسماء الموظفين في مختلف الدوائر الحكومية والإدارية والتعليمية والعسكرية، وإحصاءات عن واردات الولاية ومصروفاتها، وما يتبعها من الأقضية والنواحي والمدن والقرى.

الأهمية الاستراتيجية لاربيل

كانت اربيل وإطرافها مقصدا لرحلات العديد من الرحالة الأجانب إبان العهد العثماني لوقوعها على طرق المواصلات، اذ تتمتع المدينة بموقعا جغرافيا مهما في القسم الشمالي من العراق مما جعلها محطة رئيسة على طرق الموصلات، ففيها تمر اقصر الطرق التي تربط المدن مع بعضها البعض. وارتبطت مع مدن العراق بعدد من الطرق البرية الرئيسة المهمة، والتي كانت تتفرع منها طرق فرعية اقل أهمية. واهم هذه الطرق هو طريق بغداد الموصل والذي يعرف بطريق شرق دجلة، ويبدأ هذا الطريق من الموصل ويمر بمواقع عدة هي،(برطلة –قرقوش– قرية شيخ أمير – قرية اميدان – بازكرتان – باس سخر – (والقريتان الأخيرتان تقعان عند سفح جبل عين صفرة، الخازر (الكلك)) عبور نهر الزاب– عين كاوه – اربيل – قوش تبة – التون كوبري – كركوك.(ثم يستمر وصولا إلى بغداد.وهذا الطريق مهم اذ انه يربط الطرق باوربا، وتزداد الأهمية الاستراتيجية لاربيل بانها ترتبط بطرق مواصلات مهمة مع المدن الإيرانية.

لذلك نحاول في هذه الورقة ان نتناول الحياة الاقتصادية في اربيل من خلال ما قدمه الرحالة من اوصاف ومعاينة وشرح اعطت تصورا واضحا وقراءة تاريخية ووصف تاريخي للحياة الاقتصادية فيها ، والتي اصبحت مصدرا مهما من مصادر تاريخ اربيل .

ان دراسة الحياة الاقتصادية في اربيل يعني دراسة اشكال النشاطات الاقتصادية من زراعة وصناعة وانتاج حرفي وتجارة ، وحظيت الحياة الاقتصادية باهتمام الرحالة الاجانب التي تشكل كتاباتهم مصدرا مهما من مصادر التاريخ ، فتصف كتبهم الزراعة بانها كانت مزدهرة وبالأخص زراعة القمح التي يصفها نيبور بانها تزيد بعشرة امثال عما تغله اراضي منطقة اخرى ، وقد تصل في سنوات الخير الى خمسة عشر مرة ،بل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ان الوصف لا ينحصر في الوفرة، بل في النوعية ايضا بالقول ان القمح الذي تعتمد زراعته على الامطار يكون الذ طعما ، ويعلل هذه الانتاجية العالية في القمح بانها تعود الى الخصوبة العالية التي تمتاز بها اراضي اربيل التي يصفها بانها رائعة. [١]

ذكر الرحالة الانكليزي جاكسون عندما دخل مدينة اربيل كانت لها اهمية كبرى ، وذلك لوجود بقايا قلعة حصينة قديمة تقع على قمة تل مستحدث وتوجد فيها عدة حفر للنفط . وحينما وصل الى منطقة الزاب وجد ارض خصبة تنتج كميات كبيرة من القمح الي يستخدم عدد كبير من الناس حصاده ويصدر منه الى المدن المجاورة .[٢]

اما منطقة الزاب امتازت بزراعة التبغ الذي ينقل الى تركيا ، كذلك ينمو فيها وفي مرتفعاتها اشجار البلوط والعفص ، كما ان التبغ له تجارة رائجة متسعة حيث يجلب النقود الذهبية والفضة.[٣]

كذلك يكثر المن على اشجار البلوط ، ويجنى المن بجمع اوراق الشجر وتجفيفها ونفضها نفضا رقيقا ليتساقط منها على مفرش ، وهكذا يصدر الى الاسواق بكتل ممزوجة بالسكر ويوجد نوع آخر من المن يعثر عليه فوق الصخور وهي اتقى واتظف حيث يمتاز بالبياض الناصع ويكون اكثر مرغوب من المن الذي يسقط على اوراق الاشجار ، ويبدأ موسم المن في اواخر حزيران ويقلون اهالي القرى التي يوجد لديهم المن اذا بردت الليالي في موسمه اكثر ن المعتاد نزل المن من السماء بشكل كثيف ويزعمون العثور عادة على اكبر مقدار منه في صباح كل ليلة من تلك الليالي ، كذلك تكثر اشجار التربنتينا في الجبال ، اما التربنتين فيجمع المن منها بجرح الشجرة في الربيع ، ووضع اكواز تحت شقوق الجروح ينسكب سائلها ، وهو من النوع الجيد جدا ويسمى عندهم ابو الحناء اي عصفور احمر الصدر. [٤]

وعموما فان ارض كردستان كثيرة الخصوبة وكثيرة الخيرات والاثمار وهي غنية باشجار البلوط والعفص ، وينبت فيها الرز والتبغ والعنب والتين والكراب ، ومن حاصلاتها القز وهو حرير خشن والماستيك

---

[١] هشام سوادي هاشم ، المصدر السابق، ٩٧ .

[٢] الرحالة الانكليزي جاكسون ، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧ م ، طبعة اولى ، ترجمة خالد فاروق عمر ، (الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٠)، ١١٤-١٢٠ .

[٣] كلوديوس جيمس ريج ، رحلة ريج المقيم البريطاني ١٨٢٠ ، الى بغداد – كردستان – ايران ، ترجمة اللواء بهاء الدين نوري ، ط١ ، (بيروت ، ٢٨٠٠)، ١٤٣.

[٤] المصدر نفسه ، ١٤٣-١٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

او المستكي او العلك. [١] وفي وصف زراعة القمح يقول "أنها تزيد بعشرة أمثال عما تغله أراضي منطقة أخرى ولاتزيد في سنوات الخير عن الخمسة عشر مثلا". ويذكر الرحالة نفسه ان القمح الذي تعتمد زراعته على الأمطار يكون ألذ طعما. ويبدو ان الأمر يعود الى الخصوبة العالية التي تمتاز بها أراضي المدينة التي وصفها احد الرحالة بأنها "رائعة". [٢]

وارتبط بمسالة الزراعة مسالة تربية المواشي حيث يورد نيومان في رحلته ان كثيرا ما كان يشاهد قطعان الماشية في المدينة. والحقيقة ان احد الرحالة أورد صورة طريفة لأهل اربيل بتربيتهم للماشية لاسيما الميسورين منهم، بأنهم كانوا يغادرون المدينة مع قطعان مواشيهم الى المناطق الجبلية لأجل رعيها في فصل الصيف ويصف ذلك قائلا" وقد قيل لي ان أكثرية أثرياء القلعة قد سافروا مع قطعان أغنامهم ومواشيهم الى المناطق الجبلية لأجل رعي الحيوانات وأنهم سوف يعودون في موسم الخريف إلى البلدة". [٣]

ورود وصف لاربيل في رحلة جان باتيست جاك لوي روسو في كتابه وصف باشوية بغداد بان اربيل مدينة تقع فوق رابية تشرف على مساحة واسعة من الارض ومنتجاتها مشابهة لمنتجات كركوك ، وفيها عدد من مصانع النسيج الصوفي والقطني ، ويروي اراضيها نهر عريض نسبيا. [٤] وفي حين يصفها الرحالة سيستيني في رحلته عام ١٧٨١ في وصفه للأراضي بين الزابين بانه توجد بساتين تسقيها مياه الزاب عن طريق جدول ويقول ينسجون هناك اقمشة قطنية. [٥]

ويشير ريج في رحلته الى العراق عام ١٨٢٠ بانه تكثر في سهل اربيل الارانب والغزلان مع اسراب لا حصر لها من القطا وتصاد الصقور البالابانية في هذا السهل ، وعند جولته في الجانب الايسر من المدينة شاهد ان الارض مزروعة بكاملها زرعا جيدا ، وكان القريون منهمكين بالحرث، [٦]

---

[١] رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن، ترجمة محمود حسين الامين، مراجعة سالم الالوسي ، (بغداد ١٩٦٥)، ٧٤ .

[٢] . نيبور، المصدر السابق، ٩١-٩٩.

[3] Newman. Op. cit. P223.

نقلا عن هشام سوادي هاشم المصدر السابق ،٩٧.

[٤] جان بابتيست جاك لوي روسو ، وصف باشوية بغداد سنة ١٨٠٩ ، ترجمة خالد عبداللطيف حسن ، (بغداد ٢٠١٢) ، ٦٧ .

[٥] سيستياني الرحالة الايطالي، رحلة من اسطنبول الى البصرة ، ١٧٨١م ، ترجمة بطرس حداد ، ط١ بيروت، ٢٠١٥ ، ص١١٠ .

[٦] كلوديوس جيمس ريج، المصدر السابق ، ٣٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذلك تكثر الاسماك في الجداول الجبلية وخاصة سمك اللوت ويسمى السماني او السلوى. [١]

ولموضوع ذات صله بالزراعة بشكل مباشر وكذلك بالثروة الحيوانية، وينعكس على الحياة الاقتصادية وزيادة الانتاج ، لابد من الاشارة الى موضوع الضرائب ، فقد ارتكزت الحياة الاقتصادية على العلاقة المباشرة بين الاقطاعي والمزارع ، وكان الاقطاعي يتمتع بسلطة مطلقة ، اذ انه يحدد مقدار الضريبة وشكلها وطرق جبايتها ، ومن الضرائب التي كان يدفعها المزارع هي ضريبة العشر عن الانتاج الزراعي ، فضلا عن الضرائب التي تفرض على قطيع الحيوانات ، ويعتمد جبي الضرائب على قوة او ضعف الدولة العثمانية، فعندما تكون السلطة العثمانية قوية فانها تقوم بجبي الضرائب مباشرة ، وتحاول ان تضعف من سلطة الاقطاعي ، فضلا عن ان موضوع الضرائب كان احد عناصر واهداف الثورات التي تقوم ضد الدولة العثمانية. [٢]

وتأثرت الاوضاع الاقتصادية في كردستان بالأوضاع والصراعات الدولية ، لذلك فان الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٧-١٨٧٨ والتي كانت ساحتها مناطق واسعه من كردستان ، ونتيجة لثقل الاعباء العسكرية للدولة العثمانية فانه الجات الى فرض الضرائب المادية والعينية ، والزمت الاكراد بتمويل القوات العثمانية ، وبالتالي فان ازدياد الضرائب اضاف اعباء كبيرة على معيشة الفلاح ، فقد اضافت له عبئا اضافيا زيادة على عبئ وتعسف الاقطاعي المحلي ، زيادة على فرض ضرائب على الاغنام ، كل ذلك دفع المواطن الكردي الى الهجرة الى المدن بحثا عن العمل. [٣]

وتأثرت الحياة الاقتصادية في اربيل بانعكاسات وتطورات الاقتصاد العالمي، فقد اسهم افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ الى ازدهار الاسواق والاقتصاد، وتأثرت اربيل بهذا التطور وهذا التوسع الاقتصادي لأسواقها. [٤]

الضرائب

ويجمع المؤرخون على ان الضرائب هي العقبة الرئيسية امام نمو وتطور الزراعة ، وان ثقل وقسوة هذا النظام واضحه انه

[١] المصدر نفسه ، ١٤٣-١٤٤ .

[٢] عبدالرؤوف سنو ، النزعات الكيانية الاسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧-١٨٨١ ، بيسان ، ١١٤ .

[٣] المصدر نفسه ، ١١٦ .

[٤] هشام سوادي هاشم ، المصدر السابق، ٩٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عندما تعجز او تهلك اسرة فلاحية عن سداد ما بذمتها يفرض على الاسر الفلاحية المجاورة ان تدفع ضرائبها ، وكانت الدولة العثمانية تجبي الضرائب من خلال منحها لعد من الملتزمين وهم عادة رؤساء العشائر والاقطاعيين ، اذ يصبح الملتزم هو ممثل السلطان العثماني في المنطقة التي يلتزمها، وكان جبي الضرائب نتيجة ثقلها وقسوتها على الفلاحين تعد من المهمات الصعبة والتي تتطلب في معظم الحلات حملة عسكرية لمواجهة مقاومة وتذمر الفلاحين ، فالكرد كانوا متذمرين من ثقل الضرائب من جهة ومن تصرف الملتزمين واعمال الاستغلال التي يمارسونها والمعاملة الخشنة التي كانوا يعاملون فيها السكان ، اذ ان السكان يعتقدون انه لولا الضرائب الثقيلة لعاشوا بنعيم ، اذ ان الكرد يتذمرون من دفع الضريبة المنصوص عليها في القوانين ، الا انهم يتذمرون من سؤ السلوك وظلم الجباة ، الذين يقومون بالسلب والنهب. [1]

وبقيت أربيل لأكثر من أربعة قرون تحت السيطرة العثمانية، عانت خلالها الأمرين من جبأة الضرائب والجندرمة وعمقتها حملات الايرانيين وبخاصة حملة نادر شاه عام ١٧٤٣على كركوك وأربيل ومن ثم حصاره للموصل.[2] وقد تراجعت مكانة أربيل نتيجة لكل ذلك وأصبحت قضاء تابعاً لسنجق شهرزور بولاية الموصل. وازداد ضغط السلطة المركزية العثمانية على مناطق كوردستان المختلفة بعد اشداد النزعة المركزية في الدولة العثمانية والقضاء على الامارات والدويلات والعوائل الحاكمة الكردية في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً.

عرف عن العثمانيين جشعهم ونهبهم لثروات البلدان المحتلة، دون أن يقدموا ما يتناسب مع ما ينهبونه. فلم تكن السلطات العثمانية تخصص شيئاً من الاموال الكثيرة التي تجبيها من السكان للصرف على شؤون التعليم والصحة والخدمات العامة كانت تفتقر اليها الولايات العثمانية ومن بينها ولايات العراق الثلاث. نورد فيما يلي بعض الامثلة المعبرة التي تضمنتها السالنامات العثمانية نفسها. فقد كانت

[1] كاميران عبد الصمد الدوسكي ، كردستان في العهد العثماني في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الدار العربية للموسوعات ، ٤٦ .

[2] عن حملات نادر شاه التوسعية أنظر: روبرت دبليو أولسن، حصار الموصل والعلاقات العثمانية-الفارسية (١٧١٨- ١٧٤٣م) ترجمة الدكتور عبد الرحمن الجليلي، الرياض، ١٩٨٣. نقلا عن جبار قادر ، المصدر السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أطوال الطرق الجيدة في ولاية الموصل مثلاً، لا تزيد على ٤٦كم، بينما بلغت في ولاية سيواس ١٦١١كم وفي ولاية أنقرة ٩٨٣كم.[١]

وتظهر صور الأهمال بوضوح اكبر من خلال المقارنة بين ايرادات ولاية الموصل ومصر وفاتها. ففي الوقت الذي بلغت فيه ايرادات الولاية عام ١٨٨٨م اكثر من (١٧) مليون قرش، فأن الاموال التي خصصتها السلطان العثمانية للولاية لم تتجاوز نصف المبلغ المذكور.

وبلغت ايرادات سنجق شهرزور والذي كانت اربيل تتبعه غدارياً في نفس العام حوالي سبع ملايين ونصف المليون قرش. وكانت هذه الموارد تأتي من ضرائب الدخل والاعشار والغابات والطابو ورسوم المحاكم وغيرها.

وكانت ضريبتا الاعشار والاغنام تأتي في المقدمة، غذ بلغت حوالى اربعة ملايين ونصف المليون قرش. أما الاموال التي خصصتها السلطات العثمانية للصرف على شؤون السنجق فقد كانت حوالى ثلاثة ملايين قرش. صرف أكثر من نصفها على الجندرمة والبوليس والضبطية. وخصص نصف مليون قرش آخر للدوائر التابعة لوزارة الداخلية. وما تبقى من المبلغ صرف على المحاكم ورواتب الموظفين في حين لم تكن هناك أية تخصيصات لشؤون التعليم وبناء الطرق والجسور والخدمات الصحية وغيرها من الخدمات التي تفتقر اليها اللواء وأقضيته ونواحيه.[٢]

لذلك ان ثقل الضرائب والاعمال التعسفية التي رافقت عملية جبيها ادت الى جعل الفلاح غير قادر على تلبية مطالب السلطة العثمانية والاقطاعيين ، وبالنتيجة يضطر الى ترك الزراعة ويفر الى مناطق اخرى ، وبالنتيجة فان ذلك ينعكس على الانتاج الزراعي ، زيادة على ذلك فان الاوضاع السياسية والامنية ايضا تشكل عائق امام اي فرصة للنمو وزيادة الانتاج، وايضا عوامل ووسائل الانتاج التقليدية كالمحراث الخشبي وحيوانات الجر والعمل اليدوي والاساليب البدائية في الانتاج ، كانت ايضا تشكل عوائق وتحديات ، وايضا انعدام طرق المواصلات ووعورتها ساهم في اعاقة التجارة الخارجية، وايضا التجنيد

[١] سالنامة دولت عليه عثمانية، ١٣٠٥ سنة هجريه سنه مخصوص. قرق أوضنجى دفعه، ص ٣٨٢. جبار قادر المصدر السابق.

[٢] موصل ولايتي سالنامەسى، ١ دفعه، ١٣٠٨ه ص (١٠٧). نقلا عن جبار قادر ، المصدر السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاجباري واعمال السخرة وانعكاساتها على الوضع الاقتصادي.[١]

الصناعة

وكانت لدى سكان اربيل بعض الصناعات المنزلية مثل صناعة سجاد الحرير ويطرزونه بالأزهار ويظهر أحسن وامتن من السجاد الذي يصنع في اوروبا وكذلك ينسجون الالبسة النسائية والرجالية كما امتازت تقريبا معظم من كردستان بصناعة الاجبان التي يعدها اهل القرى ويضعون فيها السعتر فيعطيها رائحة طيبة كما تصدر مدن كردستان طيور السلوى (السماني) كبيرة الحجم متوفرة وبشكل اسراب في سماء كردستان، كما كانت تصدر البلوط الى الموصل والى من خارج العراق.[٢]

وكانوا يستخدمون العفص في الصناعة ويعد من المواد المستعملة عادة في الصباغة وهو يدر اموالا على البلاد وكذلك تكثر فيها زراعة العنب وكانوا يجففونه او يعصرونه لصناعة الخمر،[٣]، ويذكر الرحالة بيج ان مدينة السليمانية كانت من مدن كردستان الغنية بمزارعها الغزيرة وخاصة زراعة الشلب وانتاج العسل بغزارة ومن اجود انواع العسل ويحفظ النحل في خلايا من الطين، وكذلك تكثر فيها اشجار الصمغ ويجمع ويصدر الى خارج مدن كردستان.[٤]

نتيجة الاوضاع والظروف المحيطة بكردستان ، فان سكانها يضطرون الى الاعتماد على انفسهم لتامين حاجياتهم الاساسية من ماكل وملبس وماوئ وادوات واثاث ، وكل ما له علاقة بالاستهلاك المباشر ، لذلك انتشرت الصناعات اليدوية التي تلبي متطلبات وحاجات المجتمع ، وعلى الرغم من ان هذه الحرف كانت تمارس خارج اوقات المهام والمهن الرئيسية كالزراع هالا انها كانت جزء من الحياة الاقتصادية ، فقد انتشرت صناعة الاقمشة والسجاد والاواني الفخارية والخشبية والخيام والادوات المنزلية والزراعية في معظم مناطق كردستان ، واشتهرت مدينة موش ومدينة اليجه ومدينة وان وجنوب بحيرة وان بانتاج الاقمشة القطنية الخشنة التي كان يستخدمها السكان بكثرة.[٥]

---

[١] كاميران عبد الصمد الدوسكي ، المصدر السابق،٤٨.

[٢] كلوديوس جيمس ريج ، المصدر السابق ، ص١١٤-١٢٠ .

[٣] رحلة تافرنيه الى العراق في القرن السابع عشر ، ط١، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، (بيروت ٢٠٠٦) ، ٨٥-٨٦ .

[٤] كلوديوس جيمس ريج، المصدر السابق ، ١٤٣.

[٥] كاميران الدوسكي ، المصدر السابق ، ص/٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التجارة

والمظهر الاخر من مظاهر الحياة الاقتصادية هو التجارة وعموا فان كردستان تستورد من الموصل القماش الموصلي (الموسولين) المتميز الذي عرف بكل مكان بأسمها وكذلك يستورد الاقمشة القطنية والحرير من الهند عن طريق البصرة ، كذلك تجلب من الموصل التبغ والاعناب والزبيب والخمور وبعض انواع الفاكهة الذي لم توجد في مدن كردستان.[١]

تصدر الحرير والكثير الصفص والصمغ وشعر الماعز والصوف والعسل والشمع والقليل من القطن، وتشاهد على الجبال السنديان والصنوبر والسرو والقبقب والحران والكستناء والطم ، ويصنع من حب السمسم زيت الطعام ، كما يستخرج من حبوب الخروع زيت للوقود وفيها عدة مناجم قصدير غنية ، وفيها عدد من مناجم الزرنيخ والكبريت ومناجم فضة ورصاص وذهب ايضا ، وانهم يستثمرون ذلك ويبعثون بما يستخرجون الى القسطنطينية . ويصنعون بعض الاقمشة المراكشية كما يحوكون الاقمشة الصوفية والقطنية ويستثمرون المناجم ويصنعون بعض الادوات النحاسية.[٢] وتصدر ثمار البلوط والعفص بكميات كبيرة الى حلب ومن هناك الى اوربا. [٣]

وتصدر من الاقليم العديد من المواد الاولية زراعية وحيوانية ، وان صادرات كردستان اكثر من وارداتها ، ولعل ذلك يعود الى ضعف القوة الشرائية لسكان المنطقة ، ونتيجة توقي الانتاج الزراعي والحيواني مما يوفر جزء كبير من حاجة السكان ، او نتيجة انعدام الامن في طريق القوافل التجارية ورداءة طرق المواصلات ، وزيادة على ذلك الرسوم الجمركية على البضائع ، وعموما كانت تجارة اربي من المحطات التجارية المهمة وخاصة تجارة الحبوب ، وتخرج من اربيل طريقين تجاريين اولهما من اربيل ويمر عبر راوندوز واورميه ، ويصل الى تبريز ، والثاني من اربيل الى قلعة دز ، ثم اورميه ثم باته. [٤]

---

[١] ٢ سيستياني الرحالة الايطالي، المصدر السابق، ٣٥-٣٦ .

[٢] رحلة اوليفيه الى العراق ١٧٩٤-١٧٩٦ ، ترجمة يوسف حبي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٨، ١٢٥-١٢٦ .

[٣] رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن، المصدر السابق،٧٤ .

[٤] كاميران عبدالصمد الدوسكي ، المصدر السابق، ٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وان الموقع المتميز لأربيل ولكردستان عموما وكونه ملتقى لطرق المواصلات التجارية التي تربط بين العراق وايران ، جعل الرحالة يصفون التجارة بانها مزدهرة ،بالمدينة ووفقا الى ما يشير الية ادموندز تصدر الحنطة والشعير والاصواف والتبوغ والعفص والاخشاب والصمغ والعسل والفواكه المجففة ،في حين تحصل على حاجتها من السكر والشاي والقهوة من بغداد او الموصل ، وتحصل من المدن الايرانية على الطنافس والحرير والجلود والفراء والبغال ، وهذه المواد التي يستوردها من المدن الايرانية يعيدون تصديرها الى الموصل وبغداد.[1]

التجارة في كردستان عموما تأخذ اتجاهين الاول محلي وهو تبادل البضائع ويكون بين القرى والمدن الكردستاني ، والثاني نقدي من خلال تصدير البضائع داخل او خارج الدولة العثمانية ، وعادة ما يتولى تجار فرس واتراك واخرين غيرهم القيام بمهمة التجارة ، اذ يقوم هؤلاء بشراء البضائع والمنتوجات من التجار المحليين بأسعار رخيصة ويبيعوها بأسعار باهضه في الاسواق العالمية ، اذ التجار الكرد المحليين يوصفون بانهم قليلي التجربة في عمليات الاستيراد والتصدير ومحدودية علاقاتهم وصلاتهم الخارجية ، بالإضافة الى انهم لا يمتلكون رؤوس الاموال كبيرة تجعل منهم قادرين على القيام بهذه المهمة ، وعموما ان التجارة الخارجية كانت تعاني من تخلف وتواجه مشكلات وصعوبات منها التخلف الاقتصادي في بنية الدولة العثمانية والخلل في سياساتها التي تعتمدها تجاه كردستان ، فضلا عن وعورة طرق التجارة والطبيعة الجبلية لكردستان وعدم وجود مواصلات صالحة ، وايضا عدم وجود منفذ بحري يسهل عملية التجارة ، وتعرض تجارة كردستان للاستغلال من قبل التجار الكبار من الفرس والاتراك وغيرهم.[2]

الاسواق

وتعد الاسواق مظهرا اخر من مظاهر الحياة الاقتصادية في اربيل ، وقد حظيت بالوصف والاهتمام من قبل الرحالة والكتاب والمختصين ، وقدموا وصفا لحال هذه الاسواق ، فوصفها نيومان عام ١٨٧٣ بانها كانت واسعة وجميلة وفيها حركة واسعة للتجار ومخازنها مليئة بالبضائع ، وهي مضللة باوراق واغصان الاشجار

[1] هشام سوادي هاشم ، المصدر السابق ، ص/٩٧ .

[2] كاميران عبدالصمد الدوسكي ، المصدر السابق ، ص/٥٤-٥٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتدعمها الاعمدة ، وفيها مخازن مبنية من الطابوق، ويوجد في المدينة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ٦٣٧ دكانا ومحلا تجاريا و٢٣ مخزنا وثلاثة حمامات واحدى عشر مقهى ، وعادة ما تقع هذه الاسواق بالقرب من سراي المدينة وتتفرع منها اسواق متخصصة بنوع واحد من البضائع مثل سوق العطارين وسوق الخياطين وسوق البزازين ، زيادة على ذلك فان الخانات تعد وظيفة مكملة للسوق ، فهي مخازن وماوئ ومكان استراحة للمسافرين. [1]

ومن ميزة أسواق أربيل وجود الخانات، التي لها وظيفة تكمل وظيفة الأسواق، فلقد صمم كل جزء من الخان لكي يؤدي وظيفة معينة لها علاقة بتسهيل مهمة التجارة ومن يقوم بها، إذ تمارس عملية الخزن وتبادل البضائع وإيواء التجار والمسافرين وحيواناتهم وكل ما هو من شأنه إن يخدم هذه الأغراض، ويمكن أن نميز من خلال ما كتبه الرحالة نمطين من الخانات في اربيل :

الأول: الخانات الواقعة في مركز المدينة ضمن منطقة السوق التي تركزت في سوق المدينة أو بالقرب منها، وبالتالي فان ذلك يكشف عن الدور الذي تسهم به في تجارة المدينة، وتعددت اختصاصات هذا النوع من الخانات فكانت مكانا للتجارة الداخلية والخارجية، ومأوى للتجار الغرباء والمسافرين ومخازن لبضائعهم. ويحدثنا نيومان انه في عام ١٨٧٣ نزل في واحد منها مكون من طابقين قائلا" وفي اربيل خانات عده مزدحمة بالتجار والقوافل التجارية، التي نزلت في احد منها، وفي تلك الليلة أقمنا في الطابق الأرضي من الخان، بالقرب من إسطبل حيواناتنا، ويبدو أن السبب الذي دفعهم للإقامة في الطابق الأول هو ازدحام الخان بالمسافرين، لاسيما إذ علمنا إن التصميم الهندسي للخان عادة يتكون من طابقين يخصص الطابق الأرضي منه مخازن للبضائع وإسطبلات ومعالف للحيوانات؛ أما. الطابق الثاني ففيه توجد غرف المسافرين والتجار.[2]

ومما تجدر الإشارة إليه هنا انه من خلال ما أورده الرحالة من وصف لهذا النوع من الخانات، وكشف لنا سمتين رئيسيتين فيها هما طابعها الفندقي والسمة الاجتماعية، حيث كانت مسرحًا للقاء القادمين من أماكن

[1] هشام سوادي هاشم ، المصدر السابق ، ص/٩٨ .

[2] John P. Newman, The Thrones and pleases Babylon and Nineveh (New York-1876).225.

نقلا هاشم سوادي هاشم ، المصدر السابق،٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مختلفة؛ مما يسهل عقد الصفقات التجارية فيما بينهم، فضلا عن التقارب الاجتماعي، لاسيما في جلسات السمر ليلا مما يهيئ وسيلة للتقارب بينهما كان المسافرين يقدمون صورا من مغامراتهم إثناء السفر وكتب احد الرحالة واصف هذا الأمر بقوله "كان صاحب الخان –الذي نزل فيه – عربيا وهو رجل مسن وحكيم، وفي الليل قدم نزلاء الخان وصفا لقصص تتعلق بالسرقة وجرائم القتل بصورة تراجيدية، وهو اغلب الظن أسلوب تمثيلي واتخذوا من باحة الخان مسرحًا لتقديم عروضهم عليها". والنوع الثاني: الخانات الواقعة في أطراف المدينة، الموجودة في أطراف مدينة اربيل فهي لا تختلف عن النوع الأول، إلا من حيث الوظيفة والحجم وطراز عمارته وموقعه. واتى الرحالة نيبور ١٧٦٥ على ذكر أحدها والذي يقع على مساحة ١٠ كم جنوبي المدينة في قرية قوش تبه.[١]

اما مدينة دهوك من اهم مدن كردستان تبرز فيها ضفاف الورد وازهار سيراكس ورجل النعام. تستمد ألقها من الق الجبل الابيض ووصفها كل من زارها بأنها جنة الشرق والآشوريين وصفها بأنها جنة آشور، لم يخطا الاثنان الماضي والحاضر في ان دهوك ظاهرة من الظاهرات الطبيعية الجميلة. تربى على جبالها الماعز الجبلي الذي يشبه الغزلان حيث يعتمد عليه السكان في لحومة ولبنه كما يكثر فيه الرمان السكري والجوز واللوز والفستق كانت تصدر منه الى خارج مدن كردستان ، اشتهرت دهوك بزراعة الكزبرة التي تدخل في صناعة العقاقير والغذاء وكانت الحيوانات التي تعيش في هذه المدينة من اهمها الدعلج والدواجن على اختلافها ويكثر فيها الدراج بشكل كثيف جدا ، اما الزراعة فيها تمتاز بزراعة العنب الاحمر كانت تغطي مساحات واسعة فيها كما يزرع فيها نوع من اعنب ينمو ويسمى (الطائفي) وهو من صنف الاعناب الذي يتأخر نضوجه. كما اشتهرت بكثرة اشجار الصنوبر التي تعد من الاشجار المهمة التي يحتفلون بها ايام اعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية [٢] والاشوريون يسمون شجرة الصنوبر (ملكة الشجر) هي زاهية باسقة تدوم فيها الخضرة وخشبها يزخرف به المعابد واحواض الامراء.[٢]

[١] هاشم سوادي هاشم ، المصدر السابق،٩٩.

[٢] حميد المطبعي ، رحلتي الى شمال العراق ، منشورات الامانة العامة للثقافة والشباب في منطقة كردستان ، ١٩٨٦ ، ص٢٠٨-٢١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما ذكر الرحالة والمطران بابيبة عن مدينة دهوك بأنها تبعد عن الموصل زهاء اربعة عشر فرسخ ، وفيها ثلاثون عائلة كاثوليكية ولهم كنيسة خاصة بهم وكانوا يشتغلون سكانه بالزراعة والتجارة والصناعة الحرفية من النسيج الذي يستخدم لصناعة الملابس والاغطية وحتى الفرش ويأخذوه من الاغنام والماعز ، اما التجارة فكانت هناك علاقة تجارية بين مدينة الموصل ودهوك حيث يتبادلون البضائع المصنعة والفواكه والخضر بين المدينتين. [١]

[١] مقتطفات من تقرير المطران بابيبة ، عن العراق ، ١٧٥٣م ، نشر هذا التقرير في مجلة بين النهرين ، العدد ٤٣٥ ، السنة١ ، بغداد ١٩٨٣ ، ص٢٢٥-٢٢٨. ترجمة بطرس حداد ، جمع وتقديم الدكتورة وسن حسين محيميد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقديم كتاب "الكتابة التاريخية" ترجمة محمد حبيدة

الدكتور عادل النفاتي. باحث من تونس.

صدر المؤلف "الكتابة التاريخية" للمؤرخ والمترجم محمد حبيدة عن دار النشر "إفريقيا الشرق" سنة ٢٠١٥، في طبعة ثانية منقحة لطبعة سابقة صدرت قبلها بعشر سنوات. امتد الكتاب على ٢٣٩ صفحة من التقطيع المتوسط، وقسّمه صاحبه إلى مقدمة وثلاثة فصول متوازنة من حيث الحجم. وأردفه بمعجم قيّم تضمن مفاهيم ومصطلحات متداولة في علم التاريخ والإنسانيات بصفة عامة، وبقائمة بيبليوغرافية ثرية من شأنها أن توجه القرّاء والمهتمين نحو إحالات مرجعية ذات قيمة معرفية قيّمة. أما صاحب الكتاب فهو أكاديمي متخصص في التاريخ الاجتماعي وله اهتمامات متصلة بالأنثروبولوجيا التاريخية والمناهج والترجمة. كان قد شغل خطة أستاذ زائر بجامعة "فرانسوا رابلي" بتور بفرنسا، وكانت له عدة مساهمات بحثية في ندوات دولية احتضنتها منابر جامعية مختلفة. عُرف عنه حذقه اللغتين: العربية والفرنسية، ما أتاح له ترجمة عديد المقالات من الفرنسية إلى العربية.

ضمّن محمد حبيدة مؤلفه اثني عشر مقالا مترجما من الفرنسية إلى العربية لأساطين المعرفة التاريخية والإنسانية، الذين برزوا في الوسط الأكاديمي الفرنسي ووُسموا فيما بعد بكتّاب "التاريخ الجديد La nouvelle histoire". إذ عرفوا بكتاباتهم ونظرياتهم المجدّدة وتطرقهم إلى مباحث معرفية غير مسبوقة بالنسبة إلى معشر المؤرخين الكلاسيكيين: كالتاريخ والعلوم الاجتماعية والتاريخ والذاكرة وتاريخ العقليات أو الذهنيات. نوّه الكاتب في مقدمة كتابه بتطوّر الكتابة التاريخية الفرنسية خلال القرن العشرين، أو ما سمّاه ب"التوجهات الإسطوغرافية المعاصرة"، مثنيا على جرأة عدد من المؤرخين في الخروج عن دوائر البحث المألوفة، تلك التي غدت ضيقة، وغلب على نتائجها التكرار والاجترار. فتوسعت لتطرح اهتمامات أخرى مستحدثة شغلت المهتمين في اختصاصات متنوعة، جاعلة الكتابات التاريخية الجديدة محل متابعة من طرف الجميع. ولقد انطلق هذا التجديد بصفة جليّة كما هو معلوم مع ظهور مجلة "الحوليات" الفرنسية سنة ١٩٢٩، وكان من رموزها آنذاك كل من مارك بلوك ولوسيان فيفر. وتأكدت تلك التجديدات مع ظهور نتائج المؤرخ المجدّد فرناند بروديل صاحب المؤلفات الغزيرة التي عنيت بتاريخ الشعوب المتوسطية وثقافاتها وحضارات العالم، والتي ضمّنها رؤيته الجديدة للزمن، الذي قسّمه إلى أصناف ثلاثة: ففي الصنف الأول نجد الزمن الجغرافي وهو زمن ثابت و راكد، يطلق عليه بعض المؤرخين صفة الزمن الطويل. وهو تاريخ يعنى بدراسة جوانب من حياة الجماعات البشرية في علاقتها بالمجال الجغرافي وأثرها عليه، حيث يكون فيه نسق التبدل بطيء، وثانيا الزمن الدوري وهو الذي يراقب ويدرس الأحداث الدورية كالدورات الإنتاجية والدورات الديمغرافية أو الدورات البيولوجية، وثالثا الزمن الفردي أو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زمن الأحداث الذي يعنى بالأحداث السياسية والعسكرية والديبلوماسية وهو تاريخ ذو ذبذبات قصيرة على حد تعبير المترجم. ولقد بدا لمحمد حبيدة أن التحوّل الكبير والفارق الذي طرأ على علم التاريخ هو تحول اتجاه اهتمام عدد من الباحثين نحو مواضيع الزمن الطويل والقضايا المتصلة بالشعوب والأفكار والتمثلات والذهنيات والحياة اليومية ومشاغل الفئات المهمشة بدلا عن تاريخ الحكام والزعامات والبلاطات والحروب. ولقد دفع التجديد الطارئ على انشغالات المؤرخين في مرحلة أولى إلى الانفتاح على مناهج بحث جديدة متناهجة مع علم التاريخ بمختلف صنوفه: من اقتصاد وجغرافيا وإثنولوجيا وأنثروبولوجيا وعلم اجتماع وعلم نفس وفلسفة، كلها عوامل ساهمت في صياغة معالم طريق ما وسم ب"التاريخ الجديد".

قُسّم الكتاب كما أسلفنا إلى ثلاثة فصول، تضمن كل واحد منها أربع مقالات مترجمة تتحرك ضمن سياق معنوي واحد. فتحت عنوان "التاريخ والعلوم الاجتماعية"، تضمن الفصل الأول المقالات التالية: الأول "التاريخ والإثنولوجيا" لفرنسوا فوري، والثاني بعنوان "التاريخ والمنهاج المقارن" لجوفري بركلوف، والثالث "من التاريخ السردي إلى التاريخ الإشكالي" لفرناند برودال، والرابع بعنوان "من الأنثروبولوجيا الى الأدب" للكاتب الأمريكي كينيث براون. عملت هذه النصوص جميعها على إبراز انفتاح علم التاريخ منذ مطلع القرن العشرين على بقية التخصصات الأخرى القريبة منه والتي ذكرنا أمثلة منها في الفقرة السابقة، ولقد قاد تلك المرحلة عدد من المؤرخين المجددين من أمثال فرناند برودال وجورج دوبي وبيير شوني وجاك دوباكيي وغيرهم، ثم عاينا انفتاحا على انشغالات معرفية أخرى مستلهمة من تخصصات إثنولوجية: كاللباس والأغذية والأمراض والعائلة والجنس والأقليات والمهمشين ودراسة السلوكات والموروثات وأنساق القيم.

اهتم الفصل الثاني بمسألة "التاريخ والذاكرة" وفيه أورد الكاتب مقالا لبيار نورا بعنوان "الذاكرة الجماعية" التي تأخذ حسب ترجمة محمد حبيدة "صورة ذكرى أو مجموعة ذكريات واعية أو غير واعية لتجربة معاشة أو مشبعة بحمولة أسطورية، قوامها هوية جماعية ذات ارتباط وثيق بالإحساس بالماضي". وقارن الكاتب في مقاله بين "الذاكرة التاريخية" و"الذاكرة الجماعية" وتبين له أن الذاكرة الجماعية هي "ما تبقى من الماضي في معاش الجماعات أو ما يتمثل بشأنه.... [وهي]إرث غير قابل للتصرف، وفي الوقت ذاته سهل الاستعمال وأداة نضال وسلطة، بل أيضا رهان انفعالي ورمزي". وعلى العكس من ذلك، فإن الذاكرة التاريخية تمتاز بالوحدة، فهي ثمرة تقليد معرفي و"علمي". وفي المقال الثاني الذي اتخذ عنوان "التاريخ والذاكرة" لبول ريكور، تحدث الكاتب عن أسس التمثل التاريخاني للماضي، متناولا في نفس السياق مواضيع متصلة بالمسألة كالفرق بين "الذاكرة الفردية" و"الذاكرة الجماعية". وعرّج المترجم على تعريف أصناف الذاكرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقسمها إلى ثلاثة مستويات: وهي "الذاكرة المحظورة" و"الذاكرة المدبّرة" و"الذاكرة المرغمة". وحول اختلاف التمثلات للماضي بين الذاكرة والتاريخ أورد حبيدة أن الذاكرة "تمتاز باستعراف الماضي كشيء موجود ومنعدم في ذات الوقت، أما التاريخ فيحظى بالقدرة على توسيع النظرة في المكان وفي الزمان، بقوة النقد ضمن تسلسل الشهادة والتفسير والفهم...بإقرار الإنصاف بالنظر إلى الادعاءات المتنافسة للذاكرات المجروحة وأحيانا اللامبالية بمأساة الآخرين". وتضمنت المقالة الثالثة ضمن هذا الفصل دراسة لأهمية الرواية الشفهية من منظور فيليب جوتار الذي دعا إلى إعادة الاعتبار إلى النص الشفهي، حيث كان للباحثين الأمريكيين السبق في هذا الاتجاه، خصوصا عندما انكب عدد منهم على العودة إلى دراسة شهادات العبيد السود في دراسة التاريخ الأمريكي. وتضمنت المقالة الرابعة نصا بعنوان "التاريخ الفوري" أو ما سمي أيضا ب "التاريخ الراهن" لبرنار بيلار.

انشغل الكاتب في الفصل الثالث ب "تاريخ العقليات" فأورد مقالة أولى بعنوان "العقليات" لجاك روفال، ومقالة ثانية بعنوان "العقليات تاريخ مبهم" لجاك لوقوف ومقالة ثالثة بعنوان "العقليات واللاشعور الجماعي" لميشال فوفيل، ومقالة رابعة بعنوان "الأنثروبولوجيا التاريخية" لأندري بورقيار. ولقد شدّدت هذه النصوص على ثراء حقل "تاريخ العقليات" كمجال بحثي يلتقي فيه التاريخ الاجتماعي بتاريخ الأنساق الثقافية، ممّا يتيح إمكانيات متنوعة لمعالجة ودراسة المواقف إزاء مسائل أرّقت الإنسان منذ وجوده في هذا الكون: كالحياة والموت والمعتقد والطقوس والتقاليد. وفي هذا الفصل عاد الكاتب إلى دراسة نتائج عدد من الباحثين الذين اشتغلوا على هذا الصنف من المواضيع كجون هوزينغاو نوربير إلياس وجاك لوغوف وفيليب جوتار وميشيل فوفيل وغيرهم. كما نوّه ضمن هذا الفصل بتنويع الباحثين الجدد لمصادر بحوثهم وعدم الاكتفاء بالوثائق المكتوبة، إذ لجأوا إلى استخدام كل المخلفات المادية والمشاهد الفنية والروايات الشفهية وحتى الفولكلورية.

عموما يعد كتاب "الكتابة التاريخية" من منظورنا مدونة ذات قيمة معرفية مهمة يحتاجها الباحثون في حقول المعرفة الإنسانية للاطلاع على نشوءعدد من الحقول النظرية الغربية وتطوّرها، وما تتيحه من مسارب جديدة نحو آفاق أرحب في دروب المعرفة المتبدلة أصلا والرافضة للمهادنة. ولا يمكن أن نختم دون أن نشيد بصبر الكاتب وأناته في مكابدة صعوبات الترجمة والنقل لنصوص غلب عليها الطابع النظري، لأجل بلوغ ترجمة مفيدة تكون حقا جسرا آمنا لبلوغ المهتمين العرب لمعارف "الآخر اللغوي".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مخطوطة رقم ٤٧٣٧ بمكتبة جامعة الملك سعود، وعلاقتها بالأجزاء الثّلاثة الأولى الضّائعة من بدائعِ الزُّهور في وقائع الدُّهور لابن اياس

الدكتور أحمد يحيى العامر

باحث بمعهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي

جامعة اكس مارسيليا/ فرنسا

ملخص

تتناول هذه الدراسة مسألتين : الأولى هي مناقشة مسألة كتابة ابن اياس للأجزاء الثلاثة الأولى الضائعة من كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور، والثانية هي: محاولة معرفة حقيقة كتابٍ صغيرٍ مُهمَلٍ من الباحثين، يحمل عنوان : بدائع الزهور في وقائع الدهور، منسوب لابن اياس،يعود أصله إلى مخطوطة موجودة في مكتبة جامعة الملك سعود، وطرح فرضيات ـــ ربّما ـــ تؤيّدأنّ هذا الكتاب الصغير هو جزء أو هوال أجزاء الثّلاثة الأولى الضائعة من بدائع الزهور في وقائع الدهور.

الكلمات المفتاحية: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن اياس، مخطوطة، الأجزاء الضائعة.

Abstract

This studyanalyzestwo issues: First, discussing the writing of Ibnlyāsfor the first three parts lostfrom the book of *Badā' i' al-zuhūrfīwaqā' i' al-duhūr*. The second is the attempt to find out the truth of a small book neglected by the researchersattributed to Ibnlyāsand entitled*Badā' i' al-zuhūrfīwaqā' i' al-duhūr*, whoseoriginisbased on a manuscriptfound in the library of King SaudUniversity. Wewouldlikealso to put hypothesesmay support thatthislittle book is part or is the first three parts lostfrom *Badā' i' al-zuhūrfīwaqā' i' al-duhūr*.

Keywords: *Badā' i' al-zuhūrfīwaqā' i' al-duhūr*, Ibn Iyās, Manuscript, lost parts.

تقديم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن إياس: أبو البركات، محمّد بن أحمد شهاب الدّين النّاصري الجركسي الحنفي[1]، مؤرّخ مصريّ، وُلِد[2] في القاهرة سنة (٨٥٢ / ١٤٤٨) وتوفي فيها[3] بعد سنة (٩٢٨ / ١٥٢٢).

أرّخ لمصر منذ عهودها القديمة حتى (ذي الحجة سنة ٩٢٨هـ/١٩ تشرين الثاني ١٥٢٢)، وكان من أهمّ المؤرخين المعاصرين الذين أحاطوا بأحوال مصر في نصف القرن الأخير من حياة الدولة

[1] هكذا كتب ابن اياس اسمه في كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" . ولكن بروكلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) ، أورد الاسم كما يلي (أبو البركات محمد بن أحمد بن اياس زين الدين الناصري الجركسي الحنبلي) لكننا لم نجد مايبرر نسبته إلى الحنابلة . انظر:

Il faut conformer l'appareil critique en arabe comme dans les autres langues aux normes de l'édition

Brockelmann, (Carl), 1909, Geschichte der ArabischenLitteratur, 3 tomes, Leiden: Brill. (traduit en arabe par al-Najjār, 1961-1962, Tārīkh al-adab al-'arabī) T2.P405.

انظر أيضا:

Ahmad AL AMER (2014) : L'historiographie à l'époque mamelouke à travers l'exemple de l'ouvrage Badā'i' al-zuhūr d'Ibn Iyās : analyse de la méthode et du contenu , sous la direction du Professeur Michel Tuchscherer (UMR 7310-IREMAM). ÉcoleDoctorale ED 355 (Espaces, Cultures, Sociétés), Aix-Marseille Université.P8.

[2] يقول ابن اياس عن نفسه في أخبار سنة ٨٥٢ هجرية: (وفي هذه السنة كان مولدي، وذلك في يوم السبت سادس ربيع الآخر من السنة المذكورة، هكذا نقلته من خط والدي رحمه الله). انظر أيضا: (أحمد) أحمد عبد الرازق : دراسات في المصادر المملوكية المبكرة . مكتبة سعيد رأفت – القاهرة ١٩٧٤. ص ١٦١.

[3] لا نستطيع تحديد تاريخ وفاة ابن اياس، ولكنه من المؤكد أنه بلغ من العمر أكثر من ٧٦ سنة وانه =توفي بعد سنة ٩٢٨ / ١٥٢٢ لان آخر تاريخ كتبه بخط يده هو يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة الحرام سنة ٩٢٨. ليؤرخ به الفراغ من كتابة الجزء الحادي عشر من "بدائع الزهور في وقائع الدهور" . ابن اياس "بدائع الزهور في وقائع الزهور". تحقيق محمد مصطفى. الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة١٩٨٢ ،خمسة أجزاء،ج ٥ ص٤٩٤. انظر أيضا (مخطوط فاتح رقم ٤١٩٩) بينما يشير للولوش (Lellouch) أنه مات بعد ٢٩ ذو الحجة ٩٣٠ / ٢٨ اكتوبر ١٥٢٤ .انظر :

LellouchBenjamin : Les Ottomans en Egypte , historiens et conquérants au XVIsiècle . Peeter 2006.P 267.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المملوكيّة، ومطلع العهد العثماني[١]، ترك ابن إياس سبعة مؤلّفات[٢]حسبما وصل إلى علم الباحثين حتى اليوم، وكلّها ذات طبيعة تاريخيّة، أهم مؤلفاته: كتاب « بدائع الزّهور في وقائع الدّهور » كتبه ابن اياس على طريقة الحوليّات، فكان يدون الحوادث سنةً بسنة، وشهراً بشهر في السنين التي لم يعاصرها، ويوماً بيوم في السّنوات التي عايشها؛ أي في الأجزاء الأخيرة من الكتاب، طُبِعَ الكتابُ طبعات عدّة، كان أكملها: طبعة (جمعية المستشرقين الألمانية) .

انتهى محمد مصطفى من تحقيق بدائع الزهور في وقائع الدهور[٣]بتكليف من جمعية المستشرقين الألمانية، ونشرت الأجزاء الخمسة المعروفة في ستة مجلدات ضمن النشرات الإسلامية التي تصدرها الجمعية بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت.

لقي كتاب بدائع الزهور اهتماماً كبيراً من المستشرقين، أمثال: بروكلمان (Brockelmann[٤])، وسبرنهايم (Sobernheim[٥]) ،وكاله (Kahle)، ومارغليوث (Margoliouth[٦]) ، وقاستونفييت (Gaston

---

[١](عبد الله) يسرى عبد الغني: معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري . دار الكب العلمية بيروت.

ط ١، ١٩٩١ ص ٤٧ – ٤٨. انظر أيضا:

Medieval West Africa: Views From Arab Scholars and Merchants. (2003). p 122.

[٢] اختلف بعض الباحثين حول صحة نسبة هذه الكتب لابن اياس . انظر(زيادة) محمد مصطفى: المؤرخون= = في مصرفي القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع الهجري)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٩. ص ٥٣.

[٣]Donald P. Little : Die Chronik des IbnIjas . by Mohamed Mostafa Journal of Near Eastern Studies, Vol. 34, No. 2 (Apr., 1975), pp. 150-151.

[٤]Brockelmann, Carl, 1909, *Geschichte der ArabischenLitteratur*, 3 tomes, Leiden: Brill. (traduit en arabe par al-Najjār, 1961-1962, *Tārīkh al-adab al-ʿarabī*).

[٥]Sobernheim, Moritz, 1936, «Ibn Iyās», *EI.1*.

[٦]Margoliouth, David Samuel، 1930, *lectures on Arabic Historians*, Inde: TheUniversity of Calcutta.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(Weit')، وديفونشاير (Devonshire[٢]) ، وسوفاجيه (Sauvaget[٣])، وسرستين (wasserstein[٤]) وغيرهم، وترجم بعضهم أجزاءً منه إلى الفرنسية.

قسَّم محمَّد مصطفى الكتاب إلى خمسة أجزاء، واحتوى الجزء الأول قسمين، وهذا التقسيم مختلف عن التقسيم الذي أراده ابن اياس لكتابه بأن يكون ١٢ جزء .

أراد ابن اياس أن يخرج كتابه هذا في اثني عشر جزءاً، انتهى الجزء الحادي عشر منها بأخبار سنة ٩٢٨ ه/ ١٥٢٢م إلى آخر يوم منها، وكان ابن اياس إذ ذاك في السَّابعة والسبعين من عمره، ولا ندري هل عاجلته المنيَّة قبل أن يبدأ في تحرير الجزء الثاني عشر؟ أو أنه بدأه؟ أو كتب قسماً منه؟ فقدت مسوداته ولم يعثر عليها بينجام الولوش (Lellouche, Benjamin.) كتب

---

[١]Wiet,Gaston, 1945, *Journal d'un Bourgeois du Caire. Chronique d'Ibn Iyās*, tome 1, Paris : Bibliothèque générale de l'Ecole Pratique des Hautes Etudes, VI[e] section.

Wiet,Gaston, 1960, *Journal d'un Bourgeois du Caire. Chronique d'Ibn Iyās*, tome 2, Paris : S.E.V.P.E.N.

Journal d'un Bourgeois : Walter J. Fischel du Caire: Chroniqued'ibnlyas. by Gaston Weit The American Historical, Vol. 61, No. 4 (Jul., 1956), pp. 947-948 Die Chronik des : WilferdMadelung. IbnIjas by Mohamed Mostafa Journal of Near Eastern Studies, Vol. 25, No. 1 (Jan., . 1966), pp. 69-70

W. Montgomery Watt :Journal d'un Bourgeois du Caire: Chroniqued'Ibnlys by Ibnlyas ; Gaston Wiet . The English Historical Review, Vol. 73, No. 286 (Jan., 1958), pp. 149-150 .Robert Sabatino Lopez; Journal d'un Bourgeois du Caire. by Ibnlyas ; Gaston Wiet The Journal of Economic History, Vol. 17, No. 1 (Mar., 1957), pp. 144-146

[٢]Devonshire, R. L., "Extrait de l'histoire de l'Egypte", tome II, par Aḥmadibnlyās al-Hanafy al-Maṣry (Būlāq, 1311 A.H.). Traduit de l'arabe, Bulletin de l'Institut Françaisd' Archéologie Orientale, vol. 25, 1924, pp. 113-145.

[٣]Sauvaget, Jean, 1946, « Troismois de la vie du Caire sous les derniers Mamelouks » dans Historiensarabes, 1 tome. (192 p.) Paris : Adrien-Maisonneuve.

[٤]Wasserstein, D. J., 1992, "Tradition manuscrite, authenticité, chronologie et développement de l'œuvre littéraire d'*IbnIyās*", *Journal Asiatique*, vol. 280 n°. III , 1992, p. 81-114.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقالاً عن الجزء الثاني عشر من البدائع[١]، من خلال الدراسة التي قام بها لولوش عن الدّياربكري، حاول أن يثبت أنّ ابن اياس قد كتب الجزء الثاني عشر، وان الديار بكري قد اعتمد هذا الجزء كمصدر أساسيّ. لسنا هنا لمناقشة مسألة الجزء الثاني عشر، والحكم على ما أتى به بنجام الولوش من فرضيّات[٢].

إشكالية البحث

الأجزاء الثلاثة الأولى مفقودة، ويوجد شكٌّ من بعض المؤرّخين فيما إذا كان قد كتبابن اياس هذه الأجزاء أصلا.

إشكالية بحثناهي: معرفة ما إذا كان ابن اياس قد كتب هذه الأجزاء الثلاثة الأولى من كتابه، وما حقيقة كتاب صغير (١٧٥ صفحة) يباع على الأرصفة ويحمل عنوان (*بدائع الزهور في وقائع الدهور : تأليف العالم الفاضل والهمام الكامل الشيخ محمد بن احمد اياس الحنفي رحمه الله تعالى ونفعنا به والمسلمين آمين . آداب – تاريخ – قصص – فكاهة*)؟ .

هذا الكتاب دون حقوق طبع، وقيام كثير من دور النشر[٣] بتصويره عن سابقتها دون تحقيق، أو معرفة مصدر معلوماته، وبيعه على الأرصفة، ربّما هذا ما أدى إلى تجاهله من الباحثين، كثير من المختصين لا

[١] Lellouch, Benjamin., 1998, "Le douzième ğuz' perdu des Badā'i' al-zuhūr d'Ibn Iyās à la lumière d'une chronique Turque d'Egypte", Arabica, vol. 45 n°. 1, p. 88-103.

[٢] ناقشنا المقال الذي كتبه لولوش فيما يخص الجزء الثاني عشر في كتابنا :

Ahmad AL AMER(2014) : *Matériaux, mentalités et usage des sources chez Ibn Iyās. Mise au point du discours historique dans les Badā î' al-zuhūrfiwaqā î' al-duhūr*, préfacé par Jean-Claude Garcin, Éditions Universitaires Européennes, Allemagne, p.429 , p48 .

[٣] طبعات هذا الكتاب : دار الكتب الشعبية ١٩٧٠ ، ٢٠٨ ص .المكتبة الثقافية، ١٩٨٠ ، ١٦٦ ص. دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٢ ، ١٩٩٣ . مكتبة مدبولي، ١٩٩٥. مصطف الباني الحلبي، ١٩٩٨. = =طباعة مكتبة أسامة الإسلامية ٢٠٠٤. هذه الطبعة الأخيرة التي سنعتمدها في بحثنا هذا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعرفونه، وبعضهم يعرفه ولا يعطيه أيَّ أهميّة،حتى أنَّهم لم يقوموا بقراءته، وآخرون قالوا إنَّه مُزوَّر وليس لابن اياس، وعندما تسألهم عند الدليل أنَّه مُزوَّر لا تحصل على إجابة، وعلى الرَّغم من تحذير علماء الدِّين (؟؟؟؟) من هذا الكتاب، والقول عنه إنه يغلب عليه الأحاديث الموضوعة[1]، لكن هذا لا يمنع أن يكون هذا الكتاب هو الأجزاء الثَّلاثة الأولى الضائعة من كتاب بدائع الزهور لابن اياس، أو على الأقل هو جزء منها[2].

فرضيَّات الباحثين حول الأجزاء الثلاثة الأولى الضائعة من البدائع

يفترض بعض الباحثين ـــ ومنهم محمد مصطفى (محقق كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور) ـــ أنَّ ابن اياس لم يكتبها إطلاقاً، ويؤكّد مصطفى قائلاً : (*وحتى إذا كان قد كتبها فإننا لا نستطيع أن نتصور مادتها، هل هي تاريخ مصر قبل الإسلام؟ وهو ما تكلّم عنه بإيجاز في بداية الجزء الرابع، وقد رأينا أنه أشار إلى ذلك أيضا في مقدمته له، أم هي ذكر بدء الخليقة، وعجائب المخلوقات، وقصص الأنبياء، وما يشبه ذلك؟ ولكن هذا كله لا يملأ ثلاثة أجزاء من حجم أجزاء الكتاب ، أو أن ابن اياس ربّما كان قد تخيّل موضوع هذه الأجزاء الثلاثة الأولى عند كتابة مقدّمته للجزء الرابع على أمل أن يكتبها بعد الفراغ من تحرير هذا الجزء الرابع*[3]).

لا نؤيّد ما طرحه محمد مصطفى؛ وذلك لأنّنا لم نسمع عن مؤرّخ بدء كتابه بجزء رابع أو خامس، ثمّ عاد إلى الأجزاء الأولى، بالإضافة إلى أنّ ابن اياس ذكر

---

[1] آل سليمان : أبو عبيدة مشهور بن حسن ،كتب؟؟؟ حذر منها العلماء ،دار الصميعي للنشر والتوزيع . دون تاريخ ج ٢، ص ٢١.

[2] كنا قد ناقشنا هذه الإشكالية في مقالنا : « Les trois premières sections perdues ou manquantes d'al-Badā'i' », *Arabica* 62, 2015, p. 1-14.
لكن لأهمية هذا الموضوع وقلة القارئين باللغة الفرنسية مقارنة بالعربية والانكليزية في الوطن العربي قررنا أن نعيد مناقشة هذه الإشكالية – بموافقة دار النشر– مع بعض الإضافات والتعديلات .

[3] ابن اياس: صفحات لم تنشر من بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق ، محمد مصطفى، دار المعارف، ط١، ١٩٥١، ص٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثلاث مرّات في الجزء الرابع أنّه ذكر بعض الأحداث التاريخيّة بتوسّع في أول تاريخه، (وسنتحدث عن ذلك). ولا يصحُّ أنّ المادة التاريخية التي تبدأ من بدء الخليقة، وعجائب المخلوقات، وقصص الأنبياء لا تملأ ثلاثة أجزاء من حجم أجزاء البدائع، فإذا قارنا المعلومات الواردة عند المؤرخين الذين كتبوا التاريخ منذ بدء الخليقة حتى بداية المعلومات المقدمة في الجزء الرابع، نجدها تساوي حجم ثلاثة أجزاء من البدائع (من تقسيم ابن اياس) على اعتبار أنّ المعدّل الوسطي لعدد صفحات كل جزء يساوي حوالي ٢٠٠ صفحة ، مع العلم أنه ليس بالضرورة أن تكون كل الأجزاء في أي كتاب متساوية؛ لأنّ طول أي جزء أو قصره يخضع لاعتبارات كثيرة، منها: كون المؤرّخ معاصر أو غير معاصر للأحداث، بالإضافة إلى رغبة المؤرّخ وهدفه من كتابة الكتاب.

أصل الكتاب وفرضيات حول صلته بالأجزاء الثلاثة الضائعة من بدائع الزهور

استطعنا الوصول إلى المخطوطة التي اعتمدتْ عليها دور النَّشر لطباعة هذا الكتاب، وهي مخطوطة موجودة في مكتبة جامعة الملك سعود[١].

بعد قراءة هذا الكتاب وجدنا أنّه مكتوب بأسلوب ابن اياس نفسه في بدائع الزهور، وخاصة في بحثه عن النكتة والطرائف، ولا سيّما في الجزء الرابع والخامس من كتابه، وكذلك أسلوبه في التعليق على الحوادث، واستخدامه عبارات أساسية كتعليق على الأحداث دون أيّ تفسير، أو مناقشة، أو تحليل لهذه الأحداث،ومن أهم هذه العبارات: (لاحول ولا قوّة إلا بالله)، (الله أعلم)، (معظم النار من مستصغر الشرر)،

[١] المعلومات الموجودة حول هذه المخطوطة (الرقم:٤٧٣٧ ق ٢١٠٩٥٦ . العنوان : بدائع الزهور في وقائع الدهور . المؤلف : محمد بن أحمد بن اياس. تاريخ النسخ : ١٢٩٨. اسم الناسخ : محمد بن أحمد الخصاص. عدد الأوراق: ج١ (١٢٨). الحجم (٢٢,٥× ١٧,٥). ربما أن تاريخ نسخ هذه المخطوطة (١٨٨١/١٢٩٨) البعيد عن تاريخ وفاة ابن اياس ربما يبعث على الشكّ في أصل المخطوطة وصحة نسبها لابن اياس هذا ما لا يجب تجاهله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه العبارة تكررت بكثرة في البدائع، وأيضاً وجدنا بعض الأبيات من الشعر المستخدمة في هذا الكتاب مع البدائع وبالطريقة نفسها، والاستدلال بها كتعليق على الأحداث لأخذ العبر، وقد يقول قائل:إنّ هذا التشابة والتكرار لا يعني الكثير، نقول:إنّ اعتماد ابن اياس عدّة عبارات بعينها،وتكراره لها، وتعليقه على الكثير من الحوادث بعبارة واحدة أو ببيت شعر هو أسلوب ظاهر، وواضح في البدائع، ويختلف عن باقي المؤرّخين في عصره،نؤكّد ذلك؛ لأننا على اطلاع كبير على بدائع الزهور الذي كان محور أطروحتنا لنيلدرجة الدكتوراه، والتي خصّصنا جزءاً منها لدراسة أسلوب ابن اياس،ومنهجه في الكتابة التاريخية[١] .

والأهمُّ من ذلك: وجدنا في البدائع أنّ ابن اياس أشار إلى معلومات كان قد ذكرها في أول كتابه بتوسّع (الأجزاء الثلاثة الأولى الضائعة)، وبعد المقارنة وجدنا أنه فعلاً توجد هذه الأحداث بتوسّع في الكتاب الصغير التي وجدناها وسنعرضها كالآتي :

- يذكر ابن اياس (وقد أوسعت في أخبار الأهرام في أول التاريخ عند قصة نوح عليه السلام[٢])، وبعد عودتنا إلى الكتاب الصّغير رأينا أنه فعلاً قد تمّذكر أخبار الأهرام بتوسّع عند ذكر قصّة نوح[٣].

- عند حديث ابن اياس عن سورنيد، وكيف بنى الأهرام، يقول: (وقد تقدَّم ذكر ذلك عند قصّة نوح عليه السلام[٤]) بعد المقارنة وجدنا فعلا أنّه قد تمَّ ذكر ذلك في الكتاب الصغير[٥].

- عند الحديث عن فرعون وموسى، يشير ابن اياس: (وقد تقدَّمت أخباره في أوّل التاريخ عند قصّة موسى عليه السلام[٦])، وبعد المقارنة وجدنا أنه فعلاً قد تمَّ ذكر

[١] Ahmad AL AMER(2014) : .P373-442.

٢في البدائع ج١ق١ص ٦٩- ٧٠

٣الكتاب الصغير ص ٦٩.

٤في البدائع ج١ق١ص ٧٤

٥الكتاب الصغير ص ٦٩- ٧٣.

٦في البدائع ج١ق١ص ٨٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك في الكتاب الصّغير عند ذكر قصّة موسى، وعلاقته بفرعون[١] .

وممّا يدعم القول أنّ هذا الكتاب الصغير هو الأجزاء الثلاثة الأولى الضائعة من بدائع الزهور أو أحدها هو: أنّنا قمنا بمقارنة بين بدائع الزهور، وكتاب الخطط للمقريزي، وحسن المحاضرة للسيوطي، فوصلنا إلى أن معلومات ابن اياس في المرحلة الأولى من بدائع الزهور مأخوذة إمّا من كتاب الخطط للمقريزي، أو من كتاب حسن المحاضرة[٢] للسيوطي، وكلّ المعلومات المدوّنة عند ابن اياس لا تتجاوز هذين المصدرَين عدا بعض المعلومات التي قمنا بمقارنتها مع الكتاب الصغير، فوجدنا أن ابن اياس اعتمد في معلوماته هذه على ما تسعفه به ذاكرته ممّا دون في هذا الكتاب الصغير الذي نفترض أنه الأجزاء الثلاثة الأولى الضائعة من البدائع[٣]، ومن الأمثلة على ما ذكرناه: يشير ابن اياستحت عنوان (من ملك مصر من الفراعنة): حكم مصر خمسة فراعنة...، فيذكر ابن اياس أسماء أربعة ويقول إنّ الخامس لا يحضرني الآن[٤]، علماً أن معلومات هذه الفقرة مختلفة تماماً عمّا هو موجود في"الخطط"، و"حسن المحاضرة"،لكنها نفسها في الكتاب الصغير مع ذكر أسماء الخمسة فراعين الذين حكموا مصر وليس الأربعة.

وللتأكيد على ما قلناه نذكر المعلومات المشتركة بين بدائع الزهور والكتاب الصغير، علماً أن هذه المعلومات المشتركة هي فقط المعلومات التي لم يأخذها ابن اياس من "خطط" المقريزي، أو"حسن المحاضرة" للسّيوطي، والتي نظن أنه اعتمد في كتابتها على ما أسعفته به ذاكرته؛ لأن المعلومات ليست بالحرفيّة نفسها- وإن المعلومات الموجودة في "بدائع الزهور" على الأغلب أصغر حجماً من الموجودة في الكتاب الصغير، وتبدو كأنها موجز لها.

المعلومات المشتركة:

[١] الكتاب الصغير ص ١٤٩.

[٢] AL AMER Ahmad,, 2014. P356- 369 .

[٣] AL AMER Ahmad,, 2014. P356- 369 .

[٤] بدائع الزهور ج١ ق١ ص٧٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتأكيد ما عرضناه سابقا نقدّم هذه المقارنة بين بدائع الزهور والكتاب الصغير[1] الذي حمل العنوان نفسه:

١/أ- في الكتاب الصغير تحت عنوان: *أخبار البحار*

(قال بعض الحكماء: وكان من تمام حكم الله تعالى أن جعل الأنهار الحلوة جارية، والبحار المالحة راكدة؛ لأن ركودها نعمة ودفع مضرّة، وأيضا البحار المالحة يصبُّ فيها الأنهار وماء السيول والعيون، وهي لا تزيد بقدرة الله تعالى، فلو زادت لأغرقت الأرض، وهذا رحمة من الله تعالى كما أخبر في القرآن العظيم "*مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان*"[2])

١/ب- في بدائع الزهور تحت عنوان: *عجائب مصر*

(وبه أعجوبة، وهو البرزخ الذي عند ثغر دمياط؛ لأن البحر العذب ينصب في البحر المالح ولا يختلط أحدهما بالآخر، بل يشاهد كل منهما متميزاً عن الأخر بمسافة طويلة، ثمَّ يغوص بحر النيل في البحر المالح، ولا يختلط بل يجري تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء، وهو قوله تعالى:{*مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان*}،أي لا يغلب الملح على العذب فيفسد حلاوته، ولا يغلب العذب على الملح فيفسد مرارته، فسبحان القادر على كل شيء، وقد قال الشّاعر :

وبأمره البحران يلتقيان لا يبغي على عذب مرور أجاج[3]).

٢/ أ- في الكتاب الصغير تحت عنوان: *فصل في بيان المكان الذي يخرج منه النيل وفي المكان الذي يذهب إليه.*

(ممَّا يحكى أن ملك نقرواش الجبار ابن مصرايم توجّه إلى منبع النيل، فحفره، وأصلح مجراه، وكان يسيح في الأرض، ويتفرَّق من غير حاجز، فهندسه، وساق منه عدّة أنهار إلى أماكن كثيرة لينتفع بها الناس، وعمّا هناك تماثيل من نحاس، عدتها خمسة وثمانون تمثالاً، جامعة للماء

[1] نقصد بالكتاب الصغير: الكتاب الذي هو في الأصل المخطوطة رقم ٤٧٣٧ الموجودة في مكتبة الملك سعود قسم المخطوطات.

[2] الكتاب الصغير ص ١٦.

[3] بدائع الزهور ج ١ق١ ص ١٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى لا يخرج ماء النيل عنها، وجعل لها منافذ مستديرة يخرج الماء من حلوق التماثيل، وجعل لها قياساً معلوماً بمقاطع اذرع معلومة، فتخرج تلك الأنهار، ثمَّ تصب في بطيحتين، فيخرج منها المياه إلى بطيحة كبيرة جامعة للمياه، وجعل للتماثيل مقادير بين المياه ليكون فيها الصَّلاح لأرض مصرَ دون الفساد، وقدر تلك على ستة عشر ذراعاً، وكان الذراع يومئذٍ اثنين وثلاثين إصبعاً، ثمَّ جعل فضلات تلك المياه تخرج إلى مسارب عن يمين التماثيل وعن شمالها، ثمَّ تصب إلى رمال، وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء، ولولا ذلك لأغرق ماء النيل ما كان يمرّ عليه من البلدان قاطبة، وقال: لولا أنَّ ماء النيل يمرّ في البحر المالح، ويكتسب من ملحه، لشرب من مائه ما هو أحلى من العسل، وأبيض من اللبن[1]).

٢/ب–في"بدائع الزهور" تحت عنوان:*ذكر من ملك الديار المصرية في أول الزمان*

(وقيل نقراوش هو الذي أصلح مجرى النيل، وكان قبل ذلك يتفرَّق بين الجبلين، فوسَّع طريقه، وقطع من الجبلين وأجراه إلى بلاد النوبة، وشق منه نهراً عظيماً، وبنى عليه المدن وغرس فيها الأشجار، ثمَّ سار إلى منبع النِّيل حتى بلغ خط الاستواء، ولمَّا مات نقراوش خلف من الأولاد ثلاثة، وهم : نقراش، ومصريم، وعيقام، فتولّى بعده ابنه نقراشثم، تولى بعده أخوه مصريم، وتولى بعده أخوه عيقام، وقيل إنه توجه إلى جبل القمر، وبنى هناك قلعة من نحاس أصفر، وجعل على منبع النّيل هناك خمسةً وثمانين تمثالاً من نحاس، يخرج من حلوقها ماء النيل بقانون وتدبير بما يكون فيه لأهل مصر المنفعة دون الفساد، وقدر ذلك على ستة عشر ذراعاً بما يروي به أراضي مصر كلها، أعاليها وأسافلها، ويحصل لها الرّي الكامل في جميع جهاتها، واستمرّ عيقام ساكناً بالقصر الذي بناه على سفح جبل القمر عند البطائح التي يصبّ

[1] الكتاب الصغير ص ١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيها ماء النيل من تلك التماثيل التي صنعها هناك إلى أن هلك، ودفن بقصره المذكر[١]).

٣/أ- في الكتاب الصغير تحت عنوان *ذكر أخبار الجبال*

(وأعجب من هذه الحكاية ما ذكره وصيف شاه في أخبار مصر أن بنواحي الصعيد شجرة، إذا وضع أحد يديه عليها وقال: يا شجرة العباس! جاءك الناس تجمع أوراقك تشرع في الذبول، وإذا قال لها: عفونا عنك، ترجع إلى ما كانت عليه من الحسن والنضارة، وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط، مستديرة الأوراق، بهيّة المنظر[٢]).

٣/ب- في "بدائع الزهور" تحت عنوان: *عجائب مصر*

(ومنها كان بقرية من قرى الصعيد قرية يقال لها دشقاسنطة إذا تهددت بالقطع تذبل، وتجمع أوراقها، فإذا قيل لها : قد عفونا عنك من القطع، فتتراجع أوراقها كما كانت، وهذا من العجائب التي لم يسمع بمثلها[٣])

٤/أ- في الكتاب الصغير تحت عنوان: *ذكر أخبار الجبال*

(من العجائب حجر إذا وضع عليه الإنسان يداه تقايا كل ما في جوفه، فما دامت موضوعه فهو يتقايا، فان لم يرفع يده عند كفايته خرجت أمعاؤه فيموت[٤]).

٤/ب- في "بدائع الزهور" تحت عنوان: *عجائب مصر*

(ومنها كان بها الحجر الذي إذا مسكه الإنسان بكلتا يديه تقايا كلّ شيء كان في بطنه[٥])

٥/أ-في الكتاب الصغير تحت عنوان: *ذكر أخبار الجبال*

(قال ابن عبد الحكم: أقامت الإسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد أن يدخلها إلا وعلى عينيه شعرية أو خرقة زرقاء من

---

[١] بدائع الزهور ج ١ ق١ ص ٦٥ – ٦٦.

[٢] الكتاب الصغير ص ٢٣.

[٣] بدائع الزهور ج ١ق١ ص ١٧.

[٤] الكتاب الصغير ص ٢٥.

[٥] بدائع الزهور ج ١ق١ ص ١٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شدّة بياض حيطانها، فإنّها كانت تخطف الأبصار، وكان لا يوقد بها سراجٌ في الليالي المقمرة، وكانت عمارتها ممتدّة من رمال رشيد إلى برقة[1]).

٥/ب–في "بدائع الزهور" تحت عنوان: *ذكر مدينة مريوط*

(اعلم أن هذه المدينة كورة من كور الإسكندرية، وكانت لشدّة بياض حيطانها لا يدخلها الليل إلا بعد مضي عشر درجات من الغروب، وكانت متّصلة بالعمرة إلى أرض برقة[2]).

٦/أ– في الكتاب الصغير تحت عنوان:*ذكر أخبار عمود السواري*

(قال القضاعي ..... كان حول الرّواق سبعمائة عمود يسمونه الملعب، يجتمعون تحت تلك العمد في يوم معلوم من السنة، ويرمون بينهم الكرة لتقع في حجر أحد منهم، والذي تقع في حجره يكون ملكاً في مصر ولو بعد حين، فحضر في بعض أعيادهم عمرو بن العاص، فوقعت الكرة في حجره، فملك مصر بعد ذلك في زمن الإسلام، وكان يحضر في ذلك الملعب ألف ألف إنسان من الأقباط، وغيرهم من سائر الأجناس، قيل: لما وقعت في حجر عمرو بن العاص تعجّب كلُّ من كان حاضراً، وقالوا: من أين لهذا الأعرابي أن يكون ملك مصر بيده؟!فلا زالت إرادة الله تعالى إلى أن صار والي مصر والإسكندرية من أعمال مصر[3]).

٦/ب– في "بدائع الزهور" تحت عنوان:ذكر دخول عمرو بن العاص إلى مدينة الإسكندرية في زمن الجاهلية

(قال ابن عبد الحكم : كان القبط يجتمعون في الملعب الذي كان بالإسكندرية في يوم معلوم من السنة، ويرمون باكرة، فلا تقع في حجر أحد من الحاضرين إلا ملك مصر، وكانت هذه الأكرة من الذهب، مكللة باللؤلؤ والياقوت، وكانوا يلتقفونها بأكمامهم، فمن وقعت الأكرة في كمه، واستقرت فيه لم يمت حتى يملك مصر، وكان يحضر هذا الملعب ألف ألف إنسان من القبط وغيرها،

[1] الكتاب الصغير ص٢٦

[2] بدائع الزهور ج ١ق١ ص ١٩.

[3] الكتاب الصغير ص ٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلا يكون فيهم أحد إلا وهو ينظر في وجه صاحبه عند وقع الأكرة[1])

٧/أ- في الكتاب الصغير تحت عنوان ذكر *قصة نوح*

(قال ابن وصيف شاه ..... فعند ذلك أمر سوريد ببناء هذه الأهرام، وقد جعل أساسها مقدار ارتفاعها عن الأرض، وقال هذه نواريس لنا، وقبورا لأجسادنا، ثم نقل إليها أشياء كثيرة من الأموال، والجواهر، والمؤَن، والسّلاح، والتماثيل العجيبة، والأواني الغريبة التي هي من سائر المعادن، .....، وادَّخر ما ذكرناه من أموال وغير ذلك، وقال: إن كنا ننجوا من هذا الطوفان نعود إلى ملكنا، فنجد أموالنا كما هي باقية، وان متنا فتكون هذه الأهرام قبورا لأجسادنا[2].....).

٧/ب-في "بدائع الزهور" تحت عنوان: من *ملك الديار المصرية في أول الزمان*

(قال ابن وصيف شاه : أن سورنيد هذا هو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر قبل الطوفان بثلثماية سنة، وكانت الكهنة تنذر الناس بأمر الطوفان؛ فبنىسورنيد هذه الأهرام، وأودع فيها أمواله، وتحفه، وكتبه النفيسة في العلوم الجليلة، وقال: إن مضى الطوفان ونحن في الدنيا، فترجع إلينا أموالنا وذخائرنا، وإن نحن متنا في هذا الطوفان، فتكون هذه الأهرام قبورا لأجسادنا[3]).

٨/أ-في الكتاب الصغير تحت عنوان: ذكر *ما كان من أخبار الأرض بعد الطوفان*

(قال الكسائي لما استقر نوح في الأرض قسم الجهات بين أولاده الثلاثة، وهم: سام، وحام ويافث، .....فسكن مصرايم بمصر، وبه سميت فكان من ذريته القبط[4]).

٨/ب-في "بدائع الزهور" تحت عنوان *من ملك مصر بعد الطوفان*

(قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : إنّ نوح لمّا خرج من السفينة كان معه أربعة أولاد، وهم: سام، وحام،ويافث،وارفخشيد، وقيل: كان له ولد آخر يسمّى يحطون، فلمّا

[1] بدائع الزهور ج ١ق١ ص ٩٣.

[2] الكتاب الصغير ص٥٢.

[3] بدائع الزهور ج ١ق١ ص ٦٩ – ٧٠.

[4] الكتاب الصغير ص ٥٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خرج من السفينة قسم الأرض بين أولاده وأولاد أولاده، فأعطى بصير ابن ولده حام أرض مصر[١].

٩/أ- في الكتاب الصغير تحت عنوان: *قصة يوسف*

(قال السدي أن لملك الريان صاحب مصر توفي في زمن يوسف، ويقال انه اسلم على يد يعقوب، وكان اسمه الريان بن الوليد بن ارسلادس، وكان حسن السيرة، عادلا في الرعية، وكان خراج مصر في زمانه ألف ألف دينار، ولمّا وقع الغلاء في أيامه أسقط عن المزارعين بأرض مصر خراج ثلاث سنين[٢].

٩/ب-في"بدائع الزهور" تحت عنوان: *ذكر من ملك مصر من الفراعنة*

(أمّا فرعون يوسف عليه السلام فكان اسمه الرّيان بن الوليد بن ارسلادس، وكان حسن السيرة، عادلا في الرعية، وكان خراج مصر في أيّامه ألف ألف دينار، قيل: وقع الغلاء في أيّامه فأسقط عن المزارعين بمصر خراج ثلاث سنين، ..... واستمرّ الريان على ملكه بمصر حتى مات في أيام يوسف عليه السلام، وقيل:إنه أسلم على يد يعقوب عليه السلام لما دخل مصر[٣].

١٠/أ- في الكتاب الصغير تحت عنوان: *ذكر بختنصر البابلي*

(ثم دخل بختنصر إلى بيت المقدس .....ثمَّ توجّه إلى مصر، ففتك في القبط بالسيف، وخرب ما كان بها من العمارات العجيبة، والطلسمات، وأخذ الأموال، والتحف، ورحل عنها، وتركها خراباً، وبقيت مصر خراباً مدّة أربعين سنة لا ساكن بها، فكان النيل ينفرش على الأرض، ويذهب، ولا يزرع أحد عليه، ثم أن بختنصر توجه إلى بلاد الغرب[٤].....).

١٠/ب-في "بدائع الزهور" تحت عنوان: *ذكر ابتداء دولة الأقباط في مصر*

(وفي أيّام مريتوس زحف بخت نصر المائلي على البلاد، وأخرب بيت المقدس،

[١] بدائع الزهور ج ١ق١ ص٧٤.

[٢] الكتاب الصغير ص ٨٩.

[٣] بدائع الزهور ج ١ق١ ص٨٠.

[٤] الكتاب الصغير ص ١٣٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسبى بني اسرائيل، ثمّ دخل إلى مصر، وقتل مرينوس صاحب مصر، وسبى أهل مصر، وأسر داتيال وارميا عليهما السّلام، وتوجّه بهما إلى أرض بابل، وقتل من أهل مصر نحو سبعين ألف من بني اسرائيل وغيرها، وأخرب ما كان بمصر من البرابي؟؟؟والحكم؟؟؟ التي كانت بها، والطلسمات، ونهب الأموال التي كانت بمصر، وحمل ذلك جميعاً إلى أرض بابل، ثمّ رحل عن مصر بعدما أخربها، وقتل أهلها؛ فأقامت مصر بعد ذلك أربعين سنة خراباً ليس بها ساكن ولا متحرك، فكان النيل إذا زاد ينفرش على الأرض، ثمّ ينهبط، ولا ينتفع به في أمر الزّرع وهذه أوّل شدّة نزلت بأرض مصر، ولم تزل مصر من بعد ذلك مقهورة من العدو[1].

الخاتمة

كلُّ ما تقدّم يدعم ما ذكرنا أنّ ابن اياس استعمل في كتاب بدائع الزهور بعض المعلومات الموجودة في الكتاب الصغير – الذي يعود أصلهإلى مخطوطة منسوبة لابن اياس– والذي نفترض أنه الأجزاء الثلاثة الأولى الضائعة من البدائع أو أحدها،إذا صحّت هذه الفرضيّة. هذا يعني ذلك أنّ ابن اياس لم يرجع إلى هذه المعلومات بشكل مباشر، بل قام بتدوينها في بدائع الزهور بالاعتماد على ذاكرته ممّا كتبه سابقاً، وهذا قد يستقيم تفسيره بكون المعلومات الموجودة في بدائع الزهور مختصرة، وليست بالحرفيّة نفسها، وكذلك قول ابن اياس(هذا ما يحضرني).

في النهاية نؤكد على شيئين:الأوّلإنّ ابن اياس كتب الأجزاء الثلاثة الأولى من بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، الثاني:إنّ ما طرحناه من فرضيّات تدعم بشكل كبير أن يكون الكتاب الصغير هو الأجزاء الثلاثة الأولى الضائعة من بدائع الزهور،أو أحدها، وندعم أن يكون الجزء الأوّل؛ لأنّهيبدأ من بداية الخليقة.

[1] بدائع الزهور ج ١ق١ ص ٨٨ – ٨٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التطور السياسي في تشاد منذ عهد الممالك الإسلامية وحتى ظهور الدولة التشادية

إعداد
الدكتور إبراهيم برمة احمد
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الشارقة للعلوم التربوية وكلية الدراسات العليا قسم التاريخ والحضارة
بجامعة الملك فيصل بتشاد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين، نبينا محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

تُعد دولة تشاد من الدول التي شهدت صراعات ولكن بالرغم منها إلا أنها استطاعت أن تطور نفسها في العديد من المجالات . لذا فإن هذا البحث يلقي الضوء على مدى التطور السياسي منذ عهد تلك الممالك الإسلامية وحتى ظهور الدولة التشادية بصورة متكاملة .

الفصل الأول: عهد السلطنات الإسلامية في تشاد

تعتبر تشاد بحدودها الجغرافية والإدارية المعروفة اليوم موجودة قبل وصول المستعمر الفرنسي عام ١٩٠٠م، إنما كانت المنطقة تتقاسمها بعض السلطنات الممتدة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وهي مملكة كانم برنو، وسلطنة وداي، ومملكة باقرمي.

المبحث الأول: سلطنة كانم-برنو(٨٠٠-١٨٩٤م)

أ- الموقع والنشأة:

تقع مملكة كانم برنو في غربي تشاد وتحتل الأراضي الواقعة حول بحيرة تشاد الواقعة شرق إمارات الهوسا ، وتقع كانم إلى الشرق من برنو ، وهما تحيطان ببحيرة تشاد ، فلما انتشر الإسلام في برنو وكانم ارتبط تاريخهما ارتباطا طويلا ومهما بحيث أصبح ضروريا أن يجرى الحديث FAGE في دولة (برنو – كانم) وأكثر برنو الآن يدخل ضمن اتحاد نيجيريا ، أما كانم فجزأ من جمهورية تشاد .

تقع كانم بين خطي طول ١٠، ١٥° شرقاً، وخطي عرض ١٠، ٢٠° شمالاً، وتمثل بحيرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشاد مركزاً متوسطاً فيها، وتضيق مساحتها كلما اتجهنا شرقاً. (١)

وحدود هذه المملكة تبدأ من بحيرة تشاد إلى ساحل المحيط الأطلسي غرباً، وإلى بلاد الحبشة شرقاً، وتشغل هذه المنطقة أراضي السافنا التي تلتقي مع منطقة الغابات الاستوائية الوسطى. وهناك من حدد موقعها بأنها شرق بحيرة تشاد وامتدت في الشرق حتى بحر الغزال، وشملت وداي والمناطق الواقعة إلى الغرب من بحيرة تشاد، وفي منطقة المراعي بين النيل والنيجر، وتقع تماماً في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد. (٢) وموقع هذه المملكة هام، لأنه ملتقى القوافل التجارية المارة عبر أفريقيا، مما جعل مملكة كانم تكون منطقة نشاط وحياة، فضلاً عن أن منطقة بحيرة تشاد منطقة خصبة اجتذبت إليها كثير من العناصر القوية. (٣)

دور سلاطين كانم الحضاري: ولسلاطين كانم دور بارز في نشر الإسلام، والثقافة الإسلامية بين أمم السودان الغربي والأوسط، في مقدمتهم السلطان "أومي جلمي" السلطان الثاني عشر في تعداد سلاطينها، وكان أول من اعتنق الإسلام من سلاطين كانم، وكان أول من جعل للدولة قوانين تحدد سلطة السلطان، وتنظم العلاقة بين الحكام والرعية، وقام بفصل السلطات التشريعية عن السلطات التنفيذية، فأولى العلماء حق شغل المناصب التعليمية والقضائية، وجعل منهم مستشارين وكتبة ومؤدبين لأبناء الحكام (٤)، وكان حكمه في الفترة ما بين عامي (٤٧٩-٤٩٠هـ، ١٠٨٥-١٠٩٧م)، وفي عهده ازدهر الإسلام حتى صار الدين الرسمي للدولة، كما أنه وسع علاقات السلطنة مع السلطنات المجاورة، وبنى في عهده جيشاً قوياً، أسس به دعائم سلطته، وصار مصدر قلق وإزعاج للسلطنات

١) أبو شعيشع، مصطفى علي بيسوني: برنو في عهد الاسرة الكانمية ١٨١٤-١٩٦٩م، دار العلوم للـــطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٣.

٢) إدريس، حواء موسى: الوضع الاجتماعي والاقتصادي لسلطنة كانم برنو (١٢٣٦-١٢٩٦) هـ (١٨٢٠-١٨٨٠) م، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم درمان، قسم العلوم النظرية، السودان، العام الجامعي ٢٠١٦-٢٠١٧م، ص ١٠.

٣) الدكو، د. فضل كلود: الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، (٦٠٠ ـــ ١٠٠٠هـ)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.ص ٣٨.

١) الدكو، د. فضل كلود:الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، (٦٠٠ ـــ ١٠٠٠هـ)، مرجع سبق ذكره، ص ٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجاورة، وبينما كان في طريقه للحج للمرة الثالثة عبر البحر الأحمر قام بإغراقه المصريون، لأنه أصبح يشكل مصدر قلق لهم، وخلفه ابنه "دونامة" الذي دام حكمه ثلاثة وخمسين سنة من (١٠٩٦-١١٥٠م).[١]

والجدير بالذكر أن هذا السلطان قد أصدر وثيقة في حق أحد العلماء يمنحه فيها بعض الامتيازات، نظير ما قدمه من خدمات وجهد في سبيل نشر الإسلام في بلاد كانم، وقد عرفت الوثيقة بـــ(محرم) جمعه محارم: والمحرم هو المرسوم السلطاني الذي يصدره السلاطين لصالح من يرضون عنهم من العلماء والأقربين والمخلصين من الموظفين، وقد اشتهر ملوك كانم بإصدار هذه المراسيم السلطانية، وقد ترجم المستشرق الإنجليزي "بالمر" عشرين منها في كتابه مذكرات عن السودان.وكان من أعماله أيضاً أنه وسّع رقعة سلطنته حتى وصلت فزان شمالاً وإلى تلال دكوة جنوباً، ومن وداي شرقاً حتى نهر النيجر غرباً. [٢]

كذلك من السلاطين الذين لهم دور فعّال في نشر الإسلام السلطان "بري دونمة" (٥٤٦-٥٥٧٢هـ، ١١٥٠-١١٧٦م)، والسلطان "سالما" (١١٩٤-١٢٢٠م)، والسلطان "دونمة بن دايال" (١٢٢١-١٢٥٩م)، والسلطان الحاج "إدريس ألوما" (١٥٧٠-١٦٠٣م)، جميع هؤلاء السلاطين اهتموا ببناء المساجد، وتمسكوا بالقرآن وشريعة الإسلام.

كان السلطان "سالما" أول من بعث كسوة للكعبة من سلاطين وملوك السودان، وأصدر بذلك (محرماً) جعل فيه الكسوة للكعبة تقليداًمرعياً في السلطنة[٣].

نظام الحكم في كانم:

ونظام الحكم في سلطنة كانم برنو الإسلامية يتألف من مجلس الشورى، الذي يتكون من اثني عشر شخصاً، وهم يشرفون على تدبير أمور السلطنة، وينتمون كلهم إلى الأسرة الحاكمة، يعملون في مجلس الشورى مدى الحياة، أي يتوارثون عملهم في المجلس، لذلك سار يعرف بمجلس (الاثني عشر)، وعندما نمت

٢) برقو، حسن عبد الله: النزاعات المسلحة في دارفور وأثرها على الأمن القومي التشادي في الفترة ما بين ٢٠٠٣-٢٠١٠م، ، ص ١١٨.

١) برقو، حسن عبد الله: ، مرجع سبق ذكره، ص ١١٨.

٢) الدكو، د. فضل كلود: الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، (٦٠٠ ـــ ١٠٠٠هـ)، مرجع سبقذكره، ص ص ١٠١-١٠٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصادر ثروتها ظهرت الحاجة إلى مشاركة بقية أفراد الشعب في تسيير أمورها.[١] ومما سبق يتضح مدى اجتهاد سلاطين كانم وإخلاصهم لنشر الإسلام، وأنهم أضحوا أمناء على دين الإسلام في إقليم غرب أفريقية إبان حكمهم، وعملوا على نشره بين رعاياهم، وحرصوا على ذلك حتى توحدت أمتهم تحت رأيته، ولغوا بذلك شأناً عظيماً بين الأمم.

وبفضل الإسلام ونظمه السوية اتسعت دولتهم حتى ضمت كثيراً من الأقاليم المجاورة، وفي سبيل نشر هذا الدين سلكوا طريقاً سليماً للوصول إلى غايتهم السامية، وهي تمكين الناس من اعتناقه، وإعلاء كلمة الله في الأرض.[٢]

المبحث الثاني: سلطنة باقرمي

الموقع والنشأة: تعتبر سلطنة باقرمي من الممالك الإسلامية الهامة التي قامت في منطقة السودان الأوسط، وهي تقع في الجنوب الشرقي لسلطنة كانم، ويعتبر دخول الإسلام في المنطقة في أواخر القرن الخامس عشر سبباً مباشراً في قيامها عام ١٥١٣م.[٣]

وتبلغ مساحة الباقرمي وتوابعها وفقا للإحصاء الذي قام به الكولونيل "لا رجو" عام ١٩٠٣م حوالي (٤٠,٠٠٠) ميل مربع.

والباقرمي عبارة عن سهل واسع مستوي في أغلب أجزائها، مما جعل الماء لا يجري في هذه البلاد، كما تنتشر فيها المستنقعات، وهناك بعض المرتفعات حول هذه البلاد، ففي الشمال تلال (أنقورا)، وفي الشرق جبال (قيرا)، وتقع (ماسينيا) عاصمة البلاد في وسط هذه المناطق، وتعتبر أكبر مدينة في باقرمي، وفيها مقر السلطان أيام زيارة "بارث" الرحالة الألماني الذي زار باقرمي عام ١٨٥٢م، وقد بنيت وأحيطت بأسوار محيطها سبعة أميال، وقد بنيت بيوتها من

---

١) أحمد، أحمد قاسم: الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (١٩٥٠ ــ ١٩٨٠م)،مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٤-٦٥.

٢) الدكو، د. فضل كلود ، مرجع سبق ذكره، ص ١١١.

١) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
، ص ١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطين ما عدا قصر السلطان، والمسجد، فقد بنيا من الحجر.

تأسست عاصمتها عام ١٥١٣م، ومؤسسها "برني بيسي' وهو أول سلطان لباقرمي (١٥٢٢-١٥٣٦م). [١]

كانت سلطنة باقرمي من السلطنات التي تدين بالتبعية لسلطنة كانم برنو، غير أن حكامها انتهزوا فرصة ضعف كانم برنو، وأعلنوا استقلالها في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

ولقد حاول الشيخ "محمد الأمين الكانمي" الاستيلاء على السلطة في باقرمي والعمل على إعادتها إلى ما كانت عليه من ولاء سابق لبرنو، فنشبت الحروب بينه وبين سلطان باقرمي لمدة ثماني سنوات (١٨١٩-١٨٢٤م)، ومع ذلك لم يتمكن من بسط نفوذه على باقرمي لانشغاله في حربه مع الفولانيين، ومع السلطان عبد الكريم صابون سلطان وداي. [٢]

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة باقرمي لها تفسيرات عديدة منها: ذكر أن سبب تسمية الباقرمي جاء من سبب أن أول سلطان لها ألزم العرب والفلاته -أصحاب المواشي- الذين يسكنون في أرضه، وتحت حمايته أن يدفعوا كل سنة مائة رأس من البقر لخزينة الدولة، لذا أطلق العرب على قبيلة السلطان (بقر مائة)، كما قيل في سبب تسميتهم بـــ(الباقرمي) يعني (بقرمائة)، وذلك أن جدتهم الأولى لا تلد إلا ابناً أبيضاً، ولكن ابنها الأخير ولد كاحل السواد، فأخفته عن زوجها، وقالت لا أطلعك على المولود الجديد حتى تهبني مائة من البقر، فأعطاها فسمي بـــ(بقر مائة)، وصار الاسم علماً عليهم، ويقال: أن كلمة (باقرمي) لم يقصد بها قبيلة بعينها، وإنما هم قوم تكونوا من اختلاط السكان الأصليين بالمهاجرين. [٣]

أ- نظام الحكم في باقرمي وأشهر سلاطينها:

كانت حكومة سلطنة باقرمي مكونة من ستة عشر منصباً إدارياً، منها: الاثني عشر منصباً معداً للرجال، وأربعة مناصب خصصت للنساء، ومن بين الاثني عشر منصباً هناك ثمانية مناصب خصصت

---

٢) الأبقاري، محمد أمين أبه: الحضارة الإسلامية في مملكة باقرمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص ص ١٠-١١.

٢) إسحاق، إبراهيم محمد: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد، مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

٣) الأبقاري، محمد أمين أبه: المرجع السابق، ص ص ٤٧-٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للأسرة الحاكمة، والأربعة المتبقية توزع على بقية الرعية[١]، ومن أشهر سلاطينها:

١. برني بيسي (١٥٢٢-١٥٣٦)
٢. باتغ عبد الله (١٥٦٨-١٦٠٨م)
٣. الحاج محمد الأمين (١٧٥١-١٧٨٥م)
٤. عبد القادر (١٨٤٦-١٨٥٨م)
٥. عبد الرحمن قورنغ الثاني ١٨٨٠-١٩١٨م

المبحث الثالث: سلطنة وداي

أ- الموقع النشأة

يبدأ تاريخ سلطنة وداي الحديث من عام ١٦١٥م، حسبما ورد في بعض المصادر التاريخية.

فقد استولى (التنجر) على بلاد الزغاوة والمابا، وأسسوا سلطنة واسعة الأرجاء كانت عاصمتها (كتم)، وبسطت هذه السلطنة نفوذها على دارفور.[٢]

نشأت السلطنة في الجزء الشرقي من بحيرة تشاد، وتحدها من الشمال بلاد بركو، ومن الغرب والجنوب الغربي سلطنة كانم، ومن الجنوب الشرقي دار رونقا، ومن الشرق سلطنة دارفور، ويفصل بينهما وبين سلطنة باقرمي وادي يسمى وادي (أبوراوي).[٣]

وفي أوائل القرن السابع عشر استطاع الفقيه عبد الكريم بن جامع (١٦١٥-١٦٥٥م) أن يستولي على السلطة بمساعدة قبائل (كودوك، ومابا، ومالانقه)، وعدد آخر من الأنصار، وقد استمر النظام السياسي الذي أسسه حتى احتلت القوات الفرنسية مدينة (أبشة) عاصمة السلطنة الحديثة.

كانت سلطنة وداي عاصمتها الأولى هي (وارا)، ثم نُقلت إلى (أبشة) سنة ١٨١٥م، والذي نقلها السلطان محمد الشريف.

لقد اختلفت الروايات حول تأسيس سلطنة وداي، ويرى الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي-رحمه الله-أن تاريخ سلطنة وداي الحديث يبدأ من عام ١٦١٥م. [٤]

---

١) آدم، الصادق أحمد: جهود علماء أبشة في تشاد خلال القرن العشرين، رسالة ماجستير ، جامعة الملك فيصل ، ص ٢٥.

١) الماحي، عبد الرحمن عمر: ، مرجع سبق ذكره، ص ١٨.

٢) إسحاق، عز الدين مكي: مختصر تاريخ سلطنة وداي الإسلامية العباسية، (ب، د)، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص ٨.

٣) الماحي، عبد الرحمن عمر، المرجع السابق، ص ١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويرى الدكتور محمد صالح أيوب بأنها نشأت في سنة ١٦١١م، أما "توماس أرنولد" فيرى أن تأسيسها كان في عام ١٦١٢م، ويصفها بأنها كانت المركز الرئيسي للنفوذ الإسلامي في ذلك الوقت. (١)

ويتفق كل من "التونسي" و"بالمر" و"بارث" و"أسكيب أرسلان" إلى أن تأسيسها كان حوالي ١٠٢٠ه، الموافق ١٦١١م، على يد رجل صالح من أسرة الجوامعة تعرف بالقمر بقيادة زعيمهم "وودا"، ثم دخل هذا الزعيم مدة في خدمة (التنجر)، واستطاع حفيده "عبد الكريم" المسمى بـــ(مجدد الإسلام) أن يقضي على حكم (التنجر) سنة ١٦١١م، وأن يؤسس دولة اشتهرت باسم وداي نسبة إلى جده "وودا". (٢)

ب- نظام الحكم في وداي:

حكمت الأسرة العباسية سلطنة وداي، وتوارث أبناؤها العرش، وقد جرت العادة أن يورث عرش السلطنة أكبر أبناء السلطان، ويشترط أن يكون ابناً شرعياً سليم العقل والبدن، ولكن كثيراً ما يقوم أحد الأمراء باغتصاب العرش بعد مقتل أو طرد ولي العهد، أو السلطان الحاكم.

والسلطان هو أعلى سلطة في السلطنة، يساعده مجلس الشورى، ويتكون أعضاؤه من أهل رجال الدولة مثل: (الجرما) رئيس الوزراء، و(الكماكلة) الأربعة وهم قضاة السلطنة العليا، ويليهم (المومو) أم السلطان، إن كانت على قيد الحياة، وإلا (الحبابة) وهي أكبر زوجات السلطان، ثم (العقدة) وهم حكام الولايات، ثم (الكامنة) ثم (التراقنة). (٣)

ج- العلم والعلماء في وداي:

لقد لعبت سلطنة وداي دوراً كبيراً في نشر الإسلام وتطور اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المنطقة خاصة وتشاد عامة، وذلك لعدة عوامل انفردت بها عن غيرها من الممالك التشادية منها: موقعها المتاخم للسودان ومصر وليبيا، وأن الحكام فيها كانوا من عناصر عربية، يستخدمون اللغة العربية في دواوينهم، والشريعة الإسلامية

---

٤) أيوب، د. محمد صالح: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي ــ تشاد (١٨٠٣ ــ ١٩١٧م)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م ، ص ٨٧.

١) جاكو، محمد شريف: العلاقات السياسية والاجتماعية بين جمهورية تشاد وجمهورية السودان (١٩٦٠-١٩٩٠م)، مكتبة مدبولي، القاهرة،الطبعة الأولى، ١٩٩٧م. ، ص ٢١.

٢) أحمد، أحمد قاسم: الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (١٩٥٠ ــ ١٩٨٠م)رسالة دكتوراة غير منشور ، جامعة الملك فيصل ، ص٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في محاكمهم المحلية، ولهم اتصال بإسطنبول عن طريق القاهرة. [١]

لقد اهتم علماء وسلاطين وداي بتربية شعب وداي تربية إسلامية، قائمة على تقوى الله ورسوله، وعلى الحق والعدل بين الرعية، وبذلك قامت سلطنة وداي الإسلامية على لبنات متينة، بفضل الإرشادات، وكانت العلاقات الاجتماعية والأسرية في غاية السمو، إذ كانت نابعة من تعاليم الشرع، وخلق القرآن، فكانت الصلة بين الكبير والصغير، والغني والفقير، وبين الزوجين، وغير ذلك من العلاقات الاجتماعية القائمة على الود والاحترام. [٢]

وقد استمر اهتمام سلاطينها بالعلم فقاموا بتأسيس الخلاوي باعتبارها أماكن لتعليم القرآن الكريم، ويطلق عليها في بعض البلاد الإسلامية اسم (الكُتاب)، بينما يسمى في تشاد (المسيك أو المسيج)، وهذه الكلمة تحريف لكلمة (مسجد).

ويربط بعض الباحثين النشأة التاريخية للخلوة القرآنية النموذجية الأولى التي كانت في دار الأرقم بن الأرقم، التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يلتقي فيها بالمسلمين الأوائل، فيقرئهم القرآن، ويعلمهم أحكام الدين الحنيف.[٣]

هذا عن نشأة الخلوة في العالم الإسلامي، أما في سلطنة وداي حيث بدأ مؤسس السلطنة دعوته انطلاقاً من الخلاوي القرآنية، فكان يؤسس في كل قرية تبلغها دعوته خلوة، ثم يذهب إلى قرية أخرى.

تتابع السلاطين وصاروا على نهجه، في الاهتمام بالتعليم في الخلاوي، وقد أمر السلطان "صابون" أن يكون تعليم الأبناء في الخلاوي القرآنية إجبارياً على أوليائهم، وانتشرت الخلاوي في أنحاء السلطنة، وأقبل إليها التلاميذ، وأصبح الانتساب إليها مصدر فخر واعتزاز للتلميذ وأسرته، وكان من أشهر الخلاوي خلوة الشيخ آدم بركة.

---

١) عوام، الطيب علي: العلاقة بين العلماء والسلاطين في مملكة وداي، دبلوم الدراسات المعمقة(غير منشور)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠١-٢٠٠٢م، ص ص ٢٣-٢٤.

٢) فوزي، أحمد: مقاومة الثقافة الإسلامية في وداي ضد الغزو الفرنسي في عهد الاستعمار (١٩٠٠-١٩٦٠م)، رسالة متريز، جامعة أنجمينا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تشاد، العام الجامعي ٢٠٠١-٢٠٠٢م، ص ١٦-١٧.

٣) الماحي، عبد الرحمن عمر ، سبق ذكره، ص ٢٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى جانب الخلوة فللمسجد دور كبير وأهمية قصوى في الإسلام باعتبارها محطة روحية يتزود فيها الانسان المسلم طاقات إيمانية، وقد اشتهر المسجد عبر التاريخ برسالة التعليم ونشر الثقافة الإسلامية ومبادئ الدين، وقد أصبحت بعض المساجد بفضل رسالتها العلمية نواة لجامعات عريقة مثل: (الجامع الأزهر الشريف) بمصر، وجامع القيروان، وجامع الزيتونة بتونس. (١)

ولعل الأهمية العظيمة للمسجد جعل النبي– صلى الله عليه وسلم–يبدأ أولى خطواته العملية بالمدينة بناء المسجد الذي كان أول مسجد بني في الإسلام، وأصبح مركز القيادة، ومدرسة لقراءة القرآن الكريم وحفظه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه السلطنة قد اهتم سلاطينها بالمساجد وبناءها، فالسلطان "محمد الشريف" عندما نقل العاصمة من (وارا) إلى (ابشة) قام ببناء مسجد، وهو الجامع العتيق، وقد تناولت الكتب التاريخية نماذج من العلماء الذين تولوا إمامة هذا المسجد، من أبرزهم: الشيخ الإمام "حبيب بن نعمة" توفى ودفن في مقبرة الجامع نفسه، والشيخ "الوالي إدريس" الملقب بصاحب الجامع شيخ المعهد العلمي بالجامع العتيق، توفى ودفن أيضاً بمقبرة الجامع، والإمام "محمد الجزولي" ابن الإمام حبيب، وهو أيضاً إمام الجامع العتيق، درس على المنهج التقليدي، ثم سافر لاستكمال تعليمه إلى دار برنو، ثم إلى المغرب، ثم قصد الأراضي المقدسة، وقد سلك في هذه الرحلة العلمية طريق والده الإمام، وبعد رجوعه عين مدرساً للغة العربية والعلوم الشرعية، ثم أوكل إليه منصب المفتي العام، بالإضافة إلى دوره كمستشار للسلطان، وكان له مصنفات في العلوم الشرعية التي كان يدرسها، وقد استولى عليها الفرنسيون بعد حادثة الكبكب في ١٩١٧/١١/٢٥م.(٢)

إنه من الأهمية بمكان أن نتطرق ولو سريعاً لحادثة الكبكب ونحن نتناول دراسة مملكة وداي.

---

١) العبيدي، د. عبد العزيز: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا،مجلة دراسات أفريقية، العدد السادس،الخرطوم، ١٩٩٠م، ص ٤٤.

٢) أيوب، د. محمد صالح: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي ــ تشاد (١٨٠٣ ــ ١٩١٧م)، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٢٤-٢٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقعت حادثة الكبكب في مدينة (أبشة) حاضرة سلطنة وداي، قامت بها الإدارة، حيث صُدر أمر بمحاصرة العديد من العلماء بمدينة (أبشة) أثناء تأديتهم لصلاة الصبح، وذلك بتاريخ ١/٢٥/ ١٩١٧م، هجم عليهم الجنود الفرنسيون، وقتلوا حوالي (٤٠٠) عالم، وأثناء القتل استخدم (الكُبكُبْ) في قطع رؤوس العلماء، هذا حسب ما نقله المؤرخون التشاديون، أما التقارير الفرنسية تذكر بأن عدد القتلى بلغ مائة شخص، وصاحبت عملية القتل الجماعي جمع كتب هؤلاء العلماء ومخطوطاتهم، ومزق بعضها وأُحرق الآخر، وأرسل بعضها إلى المتاحف الفرنسية، واحتفظوا ببعضها في مخازن محلية بمدينة (أبشة) لتسليمها للسلطان الجديدة بعد أن قاموا بنفي السلطان دود مرة إلى مدينة (فورت لامي أنجمينا حالياً). [1]

الفصل الثاني: ظهور الدولة التشادية الحديثة

كانت المنطقة المعروفة اليوم بدولة تشاد تتقاسمها عدة سلطنات هي سلطنة كانم برنو، وسلطنة باقرمي، وسلطنة وداي، وكان لكل من هذه السلطنات ذاتيتها وكيانها واستقلاليتها بحدودها الجغرافية وقيادتها وسلطتها الحاكمة.

وبعبارة أكثر دقة وتحديداً، كانت كل منهما تمثل دولة ذات سيادة كاملة الأركان.

ولكن خلال الفترة من (١٨٩٣-١٩٠٠م) نجح المغامر السوداني "رابح فضل الله" أن يؤسس إمبراطورية مترامية الأطراف.

ظهر"رابح" خلال الصراع الذي دار في السودان بشأن الوجود المصري الإنجليزي، حيث خاض معارك ضارية بجانب "الزبير باشا" في منطقتي دارفور وبحر الغزال، وبعد احتلال الانجليز لهاتين المنطقتين غادر "رابح" السودان مع عدد كبير من أنصاره في يوليو ١٨٧٩م.

استقر "رابح" حيناً من الدهر في منطقة (غوندة) بأفريقيا الوسطى، حيث أقام فيها معسكراً قوياً، ودرب أنصاره على استخدام السلاح، ونشر الدعوة الإسلامية بين قبائل (بندة).

---

١) يوسف، عبد الرحمن عيسى: المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين ١٨٩٧-١٩٤٤م، دبلوم الدراسات المعمقة (غير منشور)، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل، أنجمينا، العام الجامعي ١٩٩٨-١٩٩٩م، ص ٥٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مكث "رابح" حوالي عشر سنوات في دار (كوتي)، ودار (بندة)، وأقام علاقات طيبة مع الجدي شيخ السلامات، وابتداء من سنة ١٨٨٨م قام بعمليات حربية ضد القبائل الإحيائية التي تقطن على ضفاف نهري السلامات وشاري. (١)

وبعد حروب طويلة استطاع 'رابح' خلالها بسط سيطرته على معظم أراضي هذه السلطنات، وتأسيس إمبراطورية واسعة على أنقاضها، بجانب أجزاء أخرى من مناطق تتبع اليوم لبعض الدول المجاورة لتشاد، كنيجيريا والكاميرون.

حكم "رابح" المناطق التي استولى عليها في الفترة ما بين (١٨٩٣-١٩٠٠م) بالنظام اللامركزية، فقد ظل يحمل لقب أمير المؤمنين الذي أطلق عليه منذ عام ١٨٨٠م.

كان نشأة إمبراطورية "رابح فضل الله" تزامن مع المد الاستعماري لأفريقيا عامة، وهذه المنطقة على وجه الخصوص.

ففي أعقاب مؤتمر برلين (١٨٨٤-١٨٨٥م) الذي حدد القواعد العامة التي يسير عليها المستعمرون في تقسيم أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وأخذت فرنسا تمد نفوذها نحو حوض بحيرة تشاد، ونهر النيجر وأعالي النيل، لتربط بين مستعمراتها في غرب وشرق أفريقيا من جهة، وفي شمالها وجنوبها من جهة أخرى، وكان وجود "رابح' في المنطقة يعتبر خطراً يحول دون تحقيق هذه الآمال.(٢)

على إثر ذلك دخل الطرفان في حروب دامية وشرسة، وانتهى بمعركة كسري الشهيرة، والتي قتل فيها قائدا الطرفان هما: "رابح فضل الله" و "لامي' وكان ذلك في ٢٢ أبريل ١٩٠٠م، وبذلك انتهت مقاومة 'رابح' عندها عمل الفرنسيون على إخضاع كامل المنطقة وتوحيدها، وكان ذلك ميلاد دولة تشاد الحديثة، والتي صارت مستعمرة فرنسية ملحقة لأفريقيا الاستوائية التي كانت تدار من برازافيل.

بعد معركة كسري التي وقعت يوم ٢٢ أبريل ١٩٠٠م، والتي قضى فيها الفرنسيون على "رابح فضل الله" ببضعة أشهر صدر مرسوم في ٥ سبتمبر عام ١٩٠٠م بنشأة الإقليم العسكري لمحمية تشاد... وبعد ذلك بست سنوات صدر

١) الماحي، د. عبد الرحمن عمر: الدعوة الإسلامية في أفريقيا ــ الواقع والمستقبل ــ منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ط١، (ب، ت)، ص ص ٢٠١-٢٠٢.

٢) الماحي، د. عبد الرحمن عمر: المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مرسوم آخر في ١١ فبراير ١٩٠٦م بإنشاء مستعمرة (أوبانجي-تشاد)، وضمها لإدارة حاكم الكونغو الفرنسي، وفي نفس العام تم احتلال كانم بعد أن هزم السنوسيون فيها، ثم أخذت القوات الفرنسية بعد جهد جهيد احتلال معظم المناطق الشرقية والوسطى والشمالية والجنوبية للبلاد.[١]

لقد حكمت فرنسا إقليم تشاد عن طريق وزارة المستعمرات، وكان البرلمان الفرنسي هو الذي يصدر جميع التشريعات الخاصة بها، وإن كانت تفاصيل تطبيقها تترك إلى حاكم الإقليم، فيصدرها بأوامره المحلية، وإذا كانت هناك استشارات بشأن هذه التشريعات فهي تتم غالباً في باريس عن طريق الحاكم العام لأقاليم أفريقيا الاستوائية أو عن طريق ممثلين لهذه الأقاليم، إما في البرلمان الفرنسي، أو في اللجان الاستشارية التي تؤلف لهذا الغرض، والقوانين التي يسنها البرلمان الفرنسي لا تسري على المستعمرات ما لم ينص القانون على ذلك صراحة. [٢]

وقد ظل إقليم تشاد منذ صدور مرسوم ١١ فبراير ١٩٠٦م تابع لأوبانجي شاري، حتى ١٢ أبريل ١٩١٦م، حيث صدر مرسوم ألغي روابط التبعية مع أوبانجي، وجعل أراضي تشاد المحتلة تابعة مباشرة للحاكم العام لأفريقيا الاستوائية الفرنسية في برازافيل، ثم تحولت تشاد إلى مستعمرة على إثر مرسوم ١٧ مارس ١٩٢٠م، ومنذ ذلك التاريخ شهدت مستعمرة تشاد تحويلاً جذرياً في نظامها الإداري، وذلك بعد أن وطدت فرنسا نفوذها في البلاد.

أ- التقسيم الإداري:

وتجدر الإشارة إلى أنه منذ صدور مرسوم ٥ سبتمبر ١٩٠٠م (يهدف هذا المرسوم تنظيم الإقليم العسكري التشادي)، بادر المستعمر الفرنسي إلى تقسيم الأراضي التشادية إلى مقاطعات إدارية يسهل له حكمها بصورة مطلقة.[٣]

---

١) جمعة، حسن بوبا: الحزب التقدمي التشادي ودوره في الحياة السياسية في تشاد (١٩٤٧ ــ ١٩٧٣م)، رسالة دكتوراه السلك الثالث الماجستير (غير منشورة)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص ١.

٢) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٤.

٣) جمعة، حسن بوبا: المرجع السابق، ص ٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منذ عام ١٨٩٥م رأت فرنسا أن تفتح نظاماً لحكم الأراضي التي احتلتها في أفريقيا، فعينت وزيراً للمستعمرات يحكمها من باريس، ومنذ البداية لاحظت أن هذا النظام لم يكن عملياً يسمح بتوسيع رقع هذه الأراضي واستحالة المركزية في إدارتها، فقسمتها إلى إقليمين:

١. إقليم أفريقيا الغربية الفرنسية: ويضم ثمانية مقاطعات هي: (السنغال وداهومي (بنينحالياً)، وساحل العاج، وفولتا العليا (بوركينا فاسوحالياً)، وموريتانيا، وغينيا، والسودان الغربي (مالي والنيجرحالياً)، وعاصمته (داكار).

٢. إقليم أفريقيا الاستوائية الفرنسية: ويضم أربعة مقاطعات هي: (تشاد، والغابون، وأوبانجي (أفريقيا الوسطى حالياً)، والكنغو الأوسط (برازافيل حالياً)، وعاصمته (برازافيل)، وعين لكل إقليم حاكم عام خاضع لسلطة وزارة المستعمرات والإدارة المركزية في باريس. (١)

لقد صُنفت مراكز العمران في تشاد في عهد الإدارة الفرنسية إلى ريفية وحضرية، واختلف في تحديد مراكز النمو الحضري من وقت لآخر، ففي عام ١٩٣٨م تم تقسيم البلاد إلى عدة مقاطعات إدارية منها: مقاطعة شاري الأسفل، وشاري الأوسط، وشاري الأعلى، ومايوكيبي...وكانت هذه المقاطعات تضم (٣٤) مركزاً، واختيرت (٩) مدن ذات صفة حضرية لتكون عواصم إدارية لهذه المقاطعات.

ففي عام ١٩٥٦م أضيفت مقاطعة أخرى هي (قيرا) التي كانت تابعة لمقاطعة البطحاء، واستبدل اسم مقاطعة شاري الأسفل بشاري باقرمي، وشاري الأعلى بلغون، واصطلح أن تكون المراكز الحضرية هي المراكز العمرانية التي يزيد عدد سكانها على (٥٠٠٠) نسمة...وفي ٢٢ فبراير عام ١٩٦٠م صدر مرسوم قسم البلاد إلى (١٤) مقاطعة، و(٥١) مركزاً،

١) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و(٢٤) قسماً لتصبح المراكز الحضرية (٧٥)، وما عداها يدخل ضمن الريف. [١]

المبحث الأول: الحالة السياسية في تشاد قبل الاستقلال

نجحت فرنسا خلال تاريخها الاستعماري الطويل أن تفوز بنصيب الأسد من القارة الأفريقية ... حيث مد الفرنسيون نفوذهم إلى ما يسمى بأفريقيا الاستوائية الفرنسية التي تضم (تشاد ووسط أفريقيا والكنغو والغابون)، ولقد اعتمد نظام الحكم الفرنسي بصفة عامة على نظام الإدارة المباشرة، وهي بذلك لا ترى ضرورة لوجود زعامات أو تنظيمات قبلية أو محلية تقوم بين إدارتها وبين سكان المستعمرات في حياتهم اليومية، فقد حطم الفرنسيون الزعامات، وانتزعوا منها كل سلطة أو نفوذ، بل حاربوا ولاء الناس لهم، واختلت العلاقة بين فرنسا ومستعمراتها، وتميزت بإدارة مركزية صارمة مقرها باريس، وجعلت رسم السياسة من سلطة الفرنسيين وحدهم، حيث شغلوا جميع الوظائف وتولوا تنفيذ أوامر الحكومة.

إن فرنسا في بداية هيمنتها على تشاد قامت بالقضاء على كل مظاهر السلطنات الإسلامية (كانم برنو وباقرمي ووداي) وأي رابط يربط الدولة الحديثة بتلك السلطنات. [٢]

لذلك بلغت حالة المستعمرات الفرنسية نتيجة للسياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا قبيل الحرب العالمية الثانية أسوأ مستوى لها، فكانت الإدارة الاقتصادية في أيدي شركات الاحتكار، وأصبحت ثروات الإقليم إما مهملة، وإما مستغلة لصالح الفرنسيين وحدهم، ومنع إنشاء المصانع في الأقاليم الأفريقية، ووضعت النظم الجمركية التي تكفل نظام الاحتكار الفرنسي المبني على الرشوة والفساد.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النظام الاقتصادي المبني على الرشوة والفساد الذي أقامه المستعمر الفرنسي مازال يعاني

---

٢) أحمد، أحمد قاسم: الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (١٩٥٠ ــ ١٩٨٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ٩٢.

١) أحمد، أحمد قاسم: الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (١٩٥٠ ــ ١٩٨٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ٩٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منه الشعوب الأفريقية عامة والشعب التشادي خاصة.[١]

وأثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) قد وقعت فرنسا في يد ألمانيا النازية، وسعى الفرنسيون إلى استردادها، وشارك الأفارقة في تحريرها بمقتضى الوعد الذي تلقوه بنيل الاستقلال والحرية إن شاركوا في الحرب بجانب الحلفاء.

ففي أغسطس ١٩٤٠م وبعد بضعة أسابيع من توقيع الهدنة بين ألمانيا وحكومة "فشي" برئاسة الجنرال 'بيتان' أعلن "فليكس إيبويه" (١٨٨٤-١٩٤٤م) حاكم مقاطعة تشاد تأييده وانضمامه لحكومة (فرنسا الحرة) التي يقودها الجنرال "ديغول" في المنفى.

وقد أثر انضمامه بعمق، ليس في تشاد فحسب، بل أيضاً على سائر مناطق أفريقيا الاستوائية والغربية الفرنسية. [٢]

كان الشعب التشادي ضمن الشعوب الأفريقية التي تم تجنيد أعداد كبيرة من أبنائها لتحرير فرنسا من قبضة ألمانيا النازية مقابل نيل استقلالها، وكان التشاديون ينظرون إلى فرنسا في حربها ضد ألمانيا على أنها دفاع عن الوطن، لذلك قاتلوا بكل بسالة وإخلاص في صفوف الجيش الفرنسي.[٣]

وفي بداية يناير ١٩٤١م انطلقت المجموعة التي يترأسها القائد العقيد "أورنانو" إلى ليبيا للاقتتال مع القوات الإيطالية المتواجدة في فزان، وغاترون ومرزوق، لكنه قتل في ١١ يناير ١٩٤١م. [٤]

وفي فبراير ١٩٤١م انطلقت مجموعة الجنرال " ليكيلرك" لهجوم القواعد الإيطالية في كفرة، وفي ١٧ فبراير ١٩٤١م انطلقت مجموعة أفريقيا الاستوائية الفرنسية لتحرير إريتريا، وإثيوبيا وجيبوتي.

ومن يناير حتى مارس ١٩٤٢م اكتسحت القوات الأفريقية فزان، تحت قيادة الجنرال "كوينغ KOENIG"، وفي يناير ١٩٤٣م تم احتلال فزان، والتحقت القوات التشادية بجيوش الحلفاء التي كانت تطارد الجنود النازيين (أفريكا كور) على الشاطئ الليبي،

---

٢) الماحي، عبد الرحمن عمر ، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٢-١٨٤.

١) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٦.

٢) جمعة، حسن بوبا: الحزب التقدمي التشادي ودوره في الحياة السياسية في تشاد (١٩٤٧ ــ ١٩٧٣م)، مرجع سبق ذكره، ص ٤٥.

٣) جمعة، حسن بوبا ، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وانتهى بذلك احتلال ليبيا، وفي هذه الأثناء ضرب الطيران الألماني مدينة (فورتلامي أنجمينا حالياً)، واشتعلت النيران في مستودعات البترول.

وذكر الدكتور عبد الرحمن عمر الماحي في كتابه تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (أن الجنرال "فليكس إيبويه" قاد القوات الفرنسية لمواجهة هجوم محتمل من الجيش الإيطالي من الحدود الليبية التشادية بعد أن تلقى التعليمات من الجنرال "ديغول" ثم تحولت القوات التي يقودها من الدفاع إلى الهجوم عام ١٩٤١م، وشكلت نواة للمعارك التي قادها الجنرال "لكليرك" عام ١٩٤٢م في (كفرة والاتجاهات الأخرى في شمال أفريقيا).

وقد اتخذت مدينة (فورت لامي) عاصمة تشاد قاعدة لتموين جيوش الحلفاء، والفرق التي كانت تحارب في الصحراء وفزان وكفرة وطرابلس وتونس.

وبعبارة أكثر أدق أصبحت قاعدة جوية هامة للطائرات الأمريكية، وهي في طريقها إلى الشرق الأوسط، وأن موقعها الجغرافي جعلها في منأى من العمليات العسكرية للمحور الذي لم ينجح في قذفها بالقنابل، إلا مرة واحدة عام ١٩٤٢م، ولم يترتب على ذلك خسائر كبيرة. (١)

وبذلك وقفت تشاد إلى جانب فرنسا في محنتها، واتخذت مركزاً عسكرياً للقوات الفرنسية ضد ألمانيا.

تحررت فرنسا من الاحتلال الألماني في عام ١٩٤٣م، وعرفاناً بالفضل الذي قدمه الشعب الأفريقي لفرنسا في الحرب، أرادت فرنسا الحرة أن تقابل الموقف بالمثل، فدعا الجنرال "ديغول" إلى عقد مؤتمر (برازافيل)عام ١٩٤٤م، وصرح بمكافئة سكان المستعمرات بإعلان المساواة في الحقوق السياسية وإلغاء الاحتكارات الاقتصادية. (٢)

لكنهم لم يحصلوا حتى على حقوقهم الفردية، فضلاً عن أوطانهم التي لم تقبض غير السراب من تلك الوعود الزائفة، وفي كل الأحوال فالاستقلال الحقيقي يجب أن

---

٣) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨٦.

١) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يشمل الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي، وإلا يكون استقلالاً ناقصاً. (١)

المبحث الثاني: الأحزاب السياسية في تشاد عند ظهور الدولة التشادية الحديثة

نتيجة لبعض الإصلاحات السياسية والإدارية الشكلية التي أجرتها الدولة الفرنسية حيال مستعمراتها، ولاسيما تلك الشعوب التي شاركت بقواتها في الحرب العالمية الثانية في صف فرنسا وحلفائها ضد ألمانيا النازية ودول المحور الأخرى.

تلك الإصلاحات التي حوتها مقررات مؤتمر (برازافيل) ١٩٤٤م، وبعض بنود دستور الجمهورية الرابعة ١٩٤٦م، والتي قضت بدمج المستعمرات إلى الدولة الفرنسية مع منحها فرصة محدودة لممارسة الحياة السياسية بتأسيس فروع محلية للأحزاب الفرنسية.

فنتيجة لهذه الفرصة المحدودة تأسست بعض الأحزاب السياسية في تشاد منذ منتصف العقد الرابع من القرن الماضي.

أ- تعريف الحزب السياسي:

يوجد أكثر من تعريف للحزب السياسي بحسب الدراسات الأكاديمية في العلوم السياسية منها:

-الحزب منظمة لها أهداف سياسية واجتماعية تسعى لتحقيقها، من خلال المشاركة في السلطة أو الإمساك بها.(٢)

- الحزب السياسي هو مجموعة من الأفراد تتعاون في تشكيل منظم، يتبنى أفكاراً وبرامج سياسية واجتماعية، ويعمل على استقطاب المزيد من الأفراد للانضمام إليه، كما يعمل على استمالة الرأي العام من أجل الوصول إلى السلطة أو المساهمة فيها لتحقيق أهدافه.(٣)

- الحزب السياسي: أنه تنظيم يضم مجموعة من الأفراد بنفس الرؤية السياسية، وتعمل على وضع أفكارها موضع التنفيذ وذلك بالعمل في آن واحد على ضم أكبر عدد ممكن من المواطنين إلى صفوفهم، وعلى تولي الحكم أو على الأقل التأثير على قرارات السلطات الحاكمة.

---

٢) عبد الرحيم، محمد الهادي: فرولينا أحداث ١٢ فبراير الخلفية والآثار، الضواي للطباعة، الزقازيق، السودان، (ب،ط)، (ب، ت)، ص ٣٢.

٣) العلوي، د. ياسر: معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنمية السياسية، البحرين، (ب، ط)، ٢٠١٤م، ص ٣٤.

٢) العلوي، هادي: قاموس الدولة والاقتصاد، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب- دور الأحزاب السياسية:

بما أن الحزب السياسي يعمل في الأساس كوسيط بين أفراد الشعب ونظام الحكم في الأنظمة الديمقراطية بأنواعها، فإن الأحزاب المختلفة يكون لها أدوار رئيسية ومهمة في ذلك الشكل من أشكال الحكم، أهمها صياغة احتياجات ومشاكل المواطنين، وطرح مقترحات لحلها وتقديمها إلى الجهات الحكومية المختلفة بصورة قانونية، وتنظيم نشاطات توعية، وتثقيف الناخبين حول النظام السياسي، والانتخابات والدعاية لرؤية الحزب لتقدم الدولة، والضغط على الحكومات لتلبية مطالب الشعب في القطاعات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك تعمل الأحزاب على نشر الدعاية بين المواطنين لأفكارها وترشيح ممثليها في الانتخابات.(١)

ج- تكوين الأحزاب السياسية في تشاد:

منذ أن أعلن الفرنسيون في عام ١٩٢٠م أن تشاد أصبحت مستعمرة فرنسية لم تسمح فرنسا بمشاركة الشعب التشادي في الحكم، وفي عام ١٩٤٠م بدأت فرنسا تغير سياستها التعسفية تجاه مستعمراتها نتيجة للمتغيرات الدولية، ومن هنا سمحت للمواطنين الأفارقة بالمشاركة في الشؤون السياسية والإدارية لبلادهم، وعليه قام التشاديون بتأسيس أحزاب سياسية بدأ من عام ١٩٤٦م.(٢)

والجدير بالذكر أن فرنسا لم تغير سياستها إلا بعد مؤتمر برازافيل عام ١٩٤٤م؛ ومن خلال المؤتمر فقد منحت فرنسا للأفارقة الحرية السياسية لممارسة النشاط السياسي في بلادهم، ولهذا صرح الجنرال "ديغول" في هذا المؤتمر قائلاً: (لن يكون هناك أي تقدم في أفريقيا الفرنسية إذا لم يستفيد السكان من وطنهم الأم من هذا التقدم معنوياً ومادياً).(٣)

---

١) الشرقاوي، د. سعاد: النظم السياسية في العالم المعاصر، جامعة القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٩٧ وما بعدها.

٢) جمعة، حسن بوبا: الحزب التقدمي التشادي ودوره في الحياة السياسية في تشاد (١٩٤٧ ـ ١٩٧٣م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٠.

٣) محمد، تيجاني صابون: الاستقلال السياسي لتشاد من الاستعمار الفرنسي، دبلوم الدراسات المعمقة (غير منشور)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠٩-٢٠١٠م، ص ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ففي الفترة من ١٩٤٦-١٩٥٦م شهدت البلاد نشاطاً محدوداً، حيث صدر دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة (أكتوبر ١٩٤٦م)، الذي أقر دمج المستعمرات الفرنسية إلى فرنسا ومنحها حق التمثيل السياسي، وعليه نشأت بعض الأحزاب كفروع محلية للأحزاب الفرنسية.

ونتيجة لذلك جاءت الأحزاب السياسية في تشاد خاصة الأحزاب التي ظهرت في الفترة ما بين (١٩٤٥-١٩٥٨م) فروعاً من الأحزاب الفرنسية الرئيسية، وأخذت تتلون بدرجة كبيرة بالولاء القبلي المحلي[١]، ومنذ ذلك أصبح التشاديين يمارسون الحياة السياسية.

وقيام الأحزاب السياسية يعتبر مرحلة جديدة في تاريخ تشاد السياسي الحديث، وهذا التحول لعب دوراً كبيراً في تطور الحياة السياسية في تشاد، الأمر الذي مهد بدوره للحكم الذاتي ثم الاستقلال.[٢]

١) الماحي، عبد الرحمن عمر ، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠١٠-٢١١.

٢) جمعة، حسن بوبا: الحزب التقدمي التشادي ودوره في الحياة السياسية في تشاد (١٩٤٧ ــ ١٩٧٣م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.

والأحزاب التشادية التي انبثقت من الأحزاب الفرنسيةالكبرى في بداية الحياة السياسية هي:

١. تجمع الشعب الفرنسي (R.P.F):

يعتبر أول حزب سياسي ظهر في تشاد عام ١٩٤٥م، وهو انبثق من حركة فرنسا الحرة التي يتزعمها الجنرال "ديغول" أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد عم المستعمرات الأفريقية الفرنسية بعد الحرب مباشرة.

٢. الحزب الشيوعي الفرنسي(P.C.F):

لقد تأسس الحزب الشيوعي الفرنسي في نهاية ديسمبر ١٩٢٠م، وكان من أنصار سياسة الإدماج، فهو من الناحية النظرية يدعوا إلى تساوي العناصر داخل جمهورية تقدمية موحدة، وأنه ضد النظام الاستعماري، وقد ظهر فرعه في تشاد عام ١٩٤٧م.[٣]

٣. القسم الفرنسي لحزب العمال العالمي (S.F.I.O):

هذا الحزب يساري متطرف، ظهر في تشاد عام ١٩٤٨م كنقابة عمالية .

١) جمعة، حسن بوبا: الحزب التقدمي التشادي ودوره في الحياة السياسية في تشاد (١٩٤٧ ــ ١٩٧٣م)، مرجع سبق ذكره، ص١٤١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤. الاتحاد الديمقراطي والاشتراكي للمقاومة (U.D.S.R):

يعتبر هذا الحزب الفرع المحلي لحزب الاتحاد الوطني الجمهوري (U.N.R) الفرنسي، الذي أنشئ عام ١٩٤٨م من قبل الفرنسيين (اللبراليين) الذين يقيمون في تشاد.[١]

والجدير بالذكر أن فرنسا تبعد عن تشاد بمسافة حوالي (٥٦٠٠كم) عن طريق الجو، وهذا البعد أعاق نشاط الأحزاب الفرنسية على إحراز نفس التأثير الذي أحرزته في أقاليم أفريقيا الغربية الفرنسية، إلا أن حزب تجمع الشعب الفرنسي (R.P.F) كان قد استفاد من هذا البعد، وذلك باستغلال شعبية الجنرال "ديغول" زعيم حركة فرنسا الحرة، وأخذ يؤثر تأثيراً كبيراً على رجال الإدارة والتجار الفرنسيين في تشاد، وذلك بممارسة الضغط عليهم واستغلالهم في الانتخابات.

لقد ظهر أول حزب سياسي تشادي عام ١٩٤٥م يحمل اسم الاتحاد الديمقراطي التشادي (U.D.T) برئاسة السيد "عربي القوني[*]" وذكرت المصادر التي تناولت هذا الموضوع أن الحزب التقدمي التشادي أسس بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٩٤٦م، وفي نفس التاريخ أعد تقرير الجمعية العامة للحزب ووقعه "جبريل ليزيت"، وخلال إقامة قصيرة في تشاد وضع "ليزيت" مستندات الحزب (الدستور) في ١٢-٢٢ ديسمبر ١٩٤٦م، وتم تقديمها للحكومة الاستعمارية من أجل الموافقة، وتمت الموافقة على شرعية الحزب والإذن له بممارسة نشاطه بتاريخ ٢٧ مارس ١٩٤٧م.

والحزب التقدمي التشادي جزء من التجمع الديمقراطي الأفريقي (R.D.A) الذي تأسس في أكتوبر ١٩٤٦م خلال مؤتمر (بماكو) تحت رئاسة "فليكس أفوت بواني[*]".

ولكن لم تصمد وحدة حزب الاتحاد الديمقراطي التشادي أمام تقلبات الظروف السياسية، بسبب الخلافات الداخلية بين زعمائه، مما اضطروا في عام ١٩٥٢م إلى حل حزبهم، ونتيجة لذلك ظهرت أحزاب

---

٢) جمعة، حسن بوبا: المرجع نفسه، ص ١٤٥.

*) عربي القوني: تشادي الجنسية، كان موظفاً في إدارة مركز أبشة قبل دخوله المعترك السياسي عام ١٩٤٥م، وهو مؤسس ورئيس حزب الاتحاد الديمقراطي التشادي، ظل رئيساً للحزب حتى ١٩٦٠م.

*) أول رئيس لساحل العاج بعد الاستقلال، وهو من الذين اعتمدت عليهم فرنسا في سياستها الأفريقية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخرى [١]، في الجدول التالي يوضح التتابع الزمني لإنشائها، بصرف النظر عن الأسماء الأولية التي استبدلت، والأحزاب التي انبثقت منها. [٢]

الرقم	اسم الحزب	رئيس الحزب	تاريخ التكوين
١	الحركة الاجتماعية التشادية (A.S.T).	عربي القوني	أكتوبر ١٩٤٥م
٢	الحزب التقدمي التشادي (P.P.T).	جبرائيل ليزيت	فبراير ١٩٤٧م
٣	اتحاد تشاد الديمقراطي المستقل (U.D.I.T).	جان باتيست	مارس ١٩٥٢م
٤	الحركة الاشتراكية الأفريقية (M.S.A).	أحمد غلام الله	مارس ١٩٥٢م
٥	تجمع الريفيين التشاديين	ساهولبا	يونيو١٩٥٨م
	المستقل (G.I.R.T).		

هذه هي المرحلة التي تزعم الفرنسيون زمام السياسة في تشاد، أما المرحلة الثانية التي تبدأ من عام ١٩٤٧-١٩٥٦م، غيّر فيها الفرنسيون استراتيجيتهم تجاه الساسة التشاديين، حيث أصبحت تعطى لهم فرصة المشاركة والترشح والفوز في الانتخابات لتمثيل تشاد في المجالس والجمعيات الفرنسية، وبالتالي أُعطي لهم حق تأسيس الأحزاب، وتوزيع الفرنسيون كأعضاء في هذه الأحزاب الوطنية.[٣]

ويمكن القول بأن الأحزاب التي شهدتها القارة الأفريقية كانت بوجه عام امتداداً للأحزاب القائمة في الدول المستعمرة، وهو ما بدأ واضحاً في

١) أحمد، أحمد قاسم: الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (١٩٥٠ ــ ١٩٨٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٢١.

١) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢١٩-٢٢١.

١) عبد الله، موسى محمد: التعددية الحزبية في تشاد في عهد الرئيس تمبلباي (١٩٥٨-١٩٦٣) وعهد الرئيس إدريس ديبي إتنو (١٩٩٠-٢٠١٠م) دراسة مقارنة، دبلوم الدراسات المعمقة، (غير منشور)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠١٠-٢٠١١م، ص ٣٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستعمرات الفرنسية داخل القارة سواء في غربها أم في مناطقها الاستوائي. (١)

وتجدر الإشارة إلى أن الأحزاب السياسية لم تقوم بمهام العمل السياسي، وهو الطريق إلى المشاركة السياسية الصحيحة، ويمكن أن تعمل كأداة اتصال بين الحكومة والجماهير لتحقيق الاستقرار في المجتمع، وتقوم بدورها كوسيلة للتثقيف السياسي... وإعداد القيادات، حيث أنها تقوم بإعداد الكوادر السياسية التي يمكن أن تشارك في حكم البلاد وقيادته.

ونظراً لعدم وجود اتجاه سياسي وفكري واضح للأحزاب السياسية التشادية...ونتيجة لظروف سياسية تخص القوى الاستعمارية وتخدم مصالحها، ونظراً للمعطيات السياسية الدولية والاقليمية والمحلية التي أظهرت ضروريات المشاركة السياسية لشعوب المستعمرات مع إدارة المستعمر دون أن يكون لها زخم شعبي وجماهيري، ودون أن يكون لها بعد وطني أو إقليمي لم تستطيع الأحزاب السياسية التشادية تحقيق آمال وتطلعات الشعب نحو الحرية والوحدة الوطنية والتطور، واتسمت مسيرتها بالتجزئة والتفكك، فكثير ما يلاحظ انقسام الحزب السياسي الواحد إلى عدة أحزاب أو حركات سياسية، الأمر الذي أدى إلى إصابتها بالضعف وتشتيت جهودها، وانشغالها على الفوز في الانتخابات التشريعية عن طريق تكوين الائتلافات المؤقتة بين حزبين أو أكثر، وتنتهي المهمة بمجرد انتهاء الحملة الانتخابية وتحقيق الفوز أو عدمه.(٢)

المبحث الثالث: الحكومات المتعاقبة في تشاد ١٩٥٨-١٩٥٩م

إن القانون الدستوري الذي صدر بتاريخ ٣ يونيو ١٩٥٨م ينص في المبادئ الأساسية للدستور الفرنسية العام على تنظيم العلاقات بين الجمهورية الفرنسية والشعوب الأفريقية المنضمة إليها، كما أن قانون ٢٦ يوليو ١٩٥٨م قد نقل رئاسة مجلس الحكومات إلى نواب رئيسيين منتخبين، ولم يعد رؤساء الأقاليم يرأسون مجالس الحكومات إلا عندما يتعلق الأمر بالمصالح العامة للدولة، وبصدور القانون الدستوري بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٥٨م، وتنظيم الرابطة الفرنسية الأفريقية، حصلت تشاد على الاستقلال الذاتي، وتكون أول

١) أحمد، أحمد قاسم: الدور الفرنسي في الأحداث السياسية في تشاد في الفترة من (١٩٥٠ – ١٩٨٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٢.

٢) أحمد، أحمد قاسم: المرجع نفسه، ص ١٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مجلس حكومة وطنية قبل قيام الحكم الذاتي في البلاد.

وقد مرت تشاد بثلاثة مراحل لإرساء مؤسساتها الدستورية هي: (الحكومات المؤقت، الانتخابات التشريعية المحلية، والحكومات الانتقالية)، وفيما بين اختيار قيام الدولة وأول انتخابا تشريعي في فترة لا تتجاوز أربعة أشهر[١]، تشكلت فيها أربعة حكومات هي:

أ- حكومة السيد غبرئل ليزيت ١٦/ ديسمبر عام ١٩٥٨م: كان تشكيلها على النحو التالي:

١. غبرائيل ليزت: رئيساً للوزراء.
٢. أبا صديق: وزيراً للتعليم.
٣. إبراهيم جلال: وزيراً للتخطيط.
٤. أبو نصر عبد الله: وزيراً للتعدين والفلاحة.
٥. آدم أنقناي: وزيراً للصحة.
٦. آدم شيري: وزيراً للعمل.
٧. بابا حسن: وزيراً للثروة الحيوانية.
٨. كوموتو موريس: وزيراً للتعليم الفني.
٩. جبريل خير الله: وزيراً للداخلية.
١٠. حسين عثمان: وزيراً للمواصلات.
١١. جان باتست: وزيراً للاقتصاد.
١٢. أحمد غلام الله: وزيراً للدولة.
١٣. موسى أنقارنم: وزيراً للوظيفة العامة.
١٤. فرناند سالي: وزيراً للأشغال العامة.
١٥. بير تور أنقارنم: وزيراً للزراعة.
١٦. أندريه فازيل: وزيراً للمالية.
١٧. قولسالا: أمين الدولة. [٢]

يلاحظ أن الأحزاب الرئيسية خلال تلك الفترة قد تم إشراكها في هذه التشكيلة الحكومية، إلا أن هذه الحكومة لم تدم طويلاً لأسباب منها: أن الحزب التقدمي التشادي فقد الأغلبية في الجمعية التشريعية بعد تحالف تجمع الريفيين التشاديين المستقل-حليفه سابقاً-مع الحركة الاشتراكية الإفريقية-والحركة الاجتماعية التشادية-فيما يعرف بتحالف الحركة الشعبية التشادية بزعامة السيد "ساهولبا".[٣]

---

١) عبد الله، موسى محمد: التعددية الحزبية في تشاد في عهد الرئيس تمبلباي (١٩٥٨-١٩٦٣) وعهد الرئيس إدريس ديبي إتنو (١٩٩٠-٢٠١٠م) دراسة مقارنة، ، ص ٤٤.

١) شمس، آدم كردي: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، (ب، د)، (ب، م)، ط١، ١٩٩٢م، ص ٢٦.

٢) السنوسي، سنوسي هجرو آدم: السلطة والسياسة في تشاد، مطبعة جامعة الملك فيصل بتشاد، أنجمينا، ط١، ٢٠١٤م، ص ٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب.حكومة السيد ساهولبا ١١/ ٢/ ١٩٥٩م.

وبتاريخ ١١ فبراير عام ١٩٥٩م كلف السيد "ساهولبا" زعيم تحالف الحركة الشعبية التشادية ورئيس تجمع الريفيين التشاديين بتشكيل حكومة جديدة مؤقتة كانت على الشكل التالي:

١. تجمع الريفيين التشاديين المستقل (٣) مناصب وزارية.
٢. الحركة الاجتماعية التشادية: (٢) منصبان وزاريين.
٣. الحركة الاشتراكية الإفريقية: (٢) منصبان وزاريين.
٤. الاتحاد الديمقراطي التشادي المستقل: (٢) منصبان وزاريين. [١]

وعقب تكوين هذه الحكومة انسحب نواب الحزب التقدمي التشادي من المناطق الجنوبية إلى دوائرهم، وطالبوا بإجراء الانتخابات التشريعية في ٥ مايو ١٩٥٩م، وتلا ذلك رفعهم لمذكرة لرئاسة الرابطة الفرنسية يعلنون فيها أن مناطق لوغون، وشاري الأوسط، ومايو كيبي، تشكل دولة ذات حكم ذاتي...

إن فكرة تقسيم تشاد أو الروح الفدرالية التي تظهر في هذه المذكرة قد لازمت العقلية السياسية التشادية، وخاصة الزعماء السياسيين في الأقاليم الجنوبية.

دفع تهديد نواب الحزب التقدمي التشادي بتقسيم البلاد السيد "أحمد غلام الله" الذي خشي على الوحدة الوطنية في الدولة الناشئة، إلى الاتفاق مع "غبرائيل ليزيت" زعيم الحزب التقدمي التشادي من أجل سحب الثقة من حكومة السيد "ساهولبا" وهكذا انقلب من جديد التوازن في داخل الجمعية التشريعية، وسقطت الحكومة وأصبح السيد "أحمد غلام الله" زعيم الحركة الاشتراكية التشادية مكلفاً بتكوين الحكومة الجديدة. [٢]

ج.حكومة السيد أحمد غلام الله ١٢/ ٣/ ١٩٥٩م:

في يوم ٣ مارس ١٩٥٩م شكل السيد "أحمد غلام الله" حكومة جديدة على النحو التالي:

---

٣) السنوسي، سنوسي هجرو آدم:المرجع نفسه، ص ٣٠.

١) الماحي، عبد الرحمن عمر: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١. أحمد غلام الله: رئيساً للوزراء.
٢. أبا صديق: وزيراً للمعارف.
٣. إبراهيم جلال: وزيراً للمعادن والفلاحة.
٤. أبو نصر عبد الله: وزيراً للمالية.
٥. آدم أنقناي: وزيراً للصحة والوظيفة العامة.
٦. آدم شيري: وزيراً للزراعة.
٧. حسين عثمان: وزير تربية المواشي.
٨. غبرائيل ليزيت: وزيراً للخارجية.
٩. أحمد مانجو: وزيراً للتعليم الفني.
١٠. محمد حسن: وزيراً للاقتصاد.
١١. نور أنقايا: وزيراً للأشغال العامة.
١٢. ساهولبا: وزيراً للنقل والطيران المدني.

وقد استبعد عن الحكومة السيد "جان باتست" رئيس الاتحاد الديمقراطي التشادي المستقل، والسيد "جبريل خير الله" العضو البارز في تجمع الريفيين التشاديين المستقل.[١]

سقطت هذه الحكومة بعد (١٢) يوماً فقط من تشكيلها، وكانت التناقضات القائمة بين الحزبين السياسيين فيها هي السبب في إضعاف التحالف الذي قام بينهما، وبالتالي سقوط الحكومة.

فالحزب التقدمي التشادي يتسم بالطابع الغربي العلماني، ويرتكز في قاعدته على السكان في جنوب البلاد، عكس الحركة الاشتراكية الإفريقية التي تتسم بالطابع العربي الإسلامي، وترتكز في قاعدتها على السكان في شمال البلاد.

انتهز حزب الاتحاد الديمقراطي للمستقلين ضعف التحالف المذكور، وتقرب من الحزب الديمقراطي التشادي ليشكلا أغلبية برلمانية تمكنت في ٢٤/٣/ ١٩٥٩م من سحب الثقة من الحكومة، وكلف السيد "فرنسوا تمبلباي" الأمين العام للحزب التقدمي التشادي بتشكيل الحكومة الجديدة.

د. حكومة فرنسوا تمبلباي ٢٤/ ٣/ ١٩٥٩م.

وبتاريخ ٢٤ مارس ١٩٥٩م شكل السيد "فرنسوا تمبلباي" الحكومة المؤقتة الرابعة التي كانت على النحو التالي:

الحزب التقدمي التشادي (٥) حقائب وزارية.

تجمع الريفيين التشاديين المستقل: (٣) حقائب وزارية.

---

١) شمس، آدم كردي: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٨-٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحركة الاجتماعية التشادية: (٢) حقيبتان وزاريتان.

الاتحاد الديمقراطي التشادي للمستقلين: (٢) حقيبتان وزاريتان.[١]

وقد حددت الحكومة بعد تشكيلها ثلاثة أهداف هي: التصويت على قانون العفو العام، والقانون الانتخابي، والدستور، وفي مقابل ذلك اتحل مجلس النواب في ٣ أبريل ١٩٥٩م، وحدد موعد الانتخابات في يوم ٣١ مايو ١٩٥٩م. [٢]

قائمة المـــــــراجع

١-الأبقاري، محمد أمين أبه: الحضارة الإسلامية في مملكة باقرمي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

٢-أبو شعيشع، مصطفى علي بيسوني: برنو في عهد الاسرة الكانمية ١٨١٤-١٩٦٩م ، دار العلوم للـــــطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٩٨٤م.

٣-إسحاق، عز الدين مكي: مختصر تاريخ سلطنة وداي الإسلامية العباسية، (ب، د)، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦ .

٤-أيوب، د. محمد صالح: الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي ــ تشاد (١٨٠٣ ــ ١٩١٧م)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م ، ص ٨٧.

٥-برقو، حسن عبد الله : النزاعات المسلحة في دارفور وأثرها على الأمن القومي التشادي في الفترة ما بين ٢٠٠٣-٢٠١٠م .

٦-جاكو، محمد شريف: العلاقات السياسية والاجتماعية بين جمهورية تشاد وجمهورية السودان (١٩٦٠-١٩٩٠م)، مكتبة مدبولي، القاهرة،الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٧-الدكو، د. فضل كلود: الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، (٦٠٠ ـــ ١٠٠٠هـــ)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٨-السنوسي، سنوسي هجرو آدم: السلطة والسياسة في تشاد، مطبعة

---

٢) السنوسي، سنوسي هجرو آدم: السلطة والسياسة في تشاد، مرجع سبق ذكره، مرجع سبق ذكره، ص ٣١.

٣) شمس، آدم كردي: المرجع السابق، ص ٣٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جامعة الملك فيصل بتشاد، أنجمينا، ط١، ٢٠١٤م.

٩-الشرقاوي، د. سعاد: النظم السياسية في العالم المعاصر، جامعة القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

١٠- شمس، آدم كردي: التضامن الديمقراطي ضرورة حتمية لبناء تشاد، (ب، د)، (ب، م)، ط١، ١٩٩٢م.

١١- عبد الرحيم ، محمد الهادي: فرولينا أحداث ١٢ فبراير الخلفية والآثار، الضواي للطباعة، الزقازيق،السودان، (ب،ط)، (ب،ت).

١٢- العلوي، د. ياسر: معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنمية السياسية، البحرين، (ب، ط)، ٢٠١٤م.

١٣- العلوي، هادي: قاموس الدولة والاقتصاد، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

١٤- الماحي، د. عبد الرحمن عمر:

١-الدعوة الإسلامية في أفريقيا ــ الواقع والمستقبل ــ منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ط١، .

٢- تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤ ــ ١٩٦٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

ثانيا : الدوريات

١-العبيدي، د. عبد العزيز: وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، العدد السادس، الخرطوم، ١٩٩٠م.

ثالثا : الرسائل العلمية

أولا : الدكتوراه

١-إدريس، حواء موسى: الوضع الاجتماعي والاقتصادي لسلطنة كانم برنو (١٢٣٦-١٢٩٦) ه (١٨٢٠-١٨٨٠) م، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة أم درمان، قسم العلوم النظرية، السودان، العام الجامعي ٢٠١٦-٢٠١٧م.

٢-جمعة، حسن بوبا: الحزب التقدمي التشادي ودوره في الحياة السياسية في تشاد (١٩٤٧ ــ ١٩٧٣م)، رسالة دكتوراه السلك الثالث الماجستير (غير منشورة)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : الماجستير

١-آدم، الصادق أحمد: جهود علماء أبشة في تشاد خلال القرن العشرين، رسالة ماجستير ، جامعة الملك فيصل.

٢-إسحاق، إبراهيم محمد: أهمية الموقع الجغرافي وعلاقته بالتطور والاستقرار السياسي في دولة تشاد.

ثالثا : الدبلوم العالي

١-عبد الله، موسى محمد: التعددية الحزبية في تشاد في عهد الرئيس تمبلباي (١٩٥٨-١٩٦٣) وعهد الرئيس إدريس ديبي إتنو (١٩٩٠-٢٠١٠م) دراسة مقارنة، دبلوم الدراسات المعمقة، (غير منشور)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠١٠-٢٠١١م.

٢-عوام، الطيب علي: العلاقة بين العلماء والسلاطين في مملكة وداي، دبلوم الدراسات المعمقة(غير منشور)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠١-٢٠٠٢م.

٣-فوزي، أحمد: مقاومة الثقافة الإسلامية في وداي ضد الغزو الفرنسي في عهد الاستعمار (١٩٠٠-١٩٦٠م)، رسالة متريز، جامعة أنجمينا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تشاد، العام الجامعي ٢٠٠١-٢٠٠٢م.

٤-محمد، تيجاني صابون: الاستقلال السياسي لتشاد من الاستعمار الفرنسي، دبلوم الدراسات المعمقة (غير منشور)، جامعة الملك فيصل، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، أنجمينا، العام الجامعي ٢٠٠٩-٢٠١٠م.

٥-يوسف، عبد الرحمن عيسى: المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين ١٨٩٧-١٩٤٤م، دبلوم الدراسات المعمقة (غير منشور)، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل، أنجمينا، العام الجامعي ١٩٩٨-١٩٩٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قراءة في كتاب:

"كيف زُرِعَ الفكر التكفيري في ثمانيات القرن العشرين بتونس (شهادة للتاريخ) ؟" للأستاذ أحمد خالد، منشورات زخارف، شركة بوبليغراف، تونس، جوان ٢٠١٤، ٢٤٧ صفحة[1].

د. عادل بن يوسف – كليّة والآداب العلوم الانسانية بسوسة/تونس –

مقدمة:

حسب ما ورد في تصديره، الكتاب في الأصل نتاج بحث علمي أنجزه صاحبه: الأستاذ أحمد خالد[2] عندما كان مسؤولا في أعلى مستوى جهاز الدولة في عهد بورقيبة وتحديدا حين تولّى رئاسة ديوان وزير الثقافة. وقد ظلت هذه الدراسة محفوظة في مكتبته تنتظر الوقت المناسب لإظهارها للرأي العام كشهادة تاريخية نظرا لاحتوائها على أسرار للدولة وما تقتضيه أخلاقيّات وآداب النشر من واجب التحفّظ. وعلى ضوء ما شهدته دول الربيع العربي من ظواهر جددية وفي مقدمتها تنامي الإسلام المتشدّد وظاهرة التكفير والإرهاب ... بها، لا سيّما بتونس منذ جانفي ٢٠١١ وإلى غاية اليوم، رأينا من الضروري التعريف بهذا المؤلف لقراء المجلّة الدولية للدراسات التاريخية والاجتماعية للاتحاد الدولي للمؤرخين للتنمية والثقافة والعلوم.

دوافع صدور الكتاب اليوم بالذات:

على إثر الأحداث التي شهدتها البلاد التونسية منذ ١٤ جانفي ٢٠١١ في جميع الميادين وخاصّة في الميدانين الثقافي والديني رأى صاحبه أنّه "...قد جاء الوقت المناسب لإظهار هذا الكتاب الموثّق بالأدلة ليُضيء جانبا كبيرا من خلفيّة ما يعانيه الآن شعبنا المكتوي بظاهرة الإرهاب غير المألوف في بيئتنا التونسية وإسلامنا السنّي المعتدل منذ فجر الرسالة المحمديّة..." وأنّ عديد الظواهر وفي مقدمتها الإرهاب والتكفير والجهاد باسم الدين ليست وليدة "التحرّر" التامّ من كل أشكال الرقابة السياسية والفكرية والدينية، بل هي نتاج لفكر ومنظومة تربوية وثقافية بدأت تُزرع في مؤسّساتنا التربوية ومكتباتنا العمومية والخاصة وبيئتنا التونسية

---

[1] صدرت هذه الدراسة بالمجلّة التاريخية المغاربية عدد ١٥٧، مؤسّسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس فيفري ٢٠١٥، ص ص ٤٥٧–٤٧٣.

[2] أحمد خالد: من مواليد مدينة سوسة سنة ١٩٣٦. تحصّل على الإجازة في اللّغة والآداب العربيّة سنة ١٩٦١ ثمّ على دبلوم الدّراسات العليا من جامعة باريس سنة ١٩٦٥ والتبريز في اللّغة والآداب العربيّة من جامعة باريس (دورة جوان ١٩٦٧). شغل عديد الوظائف والمسؤوليات: مستشارا في التّربية والتّعليم لدى الوزير الأوّل (١٩٧١) – متفقّدا عاما للتّربية – مُدير معهد بورقيبة للّغات الحيّة بسُوسة – رئيس بلديّة سوسة (١٩٧٥–١٩٨٠)– عضوا مؤسّسا للرّابطة التّونسيّة لحقوق الإنسان في سنة ١٩٧٧– رئيس ديوان بوزارة الثّقافة (١٩٨١–١٩٨٦)– عضوا بمجلس النّوّاب (١٩٨٩–١٩٩١) – كاتب دولة للتّربية (١٩٨٩–١٩٩٠)– وزيرا للثّقافة والإعلام، ثمّ وزيرا للثّقافة (١٩٩٠–١٩٩١)– سفيرا لتونس بالرّباط (ماي ١٩٩١–جويلية ١٩٩٢)– سفيرا لتونس بموسكو (سبتمبر ١٩٩٢– أوت ١٩٩٦). بعد خروجه إلى التقاعد تفرّغ للتأليف والكتابة والنشاط الثقافي. له عديد المؤلّفات في الأدب والشعر والتاريخ والسيرة الذاتية باللغتين العربية والفرنسية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عامة منذ مطلع الثمانينات، أي زمن إشراف الأستاذ البشير بن سلامة على وزارة الثقافة في حكومة الأستاذ محمّد مزالي بين ٠٢ جانفي ١٩٨١ و١٢ ماي ١٩٨٦.

فما هي أبرز أقسام الكتاب وخاصة مضمونه وأهميته التوثيقية والتاريخية والإضافات التي قدّمها للمكتبة التونسية المعاصرة ؟

أقسام الكتاب:

جاء الكتاب في ٢٤٧ صفحة موزّعة بين مدخل عام تأليفي (في٤١ صفحة) تضمّن أحد عشر عنوانا أوّلها عنوان: "منشورات تكفيرية مناهضة للفكر الاصلاحي التنويري التونسي" وثلاثة أبواب وخاتمة وملحقات وفهرس للمواضيع. وضمّ كل باب من الأبواب الثلاثة مدخلا عاما في بدايته واستنتاجا في نهايته.

ورد الباب الأوّل الذي يحمل اسم "منهج الكشف عن المنشورات التكفيريّة المفجّرة" في ٥١ صفحة. وقد قسّم المؤلّف هذا الباب إلى مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة. تناول في كل فصل منها قضيّة من القضايا المتصلة بالقضيّة المركزية التي يتمحور حولها الكتاب وهي تباعا: معطيات إحصائية عامة – تعريف البيلوغرافيا الوطنية التونسية – تحليل البيلوغرافيا الوطنية لسنة ١٩٨٤ – الإيداع القانوني – ثغرات خطيرة في تطبيق القانون: قنابل تتجوّل...

أمّا الباب الثاني فقد وسمه بعنوان: **"كشف عام عن دعم صندوق التعويض لكتب الدعوة والجهاد"**، فقد ورد في سبعة فصول، هي تباعا: مدخل عام إلى البحث – كيف تدخّل الصندوق العام للتعويض لفائدة الورق الثقافي وما هي تراتيبه القانونية والإدارية وما هي الثغرات في التطبيق؟ - مقياس نجاح الدعوة التعبوية الجهادية: التكوين الخصوصي للجيل الاسلاموي - تحليل عيّنات من منشورات تكوين الأتباع وتكييف عقولهم ليسهل استقطابهم وتجنيدهم للقضاء على الدولة المدنية (نماذج ببلوغرافيّة تحليلية) – التمهيد النفساني والإيديولوجي للثورة "الاسلامية"- التوجيه السياسي العالمي للحركات الاسلاموية – مفهوم ظلامي للمعرفة يرفض الفكر الغربي على الاطلاق ودون تمييز ولا يقبل الحوار الثقافي والحضاري بين الشعوب –

أمّا الباب الثالث والأخير فقد ضمّ كشفا دقيقا لعناوين الكتب "الصفراء" وتحديدا عيّنة بسبعة عناوين من الكتب التي عرضت للعموم في المعرض الدولي للكتاب بتونس اتخذ له من الأسماء: "منشورات الدعوة لولاية الفقيه في المعرض الدولي للكتاب".

أمّا ملحق الكتاب فهو ذو قيمة تاريخية وتوثيقية نادرة. فقد تضمّن ٢٣ وثيقة تاريخية نادرة في شكل صور للغلاف الخارجي لهذه الكتب وتقارير ومراسلات رسمية وكشوف دقيقة...، لهذا الصنف من المؤلّفات. وتكمن قيمة هذه الوثائق في اعتقادنا في كشفها عن أشكال تعامل وزير الثقافة ورئيس الحكومة ومدير الحزب الدستوري الحاكم آنذاك مع الكتاب الديني.

بعد هذا الجرد للكتاب وأقسامه، فإننا نتساءل عن طبيعة المادة الواردة في هذه المؤلّفات ؟

مدوّنة زاخرة بالكتب "الصفراء":

ذكر صاحب الكتاب في مؤلّفه عشرات العناوين من أمهات الكتب الدينية التي تمّ تداولها في تونس في ثمانينات القرن الماضي، سواء في مكتباتنا العمومية ومؤسساتنا الثقافية والتربوية أو في المكتبات ونقاط البيع من فضاءات تجارية ودُور نشر...، أو تلك التي سُمح لها بالدخول إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بلادنا بمناسبة المعرض الدولي للكتاب بتونس.

ولم تقتصر هذه العناوين على الاهتمام بالشأن الديني من علوم شرعية: عقيدة وقرآن وحديث وفقه وتفسير...، بل تجاوزته لتركز على المسائل ذات الصلة بالشأن السياسي والاجتماعي والفكري...، وتتعمّق فيها فكرا وممارسة.

ونظرا لكثرتها فإننا نورد ثمانية وثلاثين مؤلّفا (٣٨) منها في الجدول التالي بعناوينها وأسماء مؤلّفيها.

عنوان الكتاب	المؤلّف
١-تحديات في وجه المجتمع الاسلامي.	أنور الجندي
٢-الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون.	أنور الجندي
٣-نحن وحضارة الغرب.	أنور الجندي
٤-موقف الاسلام من العلم والفلسفة الغربية.	أنور الجندي
٥-التغريب أخطر التحديات في وجه الاسلام.	أنور الجندي.
٦-في مواجهة الفراغ الفكري والنفسي في الشباب.	أنور الجندي
٧-على الفكر الاسلامي أن يتحرّر من سارتر وفرويد ودوركايم.	أنور الجندي
٨-الاسلام في مواجهة التيارات الوافدة والمؤثرات الأجنبية.	أنور الجندي
٩-مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الاسلام.	أنور الجندي
١٠- هل غيّر الدكتور طه حسين آراءه في سنواته الأخيرة.	أنور الجندي
١١- حركة الترجمة.	أنور الجندي
١٢- محاذير وأخطار في مواجهة إحياء التراث والترجمة من الفكر الغربي.	أنور الجندي
١٣- الفكر البشري القديم.	أنور الجندي
١٤- الاستشراق.	أنور الجندي
١٥- القيادة الاسلامية.	جواد كاظم
١٦- دع القلق وابدأ الدعاء.	علي ناصر
١٧- الايديولوجية الاسلامية.	عبد الحميد المهاجر
١٨- كيف عرفت الله ؟	محمّد الشيرازي
١٩- إلى حكم الإسلام.	محمّد الشيرازي
٢٠- حوار حول تطبيق الإسلام.	محمّد الشيرازي
٢١- قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله.	جلال العالم
٢٢- الإنتاج الذري الصيني وصلته بمسلمي تركستان الشرقية.	محمّد حرب
٢٣- وحدة الأمم الاسلامية.	أبو الأعلى المودودي
٢٤- ذبائح أهل الكتاب.	أبو الأعلى المودودي
٢٥- واجب الشباب المسلم.	أبو الأعلى المودودي
٢٦- تحديات العصر الحاضر والشباب.	أبو الأعلى المودودي
٢٧- الحكومة الاسلامية.	أبو الأعلى المودودي (تعريب أحمد إدريس)
٢٨- أبو الأعلى المودودي: صفحات من حياته وجهاده.	أبو الأعلى المودودي (تعريب أحمد إدريس)
٢٩- الأصول الاخوانية	حسن البنّا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للدعوة: مذكرات الدعوة والداعية.	
٣٠- نبوءات المصطفى.	نشأت المصري
٣١- أزمة روحيّة.	عصام العطّار
٣٢- من أحوال المصطفى صلّى الله عليه وسلّم.	جلال كشك
٣٣- خطوات في الهجرة والحركة.	عماد الدين خليل
٣٤- الشريعة الاسلامية والأجانب في دار الاسلام.	محمّد عطيّة خميس
٣٥- حكايات عن عمر.	محمّد جلال كشك
٣٦- يوم كنا خير أمّة.	محمّد جلال كشك
٣٧- الاسلام والحكم.	أبو الحسن الندوي
٣٨- الاجتياح بين المطرقة والسنديان.	أبو مهدي

وإذا كانت تلك هي أبرز العناوين لنا أن نتساءل عن أهمّ الأفكار الواردة فيها ؟

أفكار هدّامة غربية عن الثقافة التونسية:

بالنسبة للأفكار الواردة في هذه المؤلّفات توقف صاحب الكتاب عند الكثير من مضامينها. ونظرا لتأثيرها البالغ والخطير على أفكار وعقول الناشئة التونسية وعديد الشرائح من مختلف الأوساط والأعمار... حينئذ، فقد اعتبرها الأستاذ أحمد خالد على غاية من الخطورة واصفا إيّاها بـ **"المفجّرة"** و **"الهدّامة"** للثقافة والفكر التونسيّين بكل ما للكلمة من معنى.

وبحكم دسامة مادتها وصعوبة الغوص في محتواها تمحيصا وتحليلا ونقدا...، في مثل هذا المقام، فقد آثارنا التطرّق إلى مسألتين رئيسيتين منها، هما المسألة الفكرية - الثقافية والمسألة السياسية، مع ذكر مقتطفات قصيرة منها لنترك لقرّاء مجلتنا الكرام فرصة الحكم لفائدة هذا المحتوى أو عليه:

*** في الشأن الثقافي: علاقة الاسلام بالغرب وموقفه من الفلسفة والعلوم العصريّة:**

ذهب أنور الجندي في مؤلّفه **"تحدّيات في وجه المجتمع الاسلامي"** إلى ضرب الحصار الشديد على الفكر الاسلامي وإحكام غلقه وتحصينه حتى "لا يتلوّث" بالفكر الغربي. أما في مؤلّفه **"الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون"** فإنّ "الخنجر المسموم" هو تعبير مجازي، المقصود به "التعليم" ببرامجه ومناهجه الحديثة... "سيطر عليها الغرب في العالم الاسلامي "، فأقصى بها "الشريعة عن مجال التطبيق وأحلّ محلّها القانون الوضعي وطعن المسلمين في لغتهم وتوجّههم السياسي الاسلامي وفهمهم للعلم وتصوّراتهم الاجتماعيّة". وفي كتابه **"نحن وحضارة الغرب"** يؤكّد أنور الجندي "فساد التجربة الغربية" ويقرّر فشل جميع النظريّات والأمثلة التي ظهرت في العالم ما عدا الاسلام.

وفي مؤلّفه **"موقف الاسلام من العلم والفلسفة الغربية"** رفض أنور الجندي "العلمانيّة" "رغم كونها مستعملة من قبله بمعنى "العلوم الخارجة عن الدين" وشدّد على ضرورة "تشديد الخناق على العلم والفلسفة الآتيين من الغرب". وفي كتابه **"مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الاسلام"** اعتبر أنور الجندي علوم الاجتماع والنفس والأخلاق...، غزوا ثقافيا هدفه مبيت وهو تغريب المسلمين وينادي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بإيجاد علوم اسلامية في تلك الميادين. فهو بذلك انعزالي تصحّري لا يؤمن بالتلاقح الثقافي وحوار الحضارات !

وأكثر من ذلك اتهم أنور الجندي عميد الأدب العربي طه حسين في كتاباته عن السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي بـ "التواطؤ مع الصهيونيّة". وقد ذهب نفس المؤلف إلى أبعد من ذلك في كتابه **"محاذير وأخطار في مواجهة إحياء التراث والترجمة من الفكر الغربي"** اذ اعتبر "...ظاهرة المترجمات إلى اللغة العربية من الفكر اليوناني الوثني القديم والفكر الغربي الليبرالي والماركسي تحتاج إلى نظرة فاحصة..." وحركة ترجمة الفكر الغربي إلى اللغة العربية عامة "تغريب للإسلام وبلاده". وبذلك يكبّل العقول والأفكار متناسيا أنّ أوج الحضارة العربية الاسلامية (في العراق وبلاد الشام والأندلس... قد تحقق بفضل ترجمة أمّهات الكتب من السريانية واليونانية والفارسية...، إلى اللغة العربية.

*** في الشأن السياسي: نظام الحكم:**

عُرضت بتونس في الثمانينات عبر المعرض السنوي للكتاب كتب ايديولوجيّة شيعيّة تصبّ جميعها في مصبّ واحد هو الحثّ على التمرّد ضد الدولة المدنيّة.

بعد إعفاء الأستاذ البشير بن سلامة من منصبه على رأس وزارة الثقافة في ١٢ ماي ١٩٨٦، أذن خلفه الأستاذ زكرياء بن مصطفى بجلب أكوام من المنشورات، كانت قد أحالتها إدارة معرض تونس للكتاب - عن طريق إدارة الآداب - على المركز الثقافي الدولي بالحمّامات قصد إنماء رصيده.

وقد تولى الأستاذان الجيلاني بالحاج يحي - المستشار بوزارة الشؤون الثقافية- وعبد الوهاب الدخلي -المدير الجديد لإدارة الآداب- بجرد دقيق لهذه الكتب وضبط قائمة بواحد وعشرين عنوانا اعتبرت "كتبا مشبوهة" دون بيان مواطن شُبهتها وخطورتها. لقد شدّد مضمون هذه الكتب الشيعية في غالبيتها على ايديولوجية "حزب الله المختار" التي اشتهرت باسم "جماعة الفرقان الذرّي" التي تزعمها منذ سنة ١٩٧٤ المشعوذ علي الداني "بمدينة توزر مسقط رأسه، فاستدرج إلى دعوته عناصر طائشة في بعض الجهات كمنطقة المزّونة بولاية سيدي بوزيد والقصرين وبنزرت "ويحيط دعوته بالأسطورة والشعوذة. وقد أعدّ للتعريف ببرنامجه كراسا صغيرا سحبه بالتصوير بعشرات الآلاف من النسخ تحت عنوان: "حجّة الله صاحب الفرقان الذرّي أبي محمّد الطاهر الشريف علي الداني ". وقد زعم هذا الداعية المشعوذ الذي تمّ إيقافه ومحاكمته مع جماعته ابتدائيا يوم ١٠ ماي ١٩٨٦ "بأنّ مشروعه أوصى به المهدي المنتظر عندما التقى به ". (مجلّة الدستور في عددها الصادر يوم ١١ أوت ١٩٨٦، ص ١٠).

وعلى صعيد آخر جهرت مجموعة "الجهاد الاسلامي" بلسان من ولّته أميرا عليها، وهو الحبيب الضاوي أثناء محاكمتها في أوائل جويلية ١٩٨٦ بنظريّة "ولاية الفقيه" والجهاد من داخل المجتمع الاسلامي الذي يعتبرونه منحرفا إلى الجاهليّة وحكم الطاغوت، أي مجتمعا كافرا.

وفي كتاب "القيادة الاسلامية" لجواد كاظم نجد في مقدمته ابتهالا إلى الله أن "يعمّم الجمهورية الاسلامية في كل بقاع الاسلام والمسلمين". ويعتبر هذا الكاتب أنّ الدولة المدنية طاغوتا ويجب تكفيرها ومقاومتها.

أمّا في كتاب **"دع القلق وابدأ الدعاء"** لصاحبه علي ناصر، فالمؤلف يشير صراحة إلى ما تلقاه الحركات الاسلاموية في بلدان المغرب العربي من مواجهة ويقرنها بالضغوط التي تواجهها الثورة الخمينية. ويعالج الكتاب مسألة القلق، التي مردّها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هروب الغرب من الفراغ الروحي والقلق إلى تعاطي المخدّرات... أما الخلاص من ذلك الفراغ والقلق فلا يكون إلا بالدعاء وهو في رأيه: "علاج شامل لجميع أمراضنا النفسية والعقلية والجسمية" (ص ٢٣). فالدعاء عنده تعبئة روحية " Mobilisation spirituelle" تهيء للتعبئة العسكرية "Mobilisation militaire" كما يراها بشكل دقيق في: "... جيش الجمهورية الاسلامية في إيران وضمن قوّات التعبئة الشعبية حيث يكون الانخراط العميق في صفوفها من قبل الشباب والرجال ويتوهّج الحماس في قلوب هؤلاء للالتحاق بجبهات القتال للحصول على وسام الشهادة ..." (ص ٦٣).

أخيرا في كتاب **"يوم كنّا خير أمّة"** لمحمّد جلال كشك، فإننا نجد إعدادا نفسانيا وإيديولوجيا للثورة الاخوانية يختمه المؤلّف بخواطر متطرّفة حول ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل عامة الناس، باليد وباللسان أو بأضعف الإيمان وهو القلب. ويسترسل كشك في الحثّ على التمرّد على الدولة المدنيّة بعد أن اعتبر الأنظمة الاسلامية في الحاضر جاهليات طاغوتية بقوله: "... إذا استند الباطل إلى السلطة... حقّت الثورة..." (ص ٤٥). وغيرها من الأفكار والمفاهيم والقيم السياسية الواردة في هذا المؤلّف وغيره من المؤلّفات التي اكتسحت بقوّة عقول الكثير من شباب تونس في ثمانيات القرن العشرين وزرعت بذور فكر جديد انبنى على التكفير والتفرقة في إسلام وعقيدة التونسيّين وفتحت باب الفوضى والتشريع لنسف مكتسبات الدولة المدنيّة على مصراعيه.

كان ذلك يحصل بمرآى ومسمع الجميع في وقت كانت تمنع فيه عديد الكتب عن الماركسية والفكر الشيوعي عامة من الدخول إلى تونس وتسحب فيه جميع منشورات وبيانات تنظيمات اليسار التونسي غير المعترف به وفي مقدمتها صحيفة "العامل لتونسي"الناطقة باسم المنظّمة التي تحمل نفس الاسم ومقالات رموز ونشطاء اليسار التونسي بمختلف تفرّعاته على غرار: جلبار نقاش ومحمّد الشرفي وأحمد نجيب الشابي ونور الدين بن خضر وعزالدين الحزقي وأحمد بن عثمان الرداوي، وعزالدين الحزقي ومنجي اللوز والنوري بوزيد وعبد الله الرّويسي وحمّة الهمامي ومحمّد الكيلاني والهاشمي الطرودي...، وغيرهم كثيرون.

وعلى ضوء كل ما تقدّم يصحّ القول أنه عوض الاهتمام بمسائل التنمية الجهوية والمحلية والتشغيل والتعليم والصحّة... التي تعود بالنفع على جميع التونسيّين، كان الاهتمام بأفكار وافدة على بلادنا تسبّبت في حصول صراعات ايديلوجية – دينية ومهّدت إلى حد كبير في تقهقر المجتمع التونسي وانفصام وحدته وانتكاسة ثقافته.

وبعد استعراض مدوّنة الكتب الدينية وعيّنات من مضمونها، يحقّ للقارئ أن يتساءل: ما هي مجالات ترويج و"زراعة" مثل هذه الكتب "المفجّرة" و"الهدّامة" للفكر والثقافة التونسية وما هي أسباب سماح السلطات التونسية في أعلى هرمها بترويجها؟

حقائق مريرة وحجج دامغة عن ضعف الحكومة و"مهادنتها" للظاهرة الأصوليّة في تونس لأسباب سياسوية ضيّقة:

كشف صاحب الدراسة عن كيفيّة زرع الفكر التكفيري المكيّف لعقول فئة من شبابنا ولبعض الفئات الاجتماعية المهمّشة تحديدا، بتعبئتهم ايديولجيا واستقطابهم في حركات سلبية متطرفة لخلخلة المجتمع المدني ومؤسّسات الدولة بهدف إقامة ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سمّوه – بحسب طباعهم الإيديولوجية الإسلامويّة: "الحكومة الإسلامية" أو "الخلافة" أو "ولاية الفقيه"...

وقد أفضى هذا الفكر التكفيري في نظر الأستاذ أحمد خالد إلى "أبغض أنواع الإرهاب باسم الدين" وذلك عبر طرق ثلاث:

- **أولا:** زَرع هذا الفكر التكفيري في برامجنا وكتبنا المدرسية الرسمية لمادة التربية الإسلامية في المرحلة الثانية للتعليم الثانوي في أواسط ثمانينات القرن العشرين إلى حدود مارس – أفريل ١٩٨٩. وقد بيّن ذلك بأمثلة دقيقة اكتشفها عندما عُيّن على رأس كتابة الدولة للتربية (١٩٨٩-١٩٩٠).

- **ثانيا:** زَرع الفكر التكفيري باكتساحه لساحتنا الثقافية عبر طوفان من الكتب المستوردة من معاقل الحركات السلفية المتطرفة بالمشرقين الأدنى والأقصى، فتبنّتها بعض دور النشر التونسية، التي أعادت طبعها ونشرها، ونسبت باطلا إلى "الكتاب الثقافي التونسي" وتمتعت بدعم المال العام من "صندوق التعويض" و"صندوق التنمية الثقافية" في الفترة الممتدّة بين ١٩٨١ و١٩٨٦.

- **ثالثا:** زَرع الفكر التكفيري بالكتب الإسلاموية السياسوية المستوردة من معاقلها المشرقية عبر المعرض الدولي التونسي للكتاب في نفس الفترة (١٩٨١-١٩٨٦).

و العجب العجاب أنّ الكتب التكفيرية الصدامية التي تستهدف نسق الدولة المدنية وتعتبرها "طاغوتا" قد تحصّلت على الإيداع القانوني الذي كان يصدر من وزارة الداخلية. كما وجدت التشجيع والدعم من المال العام والتوصية باستخدام الورق الثقافي ("أفنور ٧" "AFNOR 7") في صناعة الكتب التكفيرية، واقتناء عناوينها للمطالعة العمومية.

ولم تكن ملفات دعم الكتب التكفيرية واقتنائها تمرّ من مكتب الضبط المركزي بوزارة الثقافة، بل تراوغه لتُرْسَلَ بالتوصية للتنفيذ مباشرة إلى وزارة الاقتصاد (صندوق التعويض)، وإلى وزارة المالية (صندوق التنمية الثقافية).

والأغرب من ذلك، كانت كميات من الكتب التكفيرية الصادرة خارج الحدود التونسية تصدّر بعد إمضاء اتفاق بين وزير الثقافة وشركة الخطوط الجوية التونسية، بتخفيض لسعر شحنها قُدّر بـ ٧٠ %. (أي ٣٠ % من سعر الشحن) والبقية تحملتها وزارة الثقافة من المال العام، أي من "صندوق التنمية الثقافية". وبهذه الطريقة صُدِّرَتْ كميات من الكتب التكفيرية محسوبة بالمغالطة على "الكتاب الثقافي التونسي" إلى أجوارنا في المغرب العربي وبعض بلدان إفريقيا السمراء والبلدان الأوروبية.

وهكذا أصبحت تونس المعروفة باعتدالها مُصدّرة للفكر التكفيري الصدامي الذي لم يكن من إبداع الفكر التونسي، في حين أنه منسوب بالباطل إلى "الكتاب الثقافي التونسي" وكل ذلك موثّق بالأدلّة في كتاب المؤلّف (انظر الملحق).

وحينما أطلع صاحب الكتاب ومدير ديوان وزير الثقافة سابقا رئيسه، الأستاذ البشير بن سلامة وزير الثقافة آنذاك (١٩٨١-١٩٨٦) على الدراسة الأولى الاستكشافية للكتب الصدامية المفجّرة للمجتمع المدني وما يحدث من مخاطر في ترويجها، عوض أن يتدارك الأمر ويبادر بإيقاف التيّار، فقد تشنّج وأصرّ على العناد بتبني هذه الكتب التكفيرية الغريبة عن فكرنا التونسي الأصيل وإسلامنا المعتدل، فظلّت تنعم بالدعم والتشجيع من المال العام.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والأدهى من ذلك أنّ الوزير عمد إلى مغالطة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (UNESCO) التي طلبت ثبتا للكتب المترجمة في تونس لتُدرجها – حسب مواصفات معيّنة – في المجلّد الثامن والثلاثين للفهرس العالمي للكتب المترجمة (Index Translationum)

وقد أمضى وزير الثقافة رسالة رسمية بقائمة في عناوين كتب لمنظري الدولة الدينية، وفي مقدمتهم: الخميني و"آيات" الله ومنظري الثورة الاسلامية الايرانية وأمناء حزب الله ومنظريه وغيرهم. وهي كتب ليست من تأليف ولا من ترجمة أقلام تونسية.

ورغم رفض صاحب الكتاب شخصيا إمضاء المشروع الأصلي للمراسلة ولفته نظر الوزير لبطلان نسبة تلك الكتب إلى تونس فقد أصرّ الوزير على مغالطة اليونسكو بنسبه تلك العناوين المترجمة عن علي شريعتي الإيراني وأبي الحسن الندوي الهندي...، إلى تونس.

كتاب الأستاذ أحمد خالد هو إذن شهادة للتاريخ يفيد الرأي العام لمعرفة الخلفية التاريخية لزرع الفكر التكفيري في تونس والتمهيد لظاهرة الإرهاب باسم الدين. لذا والحال تلك لا يمكن مقاومة ظاهرة الإرهاب بتجاهل الفكر التكفيري المزروع.

كما أطلع صاحب الكتاب الوزير الأول المرحوم الأستاذ محمّد مزالي على النسخة الأصلية الأولى لترويج تلك الكتب التكفيرية الصدامية. وبعد إطلاعه عليها إثر استقباله في مكتبه كان رد فعله بعبارة فرنسية واحدة: " Laissez faire"، أي بمعنى " أترك الأمور على حالها ".

دُهِلَ الأستاذ أحمد خالد بهذا الردّ، وأيقن أنه كان يغرّد خارج السرب. وكان يقينه أنّ الولاء للوطن قبل الولاء للأشخاص، وأنّ الثقافة مسؤولية وأمانة، وأنّ طاعة الأمر بترك الحبل على الغارب إنما هي مشاركة في الإثم. حينئذ قرّر أنّ وجوده على رأس الديوان بوزارة الثقافة لم يعد ممكنا، فطلب في رسالة بخط يده مباشرة إلى الوزير الأول إعفائه من رئاسة الديوان وإحالته على التقاعد. وكان جواب الوزير الأول عن طلبه بالصمت. فغادر بإرادته المسؤولية والوظيفة العمومية في غرّة جانفي ١٩٨٦.

وعلى ضوء ما تقدّم يحقّ لنا اليوم بعد مرور قرابة ثلاثين سنة عن هذه الأحداث أن نتساءل : ما هي أسباب "مهادنة" الحكومة للكتب الدينية والظاهرة الاسلاموية عامة في تونس في مطلع الثمانينات ؟

خلط في الحسابات السياسية:

لا يزعم صاحب الكتاب أنّ المرحوم محمد مزالي بتكوينه الفلسفي النقدي العقلاني يتبنى الفكر التكفيري، فهذا مباين لقناعاته، لكن هناك خلط في ذهنه وحساباته السياسية في ظروف الصراع على خلافة بورقيبة بين "الصحوة الإسلامية" ذات الاتجاه الاجتهادي التنويري المواكب لمعطيات العصر، وهي صحوة مستحبّة في فكر محمّد مزالي المدافع من جهة عن الهويّة التونسية العربية الإسلامية -وهذا لا يعاب عليه- وبين ما ينزلق إليه من جهة أخرى الجناح المتطرف للحركات السلفية التكفيرية الجهادية التي تُشرّع للعنف المفضي إلى الإرهاب في ركوبها مطيّة الدين للوصول إلى كراسي الحكم، والإطاحة بالدولة الحديثة وإقامة الدولة "الدينية" بمختلف مسمّياتها.

نعم، كان هناك خلط في ذهن الأستاذ محمّد مزالي بين الصحوة الإسلامية التنويرية من جهة، والانزلاق التكفيري الجهادي من جهة أخرى، وهو ما يعاب على وزير أوّل ورجل فكر ومثقّف في دولة مدنيّة. ولذا، عوض أن يأذن بفتح بحث بخصوص ترويج المنشورات التكفيرية ودعمها واقتنائها بالمال العام، فإنه ترك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحبل على الغارب. وليس من المستبعد أن يكون غضّ الطرف عن تلك المنشورات لحسابات سياسية يراد بها كسب تعاطف "حركة الإتجاه الإسلامي" الإخوانية المُتمشرقة في أواسط ثمانينات القرن الماضي، والمتأثرة بأدبيات حسن البنّا، وسيّد قطب وأبي الأعلى المودودي وغيرهم.

وقد حدث ذلك التعاطف المحسوب سياسيا بين محمّد مزالي وقيادة حركة الاتجاه الإسلامي في ظروف استفحال الصراع على خلافة بورقيبة. وتأكيدا لذلك استقبل محمد مزالي أبرز قيادي الحركة: الشيخان راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو، مرّة أولى في بيته بسكرة في صائفة ١٩٨٤ ثمّ مرّة ثانية بمكتبه إثر قصف المخيّم الفلسطيني بحمّام الشط في غرّة أكتوبر ١٩٨٥. وفي هذا الإطار جدير بالتذكير أنّ "مهادنة" الأستاذ محمّد مزالي للإسلاميّين وقربه منهم كان لأسباب "سياسويّة" صرفة، أي استمالتهم لضمان مساندتهم له ضد خصوم وكتل كثيرة داخل قصر قرطاج وخارجه وحتى صلب الحكومة نفسها في صراع خلافة الرئيس الحبيب بورقيبة في الحكم الذي اهتزّت صورته أكثر من مرّة بالداخل والخارج بسبب شيخوخته ومرضه...

ولم يغب حينئذ التصرّف الأرعن تجاه المنشورات التكفيرية الصدامية عن الدوائر المسؤولة حتى غادر البشير بن سلامة وزارة الثقافة في ٨ ماي ١٩٨٦ وعوّض بزكرياء بن مصطفى. وبلغ صدى ما كان يروّج من المنشورات التكفيرية إلى سماع الرئيس الحبيب بورقيبة، فاستدعاه لمقابلته بعد ظهر يوم ٣١ جويلية ١٩٨٦ بقصر صقانس المنستير والتفاصيل موثّقة.

وبطريقة أو بأخرى من الضروري أن نتساءل: ماذا روّجت الكتب التكفيرية التي اكتسحت الساحة الثقافية في الأوساط المدرسية وفي المجتمع التونسي عامة بعد فترة الثمانينات؟

تشجيع الناشئة على "الجهاد الاسلامي" والعنف وضرب النساء...:

على سبيل المثال استُخدم كتاب التربية الإسلامية في السنة الرابعة ثانوي للدعوة إلى تطبيق الشريعة وإقامة الحدود بقطع الأيدي. وأباح الكتاب المدرسي الرسمي في التربية الإسلامية العنف، فدعا إلى "الجهاد الإسلامي" داخل المجتمع الإسلامي واعتبر "محاربة المخالفين (منظور الجماعة) أوكد من جهاد العدوّ البعيد "، وشرّع لـ "وجوب التصدي لمن يمنع نشر الدعوة" بذلك المفهوم المتطرّف.

كما حثّ الكتاب المدرسي الرسمي في مادة التربية الإسلامية على "وجوب الطاعة للأوامر" (أي أوامر القيادة الإسلاموية بالمفهوم المتطرف).

لقد دعا الكتاب المدرسي الرسمي إلى إباحة ضرب النساء مدّعيا أنّ ذلك أفضل من طلاقهن وهذا تشريع لقانون الغاب (كتاب التربية الإسلامية للسنة الرابعة ثانوي).

كما استخدم الكتاب المدرسي الرسمي للتربية الإسلامية في السنتين السادسة والسابعة لمقاومة الفكر الفلسفي النقدي لجهابذة الفكر الإنساني وخاصة طه حسين، فكفّروه... ويندرج ذلك طبعا في تخدير عقول الشباب لاستقطابهم وتعبئتهم بسهولة وكل ذلك موثّق بالشواهد والوثائق "التاريخية" وكلها موجودة في كتاب الأستاذ أحمد خالد.

فما هي نتائج تدريس نصوص لمثل هذه الأفكار الرجعيّة في مؤسّساتنا التربوية على مجتمعنا ؟

من يزرع الشوك يجني الجراح:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقد روّجت هذه الكتب ظواهر خطيرة في تونسنا العزيزة لخّصها المؤلف فيما يلي:

- تكفير الدولة المدنية، باعتبارها طاغوتا يجب مقاومته واستباحة دم القائمين عليه.
- اعتبار الأحزاب السياسية من صنع الشيطان، فلا مكان إلا لحزب واحد هو "حزب الله" الذي تختلف تسميته بحسب الأطباق.
- اعتبار "القوميّة" و"الوطنيّة" تصوّرا جاهليا وذلك بهدف تشكيك الشباب في ولائهم للوطن والراية الوطنية.

وكانت تلك المنشورات التكفيرية الصدامية تدعو إلى:

- السيطرة على مفاصل الدولة وأجهزتها وخاصة الأمن والجيش بالتسلل إليهما.
- السيطرة على الجامعات والكليات.
- التمكّن من وسائل الإعلام.
- تأسيس الجمعيات الخيرية لنشر الدعوة الإسلاموية عبر المساجد خاصة حيث يتواجد ما يسمّونهم "رؤوس الدعاة".
- تلقين الشباب أساليب انتداب الأتباع وتكوينهم على مراحل وتعبئتهم في تنظيمات سرية ليكونوا "رهائن التنظيم" ويقبلوا التضحية بالمال والعيال والنفس طوعا وبلا نقاش لأوامر القيادة.
- إقامة المعسكرات والتدرب على فنون الحِرَابَة، أي القتال.

وكل ذلك تأهبا لما يسمونه "يوم النصر الأعظم" لتحقيق "الانقلاب الإسلامي" للإطاحة بالدولة المدنيّة وإقامة الدولة "الدينية" وامتطاء كراسي الحكم.

إنّها كتبٌ تضرب الفكر النقدي وتطوّق عقول الشباب وتخدّرها ليسهل استقطابهم وتعبئتهم فيَنْصَاعُوا بلا نقاش للأوامر. إنها كتبٌ تكفيرية روّجت "ثقافة الموت "، لا "ثقافة الحياة ". وكل ذلك موثق أيضا بأدلة في كتاب الأستاذ أحمد خالد.

ونتيجة لذلك تسلّل في نفس الفترة ذلك الفكر التكفيري إلى البرامج والكتب المدرسية في مادة التربية الإسلامية بمعاهدنا. ويظهر ذلك من خلال:

- إدراج "مسألة الخلافة" كأصل من أصول الدين أي أحد أركان العقيدة، لا باعتبارها أكبر مسألة خلافية في تاريخ الإسلام قد فرّقت المسلمين ودفعتهم إلى الاقتتال (هذا في برنامج التربية الإسلامية للسنة الخامسة ثانوي)، فلقنوا تلاميذنا أنّ "من مات ميتة جاهلية" قد مات كافرا. والقصد من ذلك هو ضرب دولة القانون ومؤسّسات النظام الجمهوري الذي يدرّس لتلاميذنا في السنة الرابعة ثانوي، ليُوهمهم أن ذلك النظام طاغوتي كافر.

والمتأمّل في تفاصيل ومفردات هذه المدوّنة الدينية – الثقافية التي غزت تونس في ثمانينات القرن العشرين عبر الكتب والمنشورات المسموح بترويجها من قبل السلطات الرسمية حينئذ وتلك التي أطلّت علينا بعد ١٤ جانفي ٢٠١١، يلاحظ تشابها كبيرا بينهما إلى حد التطابق على مستوى: المرجعيّات والقناعات والخطب والشعارات والممارسة...

ويكفي للتدليل عل صحّة ذلك ما ألفنا سماعه في المساجد والجوامع والقنوات والإذاعات من عبارات: الجهاد في سبيل الله (في إشارة إلى الهجرة للجهاد في سوريا) – دار الكفر – دار الإسلام – جهاد النكاح –

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ختان البنات – الطاغوت (في إشارة للأمن والحرس والجيش الوطني)...

وبالنسبة لتنظيمات ما بعد ١٤ جانفي ٢٠١١ ومنظّريها، فلم نعد نستمع لمفردات: "الإخوان المسلمون" و"حزب الله" و "الجمهورية الاسلامية الإيرانية" و "مرشد الأمّة الإسلامية" و "الإمام الخميني" و "المهدي المنتظر" و "حسن البنّا" و "سيّد قطب" و "أبي الأعلى المودودي" و "سيدي الشيخ فلان وعلاّن"...، بل حلّت محلّها مدوّنة جديدة من أبرز مفرداتها: "أنصار الشريعة" و "جمعيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" و "حزب التحرير" و "السلفيّة الجهاديّة" و "السلفيّة الدينيّة" و "تنظيم القاعدة بالمغرب الإسلامي"...

أمّا جغرافيا فقد عوّضت "إيران" و "طهران" و "لبنان" و "بيروت" و "أفغانستان" و "كابول" و "باكستان"...، كل من: "الروحيّة" و "إمارة سجنان" و "بئر علي بن خليفة" و "الروحيّة" و "سيدي علي بن عون" و "جبل الشعانبي"... وآخرها تفجيرات متحف باردو يوم ١٨ مارس ٢٠١٥ وتفجيرات النزل السياحي بمدينة سوسة يوم ٢٦ جوان ٢٠١٥ التي راح ضحيّتها عشرات السيّاح الذين قصدوا بلادنا للراحة والاستجمام رغم دقّة الظرف الاقليمي والدولي والله أعلم بما يخفيه لنا المستقبل القريب !

وأخيرا بالنسبة للقيادات فقد أصبح طبق التونسيّين اليوم بامتياز: "سيف الله بن حسين" (الشهير باسم "أبي عياض") و "الخطيب الإدريسي" و "نصر الدين العلوي" و "كمال القضقاضي"... وضحاياه من شهداء الوطن ومناضليه الصادقين: "شكري بلعيد" والحاج "محمّد البراهي" وكل من "الطاهر العياري" و "سقراط الشارني"... وغيرهم من الشهداء الأمنيّين والعسكريّين الأبرياء، والقائمة تطول.

خاتمة:

عموما أتى كتاب الأستاذ أحمد خالد ليثري المكتبة التاريخية ويُوثّق لمحطة هامة من تاريخ الثقافة التونسية المعاصرة. فقد استطاع في اعتقادنا صاحبه بالوثيقة والحجّة والبرهان أن يتجاوز دراسة الصراع السياسي الرسمي وغير الرسمي في تونس الثمانينات ليركز بالأساس على مسألة الصراع الثقافي – الديني بالتعمّق في طرق وأساليب زرع الفكر التكفيري في ثمانينات القرن العشرين بتونس وتداعياته من خلال قراءة ببلوغرافية تحليلية لطوفان المنشورات التكفيرية المدعومة بالمال العام، امتدّ أثره إلى البرامج والكتب المدرسية الرسمية بمعاهدنا. وهو لعمري فكر جنينا ونجني إلى يومنا هذا بامتياز ثماره السلبية على البلاد والعباد في أكثر من ميدان في تونس ما بعد ١٤ جانفي ٢٠١١. وهو فكر لا يمكن في اعتقادنا اقتلاعه بسهولة وبدون آلام وأوجاع نظرا لكونه كالسّوس قد تغلغل في عقول وأفكار العديد من التونسيّين وخاصّة الشبّان منهم.

وإذا كانت النخبة السياسية الحاكمة وتحديدا الأستاذ محمّد مزالي قد "غضّ الطرف" عن دخول مثل هذه المنشورات والأدبيّات التكفيريّة المفجّرة إلى بلادنا في الثمانينات بسبب مغازلته للتيار الديني وتحديدا للاتجاه الإسلامي للمراهنة على خلافة بورقيبة إثر مرضه وشيخوخته وكثرة الكتل داخل القصر وخارجه...، فإنّه لا يمكن اليوم القبول بعودة مثل هذه الأفكار والثقافة الغريبة إلى بلادنا بعد سقوط النظام الدكتاتوري إثر ثورة الحريّة والكرامة.

أملي أن يجنّب الله بلادنا إلى الأبد هذه الأفكار وهذا النمط الثقافي الهدّام الذي بشّر به كثيرون في تونس خلال ثمانينات القرن العشرين ثمّ عاد إلى بلادنا بعد ثلاثين سنة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأكثر قوّة وعنف ودمويّة بعد ١٤ جانفي ٢٠١١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رموز عالمية مقدسة قديمة*

الكلمات المفاتيح :

رموز قديمة – منتشرة عالميا – الثالوث – الشجرة – الزوج المقدس.

الملخص :

مسألة أصل الجنس البشري ووحدته شغلت الباحثين. الإجابة على هذا السؤال ممكنة بفضل شواهد هامة جدا لم يقع الاهتمام بها من قبل بشكل جيد سيتناولها هذا البحث بالدراسة.

تتمثل هذه الأدلة في عدد من الرموز قديم جدا ومنتشر عالميا وهذا برهان على والعلاقة الوطيدة بينها وإشارة لوحدة الأصل. العديد من التفسيرات لهذه الرموز لم تنجح في التوصل لفك لغز أصلها ومعناها.

هذه القراءة تسعى لتقديم تفسير جديد تأصيلي لهده الأشكال المقدسة ومنشأها. كل هذه الرموز لها علاقة ببداية تاريخ البشرية في الجنة وهو ما يتوافق مع إشارات النصوص الدينية بعيدا عن بعدها العقائدي بل كأدلة تاريخية. هذا العمل الدي هو جزء من مقاربة أعم وهو يتوقف عند جزء بسيط من هذه الأشكال التي اخترقت الزمن ووصلت الينا.

Title :

UNIVERSAL ANCIENT HOLY SYMBOLS

Key words :

Old symbols - Worldly spread - Trinity - Tree - Holy couple.

Abstract

There are a number of symbols are very old and spread globally and this is evidence of the strong relationship between them and a reference to the unity of origin. Many interpretations of the symbols have failed to explain their origin and meaning. This approach attempts to provide a new interpretation of the subject of the holy forms and their origin. All these symbols are related to the beginning of the history of mankind in Paradise, which corresponds to the references of religious texts away from the

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ideological dimension, but as historical evidence. This work deals with a small part of these forms that have penetrated the time and reached us.

يمثل المجتمع الإنساني لحد الان ظاهرة استثنائية بكل المقاييس. بالطبع كلنا متفقون أن الكون شاسع جدا لدرجة تكاد تقارب اللامحدود لكن لحد الى الان ورغم الجهود العلمية الحثيثة لم نكتشف بعد اثرا لحياة أخرى خارج كوكب الأرض ورغم أن الأموال المرصودة للبحث عن مواطن حياة أخرى خارج كوكب الأرض مهولة لكن الجواب مازال بالنفي أو الريبة أو في أحسن الحالات معلقا لم يحسم بعد نهائيا.

لكل هذه الأسباب فالبشرية تكاد تكون مسكونة بسؤال حير العلماء وبمختلف مشاربهم وهو يتعلق بفهم السر وراء وجود الحضارة البشرية في الأرض وخصوصياتها. المبحث الذي نتناوله في هذا العمل يتعلق بمسألة هامة متصلة بخصوصية الحضارة البشرية يتمحور حول السعي بجد لفهم تاريخها الرمزي وكذلك موقعه في تسابقها الحضاري كدول وكمجموعات فكرية وكمؤسسات علمية وكأفراد لها هاجس معرفي.

هذا السؤال الدي صار وجوديا تقريبا له أثر كبير على سياق المعرفة البشرية من حيث المضمون. لا نبالغ إذا قلنا إن من أهم المباحث العلمية الملحة على البشرية فهم العلاقة بين مختلف مكوناتها وهو مبحث تنخرط فيه العائلة البشرية بكاملها ويسيطر على العديد من التخصصات العلمية سواء كانت علوما إنسانية أو تجريبية.

كنتيجة طبيعة لذلك فمختلف الأوساط العلمية في عديد الدول الكبرى بصدد تسخير مؤسساتها للبحث حاليا وأكثر من أي وقت مضى عما يمكن أن يجمعها أو يميز بعضها عن الآخر. هذا السؤال واقعي جدا فقد فرضه التقارب الغير مسبوق للجنس البشري أكثر من العهود السابقة. من المصطلحات المعرفية الجديدة العاكسة لهده الحقيقة عبارات "العولمة" و "الكونية" و"العالمية" الرائجة في العديد من الدول والحاضرة في خطاباتها الرسمية والمتداولة. تعد هذه المصطلحات الترجمة الفعلية لهذا المعطى الجديد الدي فرض نفسه أكثر فأكثر خاصة بداية من القرن العشرين وصار ملموسا تقريبا في كل أشكال حياتنا.

لكن تقارب الأمم لا ينفي التنازع بل بالعكس ففي هذا السياق الحضاري تعتبر مسألة اكتساب أسباب المعرفة تحديا كبيرا بالنسبة للأمم كما يمثل التميز أو التفوق النابع من المعرفة رهانا حضاريا استراتيجيا هاما وشرعيا له تبعات عملية جسيمة. لقد فهمت الأمم الكبرى أن من يمتلك التفوق يكون مؤهلا أكثر من غيره ليلعب دور رياديا ومهيمنا وكنتيجة لذلك يتحول إلى مرجع يعود له الجميع بالنظر. كما لهذه الريادة فوائد جمة حضارية ومجتمعية وكذلك اقتصادية مما يجعلها محل تنازع كبير زادت حدته في زماننا. لذلك شكلت مسألة الأسبقية الحضارية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحديا هاما واستراتيجيا. بتأمل تاريخ البشرية نلاحظ بكل يسر أن هاجس ومعضلة الأسبقية الحضارية لازمت البشرية في مختلف فتراتها وطرحت نفسها بأشكال مختلفة حسب الفترات لدى الأفراد والمجموعات على حد السواء وبأشكال مختلفة كذلك.

لتحقيق هذه الغاية الملحة من أهم الأدوات اللجوء لتسخير المعرفة كوسيلة مثالية وفعالة لتحقيق هذه الهدف السامي ومن بين الميادين المستهدفة لتحقيق هدا السبق الحضاري التسابق الكبير للسيطرة على ميراث الماضي الدي شكل أحد أهم المصادر الثرية لتحقيق هذه الأسبقية. للإجابة على هذا السؤال حول معرفة أصل الجنس البشري وجود رابط مشترك يجمع العنصر البشري من عدمه لا بد من الرجوع لتاريخ البشرية وتأمله بأكمله بل تفحصه بتأن. نحن أمام سؤال معرفي هام حول جدوى دراسة الماضي أم لا. بما أننا نشهد اليوم تقدما غير مسبوق في أوجه عديدة من حياتنا مقارنة بما عاشته البشرية في عشريات قليلة من السنوات الماضية فان هذا التساؤل هاما يكاد يكون وجوديا يطرح نفسه في علاقتنا بالماضي. باختصار شديد هل رغم تقدمنا الكبير مازلنا في حاجة للماضي لنستقي منه الدروس أم نستصغر ماضينا ونتخطاه ونتجاوزه لأننا لم نعد في حاجة له أو على العكس من ذلك نتعامل مع الماضي بوقار ونحاول الاستفادة منه وطبعا نحاول الغوص فيه وفهمه لأنه يحتوي على دروس منقدة لنا.

هذا السؤال المعرفي قسم الباحثين وهو يترجم خيارا مفصليا. أنا من موقعي كباحث في تاريخ وتراث الحضارات القديمة توخيت المصالحة مع الماضي لأني اكتشفت الدرر التي يحتويها مثل سلسلة الرموز التي أبسطه في هذا العمل. لذلك أنا من أنصار خيار المتحمسين للمصالحة مع الماضي وسأقدم مبررات ملموسة لموقفي. ولي يقين أن دراسة الماضي كفيلة بحل الكثير من مشاكلنا.

في البداية من الملاحظ أنه رغم الطفرة المعرفية والتكنولوجية والقيمية التي نشهدها اليوم فان علاقتنا مع الماضي مازالت غير واضحة لدرجة كادت تخلق عقدة حضارية تجاه الماضي نحن أحوج ما نكون لتبصرها والسعي لتجاوزها. من ناحية أخرى وبشكل عملي أكثر يمكن التصريح بكل بساطة أن الماضي يمثل مادة هامة جدا لضمان تقدمنا وليس من المبالغة القول إنها حيوية لتغذية كل ثقافة تريد أن تضمن أسباب نجاحها وحتى ديمومتها فالماضي يمكن أن يكون مادة للاعتزاز ومخزونا ثريا للابتكار وخاصة مصدرا لاستقاء الدروس المفيدة والمريرة في آن واحد وليس من الغرابة أن العناية بالمضي في تزايد مطرد وعلى الوجه الأخص من طرف الدول العظمى التي تتنازع ريادة العالم.

المتأمل لمجمل ثقافات ولغات العالم القديم والحالي يكتشف أن هذه التعددية الكبيرة للثقافات البشرية صغيرة كانت او كبيرة ليست إلا ظاهرية وسطحية وأن مسألة أسبقية ثقافة عن الأخرى أو لغة قوم عن غيرها مسألة كفيلة بالتمحيص وربما حتى المراجعة العميقة ولما لا التجاوز.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لكن للعمل البحثي الميداني عوائق منهجية لابد من بسطها على الأقل للباحثين الشبان حيث أنه على المستوى العملي هناك توضيح منهجي أولي يجب أن نبنه له بخصوص من يروم دراسة شواهد الماضي وخاصة القديمة جدا فميراث الماضي ليس كله مفهوما بسهولة وفي متناول الجميع فهو في جزء غير يسير منه في شكل رموز عادة ما تكون مبهمة لدرجة كبيرة وتستعصي غالبا على الفهم المباشر وتحتاج بالتالي إفتاء الباحثين لتصير مقروءة. كدليل على دلك مجمل الرموز التي أتناولها هنا بالبسط.

من هذا المنطلق اخترت هدا الموضوع وارتأيت أن أخصص له هدا المقال المتعلق بجملة من الرموز الملتفة للانتباه والتي تتميز باستمراريتها على مر الأزمنة إضافة لانتشارها الكبير جغرافيا. أتصور بكل تواضع أن هذه الأشكال رغم بساطتها الظاهرة هي في الواقع بمثابة صندوق يلخص الذاكرة البشرية جمعاء بالتالي فان التوصل لتفكيكها بشكل صحيح يمكن أن يعود علينا بالفائدة القصوى. هذه الرؤية الأصيلة والمبتكرة هي الآن في شكل مقاربة أولية تدعو المتحمسين للمعرفة للتبني المادي والأدبي لتتحول إلى مشروع نشر أو شكلا آخر من أشكال التوظيف والتفعيل. هذه المقاربة ترى أن تاريخ البشرية وحضارتها يكشف وحدة كل التعبيرات الثقافية سواء منها الحضارات الغابرة أو الحالية وكذلك كل اللغات سواء تعلق الأمر باللغات القديمة أو اللغات الحديثة. الملاحظ أن ما هو حالي من ثقافة ولغة هو نتاج لما هو قديم وتواصل طريف له وهو إما مغلف أو مهذب بشكل كبير مما يجعل التفطن لدلالته أمرا ليس بالهين.

بالطبع هذه الملاحظات الأولية تتطلب عددا كبيرا جدا من الشواهد والتعليلات يتجاوز بكثير مساحة هذه الورقة. لذلك ستكون الغاية هنا القيام بإثارة بعض الشواهد الأكثر دلالة حول هذه المسألة الطريفة من البحث المعرفي. في البداية أشير إلى أن موضوع الرموز تناوله بعض الباحثين من جوانب متعددة منها الجانب اللغوي أو الديني أو البيولوجي إلى غير ذلك. الملاحظ أن الكثير من الباحثين خاضوا في مبحث الرموز وحاولوا فك مدلولاتها وتأويل معانيها ولكن منهم من جانب الصواب ومنهم دون ذلك ومازال الملف يحتمل الكثير من الإضافة. ما حفزني كثيرا على الخوض في ملف الرموز ما لاحظته من طغيان المقاربات الغربية في تناول موضوع الرموز مما يسقطنا في فخ القراءة الأحادية لماضينا. الدافع الثاني هو ما أعتبره قصور القراءات المقترحة والتي تكتفي بتعداد الأمثلة المكتشفة دون أن ترقى لتبيان الأصول. الدافع الأخير هو الفصل بين ما أمدتنا به المصادر الدينية من ناحية وما بين ما تمدنا به المصادر التاريخية مما خلق فصلا مصطنعا بين الدين والدراسات العلمية في موضوع الرموز والثقافة المادية للحضارات السابقة. لكل هذه الأسباب التجأت لفتح ملف الرموز وتقديم هذه المقاربة الجديدة.

المنهجية المتبعة والتي توخيتها هنا هي جزء من مقاربة شخصية أشمل وأعم تقدمت كثيرا في بلورتها وقد ارتأيت أن أسمي هذا المبحث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"نظرية الفردوس المفقود" وهو يفسر عددا هاما من الظواهر الثقافية واللغوية وعلاقتها ببعضها وسببية استمرارها حتى يومنا هذا. في تناولنا لدراسة وفهم هذا العدد من الرموز فإن تحليلها بشكل منفرد الواحد عن الآخر يمكن أن يكون مهما ولكن الأهم والأكثر دلالة قراءتها في سياق متسلسل وتعتبر هذه المحاولة التي أبسطها لكم الآن طريفة وأصيلة ولم يسبق لها أحد في الكتابات العلمية حول هذا الموضوع.

تمثل الرموز التي سنأتي إلى بسطها في هذا الصدد حلقة صغيرة ولكنها مفصلية من هذا الملف الواسع. هذه الأشكال التي سأركز عليها هنا شديدة التواتر والحضور في الثقافات الشعبية في كل الأزمنة وفي أماكن مختلفة من العالم وقد تناقلتها الأجيال بأمانة تكاد تكون قدسية وإن وقع تبديل مدلولاتها ودواعي ابتكارها فإنها ظلت ثابتة لكني أرى أن ما قدمه الباحثون في شرحها لا يشفي الغليل.

في الواقع يمكن أن نقسم التاريخ الرمزي للبشر الى حلقات متعددة هدا المقال يتناول الحلقة الأولى التي تبدأ مع خلق ادم الى نزوله الى الأرض. في هذه الحلقة هناك عدد هام من الرموز ذات صلة بالأحداث التي جدت فيها. أهمها الثالوث والزوج المقدس و الشجرة و الأفعى و مسألة اليد أو الساق اليمنى و اليسرى و الحمار و الديك ثم الثمرة و أخيرا العربة المجرورة. لقد ارتأيت التوقف عند هذه الرموز و ليس غيرها لخصوصيتها الشديدة و إيمانا مني بقيمتها الكونية و سأقدم في هذا الصدد مقاربة شخصية و أصيلة و غير مسبوقة في فك مدلولاتها.

إذا في إطار هذه القراءة سأبدأ برمز الثالوث(١). هذا الرمز يترجم بعدة أشكال و صيغ فنجد شكل المثلث و شكل الورقة المثلثة (الصورة رقم ١) و المداخل الثلاث إلى غير ذلك. حسب رأيي فإن أهم إشارة للتثليث تخص كينونات الخلق الثلاث و هي الملائكة و الجن و الإنس و التي يخلدها القرآن الكريم في مواطن متعددة. مثلا نذكر الآية رقم ٢٩ من سورة البقرة "و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء م نحن نسبح بحمدك و نقدس لك" و هنا تبيان لهذه الكينونات و لعلاقتها.

لقد تفطنت لدليل هام له قيمة أنثروبولوجية على هيمنة فكرة الثالوث بشكل كبير على ثقافتنا و علاقتها بالكواكب. لقد تم ربط العلاقة بين فكرة الثالوث و الكواكب الثلاث الكبيرة لمجموعتنا الشمسية و هدا ربط طبيعي جدا. يمثل هذا وعي القدامى بأصولهم. بالنسبة لتفسير هذه العلاقة فهو كالتالي. يرمز كوكب الشمس للجن لأنهم مخلوقون من النار. يرمز كوكب القمر للملائكة لأنهم مخلوقون من نور. في حين يرمز كوكب الأرض للبشر لأنهم مخلوقون من تراب الأرض. لقد حفظ لنا القران الكريم و السنة النبوية المحمدية عدة أمثلة على طبيعة كينونات الخلق و خاصة الكل يعرف أن أدم أبو البشر و بالطبع سلالته من تراب.

نجد في أعلى قباب الجوامع شكلا يسمى في البلاد التونسية "الجامور". تسمية هذا الشكل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مازالت لغزا و تستدعي البحث لاحقا لكن يمكن أن نتوقف عند دلالته. هدا الشكل المنتشر جدا فوق القباب يمثل ثلاث كرات لها أحجام متفاوتة كرة كبيرة و واحدة متوسطة و أخرى صغيرة. في أول مرة تأملت هذا الشكل و معناه دهشت لأني توقعت أنه شكل اسلامي بما أنه فوق المعالم الإسلامية. في الحقيقة هذا الشكل موغل في القدم لأنه بالتأكيد سابق للإسلام. هو شكل موروث عن حضارة قديمة جدا سابقة للإسلام. هو دون شك موروث ديني قديم تبناه الإسلام بما أنه موجود عادة فوق قبة الجامع الدي هومعلم مقدس. الطريف أن هدا الشكل تخليد لكينونات الخلق الثلاث وهم البشر و الجن و الملائكة التي تجمسها هده الكرات المتراصفة. بالطبع هدا شاهد ثمين على أهمية فكرة التثليث.

لكن فكرة التثليث عرفت تغيرا عبر الزمن و لا شك أن مدلولها أيضا قد وقع تبديله بفعل الزمن. حيث نجد لدى البعض دلالة ثانية يمكن أن نقدمها للثالوث وهي المتمثلة في أن الثالوث يمكن أن يرمز لآدم و حواء و إبليس باعتبارهم المشتركين في عصيان الأمر الرباني بخصوص شجرة الجنة. هدا التفسير في نظري ثانوي و لا يعكس المعنى الأصلي لهده الفكرة المركزية لدى الثقافات البشرية.

كدلك بالنسبة لموضوع حضور فكرة الثالوث في الثقافة المسيحية. أنا شخصيا أعتبر ان هذه الفكرة ليست مسيحية أصيلة بما أنه كما بينا سابقا فان فكرة الثالوث حاضرة جدا لدى كل الحضارات البشرية في كل الأزمنة و قد كانت منتشرة لدى الثقافات السابقة للدين المسيحي و لما جاءت المسيحية تبنت هذا الرمز و أعطته طابعا خاصا بها وهو الله و المسيح و الروح القدس و لما تحرفت المسيحية وقع تحريفه و صار منسجما مع هذا التصور.

ادن ينطبق الثالوث و هو أول حلقة في لغز الرموز و أهمها على الملائكة و الجن و البشر. قصة العلاقة بين هده الكينونات المركزية هيمنت على خيال البشرية و قد روت لنا تفاصيلها عدة حضارات في بأشكال مختلفة و ممتعة في اطار ما يسمى "الميثولوجيا". الملاحظ أن الميثولوجيا ليست حكرا على العقائد الوثنية للحضارات اليونانية و الرومانية مثلا بل حتى الديانات السماوية لها ميثولوجيا خاصة بها فالعالم الإسلامي الدي يتميز بالتوحيد يمتلك أيضا ميثولوجيا خاصة به (٢). بخصوص علاقة الملائكة و الجن بالمخلوق الجديد ادم تتفرد كل الكتب السماوية و هي التورات و الانجيل و القران في رواياتها لقصة العلاقة بين أبو البشر الأول ادم بالملائكة و بالجن و قد أثرت هذه العلاقة على تاريخ البشرية و حددت مصيرها.

رغم تعبير الملائكة عن استغرابهم لفكرة خلق الله لمخلوق جديد سيكون خليفة له لكنهم قبلوا الأمر و أذعنوا له. الجن لم يقبلوا هذا الأمر و كان لهم رأي مخالف و رافض لهذا الحدث و لهذا المخلوق الجديد. أول امتحان الاهي بعد خلق ادم تمثل في أمر الله للجميع بالسجود له. قامت الملائكة بالسجود لادم لكن ابليس "أبى" هدا الامر كما تقول كل الكتب السماوية. ليس فقط بل عبر ه عن أفضليته و أحقيته بمنصب الخلافة. أمر الله بليس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالخروج من الجنة بسبب الاستكبار. جرج ابليس من الجنة و ظن الجميع أن القصة ستتوقف هنا و أن ادم سيعيش خالدا في الجنة لكن هناك مستجدات أخرى هامة جدا ستأتي.

بقي ادم في الجنة و لسنا ندري كم من السنين دام بقاؤه من السنين بحساب زمن اهل الأرض أو أهل السماء. الشيء المتأكد أن ذكرى الجنة أثرت لحد كبير في ادم و ذريته من بعده كدلك. الملاحظ أن بني ادم بقوا متعلقين بأشكال البذخ و الفخامة و العز التي في الجنة. هذا ما سميته شخصيا "ذكرى الفردوس". كدلك لا نعلم أدا كانت الجنة في مكان ما على الأرض أو أنها جنة سماوية. هناك باحثون يميلون لاعتبار الجنة قد وجدت على سطح الأرض و يذهب البعض لتحديد مكانها في جزيرة سيلان الحالية (٣). كما يرى البعض أن في أن فكرة جزيرة أو مدينة الأطلنطس التي تحدثت عنها المصادر القديمة و خاصة المؤرخ اليوناني أفلاطون هي ذكرى للجنة التي سكنها ادم في الدنيا. أنا شخصيا من أنصار فكرة الجنة السماوية.

هناك حدث جديد هام في الجنة تمثل في قدوم ساكن اخر لمؤانسة ادم. هذا الضيف هو أنثى اسمها حواء. ليس هناك من شك أن القدامى عرفوا هده القصة و امنوا بها و كدليل على دلك شاهد أثري فريد من نوعه وجدته في المتحف الوطني بجزيرة كريت يقيم الحجة على حضور فكرة خلق حواء لدى الحضارات القديمة. يرجع هدا الشاهد للقرن السابع قبل الميلاد و هو دليل هام على اعتقاد الحضارات القديمة في قصة خلق حواء قبل الديانة المسيحية و قبل الإسلام (الصورة رقم٢).

لبث ابليس خارج الجنة زمنا لكنه كان مستكثرا على ادم و زوجه البقاء في الجنة و كان مصرا على العودة اليها و الوسوسة لهما لاخراجهما منها. لنا شواهد انثروبولوجية طريفة جدا حول قصة كيفية عودة ابليس للجنة تحتفظ لنا بها القصص الشعبية و خاصة التقاليد الشفوية الغير مكتوبة هو ما يؤكد أهمية الكبرى لهذه المادة الثقافية في فهم ماضينا (٤).

فهم ابليس انه للعودة للجنة عليه ان يكون متخفيا لأنها كانت شديدة الحراسة. تحتفظ لنا الذاكرة الشعبية بالحيلة التي لجأ لها ابليس للعودة للجنة. تقول الحكايات الشعبية أن ابليس تخفى في دبر الحمار حتى لا تراه الملائكة و هو يعود للجنة. تكاد كل الثقافات الشعبية تحتقر الحمار أثر دون شك لأنها حملته وزر هذه فعلة تواطئه مع ابليس فالحمار ليومنا هدا و ينعته الناس بقلة الذكاء(٥).

عندما عاد ابليس للجنة سرا تفطن أحد سكان الجنة من الحيوانات لذلك و شهر به وكان هذا الحيوان هو الديك (٦) و حتى يومنا ترى المعتقدات الشعبية أن الديك يصيح كلما رأى الجن علاوة على ذلك تحول الديك إلى حيوان مبارك وقد وقرته عدة حضارات دون شك تكريما له لتشهيره بإبليس فمن ذلك مثلا الشعوب الغالية التي إتخذت من الديك رمزا لها (الصوة رقم ٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لما رجع ابليس للجنة كان هدفه ان يخرج ادو و حواء منها بدفعهما لاقتراف معصية تغضب الله و تجعله يخرجهما من الجنة التي هي دار طاعة عمياء لله و ليست دار معصية. لجأ ابليس للسعي لدفع ادم و حواء على عصيان أكبر أمر الاهي وهو عدم الاقتراب من شجرة الجنة بأي حال من الأحوال و بالطبع بعدم الاكل من ثمرتها. هدا الأمر الدي أكد الله عليه في تنبيه ادم و زوجه له و تحديرهما منه. يمثل إمتحان شجرة الجنة مسألة هامة جدا و مفصلية في تاريخنا الرمزي.

لنا في الرصيد الانثروبولوجي الإنساني شواهد هامة جدا حول وقع هدا الاختبار في ذاكرتنا الجماعية. لا ندري كم من الوقت ظل ابليس مصرا على وسوسته لادم و حواء و مغريا لهما بالاقتراب من شجرة الجنة. لكنه بعد إصرار طويل أفلح في دلك و أذعنا له. لما اردا التوجه نحو الشجرة رفضت الساق اليمنى الاقتراب من الشجرة لكن الساق اليسرى قبلت. لما صارا عند الشجرة و فكرا في قطف الثمرة الممنوعة رفضت اليد اليمنى القيام بدلك لكن اليد اليسرى قبلت. هدا الدي يفسر موفقنا العقيدة الشعبية في استهجان اليسار و استحسان اليمين. و كذلك التمييز بين أصحاب اليمين و أصحاب اليسار. الدليل على عمق هده القناعة لدى البشرية مند قديم الزمن صور الأيدي التي نجدها في جل المواقع الأثرية الراجعة لفترة ما قبل التاريخ(٧).

لقد ظلت شجرة الجنة محل تبجيل من البشر على مر الأزمنة (٨). لقد بقي تقديس شجرة الجنة راسخا في ذهن البشرية لدرجة عالية و يعتبر طقس "عبادة الشجرة" طقسا عالميا و كثير الانتشار زمنيا و جغرافيا. ندكر فقط مثالين على دلك. تحتل الشجرة لدي اليابانيين مكانة مركزية في عقيدتهم و هذا دليل على أثر شجرة الجنة في رأيي و يحتل تقليد العناية بالشجرة المصغرة المسماة "بونزاي" مكانة هامة لديهم. على الأرجح أن هذه الشجرة ليست إلا أنموذج لشجرة الفردوس (الصورة رقم ٣). كذلك لدى المسيحيين تعظيم كبير للشجرة ورثوه عن الحضارات السابقة للمسيحية ففي ذكرى رأس السنة ينصبون شجرة محلات و مثقلة بالثمار و يحتفلون بها و في رأيي ليست الا صورة لشجرة الجنة.

نجد في التراث الأثري القديم و الحديث شواهد كثيرة لحيوانات عملاقة كالأسد و الأفعى و النسر و أحيانا هذه الحيوانات لها اشكال غريبة فنجد كالأسود المجنحة مثلا. قدم الكثير من الباحثين العديد من التفاسير لهده الكائنات. التفسير الأرجح أن هده المخلوقات المتسمة بالقوة كانت حارسة لشجرة الجنة ولثمارها. رغم هذه الحراسة المشددة فقد أفلح ابليس بطريقة أن إبليس بطريقة في الوصول الى ثمرة الجنة.

تعتبر الأفعى أهم حارس لشجرة الجنة و لثمارها. تخلد لنا المنحوتات الراجعة للمسيحية هذه الأهمية عندما تصور لنا شجرة الجنة و الأفعى العملاقة ملتفة على جدعها. و لنا في الهند شاهد خاصة أثنوغرافي حول القيمة الكبيرة للأفعى في المخيال الشعبي وهو يعكس صورة بشكل جلي صورة الحية المرادفة للتنطع و صعوبة السيطرة لدى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البشر و لا أدل على ذلك من ممارسة ترويض الأفاعي التي ظلت متواصلة في ليومنا هدا في آسيا عموما في الهند بالأخص و هي دليل جلي لذكرى نشوزها الأول الذي كان له إنعكاس يعلم الجميع ما أدى إليه.

لما وصل آدم و حواء للشجرة قطفا الثمرة الممنوعة و أكلاها خلافا للأمر الالاهي. كان لهذا الفعل تبعات جمة على مستقبلهما و على مستقبل دريتهما. ظل الإحساس بالدنب من هدا العمل عالقا في ذهن البشرية بشكل كبير و كمثال على ذلك فالبروز في الحنجرة يطلق عليه "تفاحة آدم" و كأن ثمرة شجرة الجنة بقيت عالقة في فم آدم تكشف عن صنيعه. بالطبع بقيت طبيعة ثمرة الجنة مجهولة رغم التفسيرات العديدة المقدمة. في الواقع هدا بحث طريف و هام جدا لكن لم يحسم فيه بشكل نهائي. العديد من الاحتمالات المبنية خاصة على شواهد الكتب المقدسة ممكنة. كذلك امدتنا الشواهد الأثرية بصور كثيرة عن ثمار من المحتمل أنها صدى لثمرة الجنة نجدها خاصة في القبور وهي تمثل أماني الموتى بالعودة للجنة و الأكل من ثمارها.

الصورة الراسخة أكثر في الذاكرة أن هده الثمرة هي التفاحة. هدا الرأي نجده خاصة لدى المسيحيين الدين يقولون عند الالتباس في رأي عبارة "تفاحة الخلاف" كإشارة لتفاحة الجنة. كما من الممكن أن تكون هده الثمرة رمانة أو عنبا أو تمرا حسب إشارات عديدة لا يتسع المجال في هدا السياق للتحقق منها. كدلك هناك احتمال أن تكون هده الثمرة ورقة حيث نجد لدى عدة شعوب تقديسا كبيرا لنبتة مخدرة يطلق عليها اسم "القات" مثلا لدى العرب و "الكوكا" لدى شعوب أمريكا اللاتينية.

لما أكل ادم و حواء من ثمرة الجنة تحول وعيهما بنفسيهما. لقد كان ادم و حواء في الجنة عاريين قبل انتهاك حرمة المنع من الشجرة لدلك كل المنحوتات القديمة تصور البشر عراة كذكرى لهده الحالة من العيش في بيئة طاهرة هي بيئة الجنة. لكن لما أكلا من الثمرة تبدل وعيهما و رأى كل منهما عورة الأخر وبدأ كل منهما يتغطى بورق شجرة الجنة. تصور لنا منحوتة من بلاد الرافدين هذه الحالة و هي تمثل ملكا يلبس رداء من الورق تيمنا بأبيه ادم الدي فعل هذا قبله (الصورة رقم ٥).

بما أن الجنة هي دار الطاعة العمياء فان ادم و حواء لما فعلا لما عصيا الله كان جزاؤهما الخروج من الجنة و الهبوط للأرض. عبر الزمن قد وقع تخليد هذه الحادثة في الشواهد الأثرية المختلفة التي رغم أن التفاسير التي قدمها الباحثون لهذه الشواهد لم تكن صائبة فإنها في الحقيقة ليست الا ذكرى لمغادرة ادم و حواء للجنة. ومن الطبيعي أن يرسخ هذا الحدث في الذاكرة الجماعية لذرية ادم لأنه غير كليا مسار حياتهم.

ترجمت كل ثقافة العربة و الدواب التي هبط بها ادم و حواء من الجنة بشكل متلائم مع بيئتها فهي إما أحصنة أو ثيران أو أيائل (١٠) و كلها تخلد ذكرى الهبوط من الفردوس الأعلى إلى عالم الأرض حيث تبدأ لأبوينا آدم و حواء مغامرة جديدة هي مغامرة الدنيا (الصورة رقم ٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هل هبط آدم و حواء من الجنة معا على عربة واحدة أو هبط كل واحد على حدة ؟ هدا سؤال هما جدا و لنا حديث نبوي يرشدنا حول هدا الموضوع. قال النبي لأصحابه ان اسم "المزدلفة" يعني مكان اللقاء و يرمز لمكان لقاء ادم و حواء. هدا دليل يحسم موضوع هبوط ادم و حواء. على الأرجح كذلك أن الله ساعد كل من ادم و حواء على الالتقاء في الأرض فكان مع ادم كلب يرشده الى أين يتوجه و كان مع حواء حمامة تدلها على الطريق الأمثل. لدلك مازل الكلب رمزا للوفاء و خاصة مازالت الحمامة رمزا للحب.

أول عمل كان ينتظر ادم في الأرض التغلب على سكان الأرض من الجن الدين كانوا هناك و الدين أراد الله أن ينهي هيمنتهم على الأرض لأنهم أفسدوا فيها كما يقول القران. لكن الجن لن يستسلموا بسهولة. لنا قصة من الميثولوجيا القديمة اليونانية و الرومانية تعطينا فكرة عن مغامرة ادم للسيطرة على الأرض. تتحدث القصة عن بطل اسمه هرقل قام باثنا عشر عمل خارق. الملفت للانتباه أن العدد اثنا عشر يتناسب مع عدد أشهر السنة. هده إشارة الى أن أدم الدي سمي هرقل في القصة دون أن نعرف سر هذا الاسم أمضى عاما كاملا في محاربة الجن و كان كل شهر يقهر قائدا من قادة الجن و انتهى بالتغلب على زعيمهم بعد دلك صار ملكا للأرض.

لقد ظلت تجربة الجنة و الهبوط منها مسيطرة على شخصية البشر تسكن ذواتهم في كل التفاصيل التي تهم حياتهم في الأرض كما ظل هاجس العودة للجنة مسيطرا على البشر حتى قبل الفترة الإسلامية و المسيحية (الصورة رقم ٧). كما نجد صدى لهده التجربة حتى في تعابير ثقافية بسيطة من حياة الناس مثل الوشم الدي يرسمه الرجال و خاصة النساء على أجسامهم و التي تجسم عددا هماما من الرموز التي بسطناها في هدا المقال (١١). لقد توصلت لفك رموز كثيرة تبين كونية هذه الملحمة و قد بلورتها في إطار بحث سميته "نظرية الفردوس المفقود" و ما هذه القصة إلا الجزء الأول منه أما الجزء الثاني فيبدأ بسعي كل من آدم و حواء لملاقاة بعضهما في الأرض. لعمري أن هذه المغامرة البشرية مدعاة للتفكر والاعتبار حول وحدة الأصل واشتراك المصير و هو مبحث يحثنا على التقارب و التحاور و تعميق التعارف و توطيده.

لا يسعني في هذا السياق إلا أن أدعو و لعلني ألح في ذلك لمزيد تكثيف و تعميق البحث في حقل الذاكرة لمزيد تفجير هدا المخزون الثري و تعزيز إمكانيات تثمينه و يمكن السعي في إطار مشروع لتوحيد المادة المصدرية لكل الثقافات حول الرموز و محاولة تجاوز مسألة تصور امتلاك كل حضارة لأسفارها دون سعي للربط بما يمتلكه الآخرون و نبذ فكرة توقع كل قوم امتلاك الحقيقة في هذا الحقل المعرفي بل إرساء مقاربة أكثر ما تكون شمولية و متأنية هاجسها الأسمى الفهم الصحيح و الكشف النزيه عن المعرفة.

الهوامش :

* عادل نجيم قسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس. الجمهورية التونسية.

البريد الالكتروني (njim_adel@yahoo.com)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١. حول رمز الثالوث أنظر مثلا جان شوفاليي و ألان غييربرنت. قاموس الرموز(باللغة الفرنسية). باريس ١٩٩٧. الصفحات ٧٦٨-٧٧٢. أنظر كذلك مالك شبل. معجم الرموز الإسلامية (الترجمة العربية). بيروت صفحة٦٧.

٢. بخصوص المقاربة الإسلامية لهذه الغمامرة أنظر أدقار فيبار القاموس الصغير للميثولوجيا العربية و العقائد الإسلامية. باريس ١٩٩٦. صفحة ٦.

٣. ستيفان اوبنهايمر. جنة عدن في الشرق. لندن ٢٠٠١ (الطبعة الثانية).

٤. المصطفي الشاذلي. القصة الشعبية في محيط البحر المتوسط. تونس ١٩٩٧. صفحة ١١ و ما يليها.

٥. حول موضوع الحمار في عدة ثقافات أنظر جان شوفاليي و ألان غييربرنت (المرجع السابق). الصفحات ٣١-٣٣. أنظر أيضا مالك شبل (المرجع السابق). الصفحات ١٠١-١٠٢.

٦. حول موضوع الديك أنظر جان شوفاليي و ألان غييربرنت (المرجع السابق). الصفحات ٢٢٠-٢٢٢. و مالك شبل (المرجع السابق). الصفحات ١٢٩-١٣٠.

٧. بخصوص رمزية اليد أنظر جان شوفاليي و ألان غييربرنت (المرجع السابق). الصفحات ٢٩١-٢٩٣. حول منظور العرب لليمين و اليسار راجع مللك شبل (نفس المرجع). الصفحات ٣٤٩-٣٥٠.

٨. فيما يتعلق بالشجرة و رمزيتها أنظر جان شوفاليي و ألان غييربرنت (المرجع السابق). الصفحات ٤٨-٥٣. أنظر أيضا حول مدلول الشجرة لدى العرب مالك شبل (المرجع السابق). الصفحات ١٤٥ و ١٦٩-١٤٥. ١٧٠

٩. بخصوص الحنش و دلالته أنظر جان شوفاليي و ألان غييربرنت (المرجع السابق). الصفحات ٦٨٧-٦٩٦. أنظر حول منظور العرب للحية. مالك شبل (المرجع السابق). الصفحات ١٦٠-١٠٧ و ١٦٩-١٧٠.

١٠. حول مغزى العربة المجرورة أنظر جان شوفاليي و ألان غييربرنت (المرجع السابق). الصفحات ١٦٣-١٦٥.

١١. أ. ج. غوبار. العطور و الوشم. تونس ٢٠٠٣. صفحة ٩١ و ما بعدها.

محتوى الصور :

الصورة رقم ١. قطعة من لعبة ورقية يمثل ورقة مثلثة.

الصورة رقم ٢. قطعة فخارية نذرية بمتحف كريت ترجع للقرن السابع قبل الميلاد تمثل ادم و هو متفاجئ بخلق حواء.

الصورة رقم ٣. مشهد جنائزي يمثل ديكا من مقبرة أترورية بإيطاليا.

الصورة رقم ٤. الشجرة المصغرة لدى اليابانيين.

الصورة رقم ٥. تمثال يرجع لسنة ٢٣٤٠ قبل الميلاد لملك رافدي يلبس لباسا من ورق الشجر كذكرى لورق الجنة و هو معروض بمتحف اللوفر بباريس.

الصورة رقم ٦. لوحة فخارية من الموقع البوني بكركوان تمثل العربة المجرورة التي هبط بها آدم من الجنة.

الصورة رقم ٧. رسم مقبري من موقع كركوان يمثل عودة الروح ح لمنزلها في الجن.

قائمة الصور :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

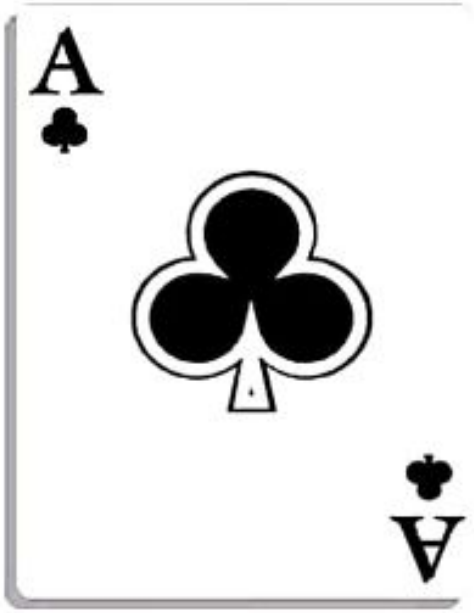

الصورة رقم ١

الصورة رقم ٣

الصورة رقم ٢

الصورة رقم ٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة رقم ٥

الصورة رقم ٧

الصورة رقم ٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محمد النافع: زمن المنفى

(١٨ جانفي ١٩٥٢- ٦ فيفري ١٩٥٣)

خميس عرفاوي
جامعة تونس

ملخص

تتعلّق هذه الدراسة بفترة من حياة محمد النافع السكرتير الأول للحزب الشيوعي التونسي (من ١٩٤٨ إلى ١٩٨١) وقد امتدّ هذا العقاب من يوم ١٨ جانفي ١٩٥٢ عندما أعتقل ضمن حملة شملت عديد القيادات السياسيّة إلى يوم ٦ فيفري ١٩٥٣ لمّا توفرت له فرصة مغادرة تطاوين والاختفاء. تهتم هذه الدراسة بموضوع القمع وتحديدا المعاقبة لأسباب سياسيّة. واستندت الدراسة على مؤلف جديد أصدره هذا المناضل جمع فيه الرسائل التي بعثها إلى زوجته "أوجيني فواطة" (Eugénie Foata) من مراكز الإبعاد التي تنقل بينها ووسمه ب"أخبار صحراوية" ومن خلالها أمكن التعرف على ظروف الإبعاد وإلى دور العائلة والجمعيات التضامنية في الإحاطة بالمبعد وإلى نضالات المبعدين من أجل تحسين ظروفهم والمساهمة في النضال الوطني.

المقدمة

تتعلّق هذه الدراسة بفترة من حياة محمد النافع السكرتير الأول للحزب الشيوعي التونسي (من ١٩٤٨ إلى ١٩٨١) ولكن ليست أي فترة فهي الفترة التي سلط فيها عليه العقاب بالإبعاد من أجل نشاطه السياسي. امتدّ هذا العقاب من يوم ١٨ جانفي ١٩٥٢ عندما أعتقل ضمن حملة شملت عديد القيادات السياسيّة إلى يوم ٦ فيفري ١٩٥٣ لمّا توفرت له فرصة مغادرة تطاوين والاختفاء.

تهتم هذه الدراسة بموضوع القمع وتحديدا المعاقبة لأسباب سياسيّة. وفي الواقع ليست هذه الدراسة الأولى التي تهتم بهذا الموضوع. فقد نوقشت عديد الأطروحات الجامعيّة حوله ووقع نشرها نستحضر منها كتاب الأستاذ عبد اللطيف الحناشي حول الإبعاد[1] وكتاب مؤلف هذه السطور حول

[1]- الحنّاشي، عبد اللطيف، المراقبة والمعاقبة في ظلّ الحمايّة الفرنسيّة بتونس : الإبعاد السياسي أنموذجا 1881-1955، أطروحة دكتوراه، تونس، 1999. نشرها تحت عنوان: المراقبة والمعاقبة في ظلّ الحمايّة الفرنسيّة بتونس : الإبعاد السياسي أنموذجا 1881-1955 (في جدليّة الاضطهاد والمقاومة)، تونس، ٢٠٠٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحاكمات السياسيّة[١]. وليست هذه البحوث إلا غيض من فيض بالنظر إلى ما نشر وقدّم وسيقدّم من دراسات. فلماذا العودة إلى الموضوع؟

إنّنا نقوم من خلال هذه المحاولة بالتفاتة لشخصيّة متميّزة ساهمت في صنع تاريخ تونس المعاصر ولكن غمرها النسيان مثل الكثير من أمثاله إلى درجة أنّ محمد النافع لم يحظ، على حدّ علمنا، سوى بدراسة يتيمة[٢]. ولقد أصبحت هذه الدراسة ممكنة بعد نشر رسائله التّي سنأتي على ذكرها والتّي تمكننا من إلقاء نظرة مجهريّة على ظروف المبعدين في المحتشدات والمنافي في بداية الخمسينات من القرن العشرين.

ومثلما ذكرنا سنعتمد على مؤلف جديد أصدره هذا المناضل لم يستغل بعد، جمع فيه الرسائل التي بعثها إلى زوجته "أوجيني فواطة" (Eugénie Foata) من مراكز الإبعاد التّي تنقّل بينها ووسمه ب"أخبار صحراوية"[٣].

بالطبع لا يمكن أن ننتظر من هذه المراسلات أن تروي ظمأنا بمعلومات غزيرة باعتبار طابعها والعلاقة التي تربط بين النافع والمرسل إليها وخاصة خضوع المراسلات للمراقبة.

سنسعى في هذه الدراسة إلى الاهتمام بإشكاليّة المعاقبة والصمود في نطاق السيطرة الاستعماريّة المباشرة انطلاقا من حالة محمد النافع؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليّة سنتعرض في جزء أوّل لظروف إبعاد محمد النافع والأوضاع التي عاشها وفي جزء ثان للصمود والمقاومة.

I. إبعاد محمد النافع والأوضاع التّي عاشها

ليس الإبعاد عقوبة جزائيّة وإنّما هو عقوبة إداريّة من اختصاص السلط العليا

---

[١]- عرفاوي، خميّس، السياسة العقابيّة المسلطة على الوطنين التونسيين في عهد الاستعمار الفرنسي(١٨٨١-= =١٩٥٦)، أطروحة دكتوراه، تونس، ٢٠٠١. نشرت تحت عنوان: القضاء والسياسة في تونس زمن الاستعمار الفرنسي (١٨٨١-١٩٥٦)، تونس، صامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

[٢]- Zaâtour, Mounir, *Mohamed Ennafâa : itinéraire d'un militants communiste (1917-1963)*, mémoire de master, FLSH de Sfax, 2008.

[٣]- Ennafaa (M), *Chronique saharienne*, Introduction et notes de Habib Kazdaghli, Editions Attariq al jadid-MC-Editions, Tunis, 2011. =

= ونظرا إلى كثرة الإحالة عليه سنقتصر في الفقرات الموالية على ذكر الصفحة في المتن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تتمثل في الحد من الحريّة الفرديّة للمعارضين بإبعادهم ووضعهم تحت المراقبة الإدارية أو في حالة اعتقال إداري. وتجدر الإشارة إلى أنّ سلط الحماية لجأت إلى طريقة الاعتقال في المحتشدات منذ بداية الحرب العالمية الثانية وحجزت فيها غير المرغوب فيهم من التونسيين وكذلك الفرنسيين من الشيوعيين والوطنيين، دون أن توجّه إليهم تهم محدّدة ودون تحقيق أو محاكمة. وستعود إليها مجدّدا في بداية الخمسينات.

١)إبعاد محمد النافع

نشأت أزمة سياسيّة حادّة في تونس خلال شهر جانفي ١٩٥٢[١]. ففي يوم ١٨ من هذا الشهر اعتقلت السلطة الاستعماريّة ٢٢ قياديا في الحزب الدستوري الجديد والحزب الشيوعي من بينهم محمد النافع وقامت بإبعادهم إلى مناطق أخرى غير مناطق سكناهم. وقد انتهجت في اختيار مراكز الإبعاد نهجا تمييزيا بين قيادات الحزبين. فهي لئن أبعدت الحبيب بورقيبة صحبة المنجي سليم والهادي شاكر إلى طبرقة حيث وفرت لهما الإقامة في نزل فرنسا وتركت لهما حريّة التنقل والاتصال فإنّها أرسلت قيادة الحزب الشيوعي التونسي (محمد النافع وموريس نزار ومحمد جراد وخميس الكعبي وجاك بلعيش) إلى محتشد رمادة في التراب العسكري بالجنوب التونسي. لماذا هذا التمييز؟ فسّره المؤرخ والصحفي شارل أندري جوليان استنادا إلى يوميات الرئيس فانسون أوريول (Vincent Auriol) بأنّ المقيم العام دي هوتكلوك كان ينتظر أن يهرب بورقيبة إلى الجزائر فتصعب عليه العودة إلى تونس ويفقد مصداقيته[٢]. وتبعت هذه الإيقافات الأولى حملة واسعة النطاق شملت مئات النشطاء السياسيين نذكر من بينهم رفاق النافع: محمد حرمل الذي اعتقل في باجة يوم ٦ فيفري ١٩٥٢ وأبعد إلى حوش صفايّة بمكثر ورحيم مبارك الذي أبعد في جانفي ١٩٥٢ إلى بنقردان (ص ٧١) وجورج عدة الذي أبعد إلى رمادة في ٢٦ مارس ١٩٥٢ (ص ٨١). وبذلك بلغ عدد الشيوعيين المبعدين إلى رمادة ستة أنفار (ص ١١٨). وأبعدت إلى محتشد رمادة نساء مناضلات في الحزب الدستوري الجديد وهن آسيا غلاب التي عاشت رحلة عذاب من

١ - Charles –André (J), *Et la Tunisie devint indépendante (1951- 1957)*, Les Editions Jeune Afrique /S.T.D, 1985.

٢ - Charles –André (J), *Et la Tunisie*, Op. cit. p. 48.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سجن إلى آخر بينما كان زوجها محكوما ب٤ سنوات سجنا وبقي طفلاهما دون رعايّة الوالدين (ص ٩٢) وشاذليّة بوزقرو وخديجة الطبال.

وحسب النافع كان الإبعاد مقرّرا لمدة شهر واحد (ص ٣٠). ولكنّه طال أشهرا عديدة بقرارات متتاليّة من الجنرال غارباي القائد الأعلى للجيوش بالبلاد التونسيّة الذي يشرف على التراب العسكري بالجنوب. وقد انتقل المبعدون خلال هذه المدّة بين مراكز إبعاد ومحتشدات عديدة. أبعد محمد النافع في البدايّة إلى عين رمادة على بعد بضعة كيلومترات من قريّة رمادة. دامت هذه المرحلة من ١٨ جانفي ١٩٥٢ إلى ٨ جوان من نفس السنة فرض فيها على المبعدين الذين بلغ عددهم ٢٧ مبعدا يوم ١١ ماي (ص ١١٨) وضع الاعتقال واحتفظ بهم في الثكنة العسكريّة (ص ٢٥).

وفي ١١ جوان نقل محمد النافع وبقيّة المبعدين في رمادة إلى محتشد جلال الذي يبعد ٤ كلم عن بن قردان. قال عنه النافع إنّه معسكر قديم لم يستعمل منذ الحرب العالميّة الثانيّة وما يزال يحمل آثار المعارك والخراب ويتكوّن من مبان متفرقة وسط ميدان مغبر تتكدّس فيه الفضلات ويحيط به جدار من الاسمنت تعلوه أسلاك حديديّة (ص ١٣٨). المكان مليء بالأوساخ والفضلات المتنوّعة وتغطيه سحب من الذباب (ص ١٣٩). وقد سبقهم إليه ٤٠٠ مبعدا اقتسموا جميعا وضع المعتقلين تحت حراسة الجنود، من بينهم بعض رفاق محمد النافع: محمد الهامل وهو مناضل نقابي وشيوعي من قفصة والهادي جراد (ص ١٣٨). وتعتبر هذه النقلة إلى جلال عنوان تصلب السلط الاستعماريّة التي لم تتمكن من تهدئة الأوضاع في البلاد فعمدت إلى التصعيد في القمع.

الشيوعيون المبعدون في رمادة من اليمين إلى اليسار: جورج عدة، خميس الكعبي، موريس نزار، محمد النافع، جاك بلعيش ومحمد جراد

ولكن في الأثناء نقص عدد المعتقلين إذ نقل ٣٠٠ إلى زعرور وتبرسق ولم يبق بمحتشد جلال يوم ١٤ جوان سوى ٥٠ مبعدا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ص ١٣٩) ثم ارتفع العدد إلى ٨٢ مبعدا يقيمون في ثماني غرف (ص ١٤٢). وجاء دور بقيّة المعتقلين للانتقال إلى محتشد زعرور في ٢٥ جويليّة ثم إلى ميدون بجربة في ٢٣ سبتمبر ١٩٥٢ حيث تغيّرت وضعيتهم من معتقلين إلى مبعدين يتمتعون بحريّة التنقل في إطار إقامة مُراقبة.

ولكن هذا التلطيف في العقوبة المسلّطة على المبعدين لم يدم طويلا إذ وقع نقلهم إلى برج لوبوف (برج القصيرة) ليلة ٢٣ نوفمبر ١٩٥٢ حيث أعيد وضعهم في حالة اعتقال وحشروا في غرف ضيقة محاطة بالأسلاك الشائكة كل ستة في غرفة. وكان عددهم لا يتجاوز الواحد والخمسين (ص ٢٠٨).

ماذا قال محمد النافع عن برج لوبوف: "فيما يخص برج لوبوف...عندما نتحدث عن قساوة المناخ الصحراوي فليس ذلك من باب الثرثرة اللفظيّة. فهي أشد هنا أكثر منها في رمادة. فبرج لوبوف أكثر ارتفاعا وملقى وسط ربى كان يمكن أن تكون نزهة لو تسرّب إليها غَيْض من الحياة. ولكن مثلما قيل في قصص ألف ليلة وليلة "لا طير يطير ولا بشر يسير !"" (ص ٢١٦ الترجمة من عندنا).

كانت مختلف الأطراف تدرك أنّ المعركة الجاريّة بعد ١٨ جانفي ١٩٥٢ هي المعركة الأخيرة. فكانت السلط الاستعماريّة توغل في التشدّد مع المعارضين بهدف ترويضهم وعزلهم عن قواعدهم. وبطبيعة الحال يندرج نقل المبعدين/ المعتقلين من جربة إلى برج لوبوف في هذا الإطار. وقد برّرت السلط هذا التشديد في العقوبة بكون المبعدين/ المعتقلين واصلوا ممارسة السياسة في جربة (ص٢١٦). فقرّرت حرمانهم من أي اتّصال بالعالم الخارجي.

غير أنّ رحلة العذاب لم تنته بالنسبة للمعاقبين إذ أنّها كانت تخضع لمشيئة السلط الاستعماريّة سواء بالتخفيف أو بالتشديد. ففي يوم ١١ جانفي ١٩٥٢ وقع نقلهم الى تطاوين. وكان عددهم حينئذ ٤٦ وقع تفريقهم حسب الانتماء السياسي. فالشيوعيون الستّة (باعتبار مناضل مغربي مطرود) كانوا يشغلون غرفة على حدة ولا يجمعهم مع بقيّة المعتقلين سوى ساحة محاطة بالأسلاك وتوجد بها المراحيض وحوض الغسيل (ص ٢٤١). ورغم أنّ الظروف صعبة من ناحيّة المناخ القارس والإقامة غير المريحة وقلّة التغذيّة واستمرار الحرمان من الحريّة فإنّها كانت أفضل بقليل من برج لوبوف وكان البريد يصل بسرعة أكبر (ص ٢٤٧).

لقد كانت تطاوين آخر محطة في رحلة العقاب بالنسبة لمحمد النافع الذي توفّرت له

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرصة مغادرة محتشد تطاوين في نهايّة الأسبوع الاول من فيفري ١٩٥٣ ولم يرجع. فقد توفيت شقيقته زهرة ومنح رخصة بثلاثة أيام لحضور موكب الدفن. وعندما وصل إلى تونس اختبأ وانخرط في النضال السرّي إلى حدود زيارة منداس فرانس لتونس في أواخر جويليّة ١٩٥٤ وإعلانه حقّ تونس في الاستقلال الذاتي.

٢) الأوضاع التي عاشها المعتقل محمد النافع

الإبعاد يتحوّل إلى اعتقال

يجدر القول إنّ العقاب الذي تعرّض له محمد النافع وبقيّة العناصر المبعدة غير عادي ولا يخضع لقانون وتحديدا للمجلّة الجزائيّة التونسيّة الصادرة سنة ١٩١٣ وإنّما هو إجراء إداري أو عسكري حسب الوضع في البلاد[1]. ورغم أنّه في الظاهر إبعاد بمعنى تحجير الإقامة في أماكن معينة والإقامة المراقبة في مكان معيّن فإنّ الفترة الوحيدة التي طبقت فيها منظومة الإبعاد على محمد النافع هي الفترة التي قضّاها في جربة من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٢. أمّا بقيّة الفترات فقد جمع فيها بين صفة المبعد والمنفي والمعتقل حسب ما جاء على لسانه (ص ١٠٠). وبديهي أنّ وضعيّة الاعتقال الإداري تمنعه من حريّة التنقل وتجعله يخضع لمشيئة السلط العسكريّة في الزيارة والمطالعة والعلاج والمراسلة الخ. فحسب الوضع السياسي في البلاد وردود فعل السلط الاستعماريّة كان هامش الحقوق يضيق أو يتّسع. فعلاوة على التمديد في قرار الإبعاد الذي يتّخذه القائد الأعلى للجيوش كل شهر لم تكن النزهة حقّا مكتسبا إذ يتم إلغاؤها أحيانا لفترة معيّنة (ص ٩٩). كما كان استعمال الهاتف غير مضمون في جميع الأوقات (ص ١٠٧). وكان يمكن للرسائل والطرود أن لا تصل لمدّة تصل إلى ١٥ يوما (ص ٢١٦).

لقد أكّد محمد النافع عديد المرّات أنّ السلطة كانت تتعامل مع المبعدين كنوع من الرهائن تمارس ضدهم إجراءات التشفي كلما صعّد الشعب في نضاله وأكّد إرادته في تلبيّة مطالبه الوطنيّة (ص ٢٠٦). ولم تكن تسمح لهم بالاحتجاج على الظروف المفروضة

[1]- مرت البلاد التونسيّة في عهد الاستعمار الفرنسي المباشر بفترات انفراج حكمت خلالها السلط الاستعمارية بواسطة الوسائل العادية، وفترات توتّر وأزمة لجأت فيها إلى نظام حالة الحصار وهو نظام استثنائي تنتقل فيه السلطتان الأمنيّة والقضائيّة إلى الهياكل العسكريّة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليهم إذ أنّها زجّت بموريس نيزار في السجن دون سرير ودون أكل لأنّه لم يلتزم الصمت (ص ٢٠٨).

أماكن العقوبة

اختلفت أماكن العقوبة التي انتقل بينها محمد النافع واختلف نظام العقوبة. المكان الأفضل كان بدون منازع جربة وتحديدا ميدون حيث تمتع المبعدون بحريتهم ولكن السلط لم تعتن بهم وتركتهم وشأنهم فيما يتعلق بالمأكل والمسكن. وكانت تعوّل، حسب ما جاء في إحدى رسائل محمد النافع على كرم الأهالي (ص ١٨٧). وهذا ما تمّ فعلا إذ صدق كرم أهالي جربة من خلال توفير المسكن والأكل للمبعدين (ص ١٨٧).

أما بقيّة الأماكن فأغلبها موجود في المنطقة الصحراويّة مثلما ذكرنا سابقا. ولعل أكثر المشاكل بها متأتيّة من الظروف الخاصة بالمحتشد ومن نظام الاعتقال.

ففي زعرور رغم أنّ المناخ ألطف بكثير من أماكن الاعتقال في الصحراء كانت ظروف المحتشد أسوأ من بعض النواحي على الصحة حسب ما كتبه محمد النافع. فالغرف مكتظة بالمعتقلين بحيث يتكدّس خمسون نفرا في الغرفة الواحدة وينامون على الأرض فوق غطاءين ممزقين ويأكلون جلوسا على الأرض (ص ١٧٢).

أمّا في محتشد جلال فقد وضع المعتقلون المنقولون من رمادة في غرفتين بلا أبواب وبلا نوافذ وبلا أسرة. وكانت الغرف واسعة تمتد على حوالي ٩٠ م^2 ولكنها مليئة بالأوساخ (ص ١٣٨ و١٣٩). وبعد الإلحاح في الطلب مكّنهما النقيب من أسرة وما يلزمها. وكان التنظيف منوط بعهدة المعتقلين الذين تمكنوا بعد نقاش طويل مع نقيب المحتشد من الحصول على إذن باستعمال معدات الجيش لتنظيف الغرف بالماء وتتمثل في شاحنة صهريج لإخراج الأوساخ وجمعها ونقلها وحرقها (ص ١٣٩). كما نجح المعتقلون الشيوعيون في تجهيز غرفتهم بأبواب ونوافذ. وعلاوة على كل تلك الظروف كان ماء الشراب قليل العذوبة وكان المكان كثير الذباب والعقارب (ص ١٤٠). ولكن الخطر كان ضعيفا بسبب وجود طبيب اسمه "ماجد" وتوفر مَصل مضاد للسم (ص ١٤٢).

وبطبيعة الحال كان كلّ شيء في برج لوبوف أسوأ من أيّ مكان آخر. فعلاوة على الظروف الصحراويّة القاسيّة فرض على المعتقلين نظام صارم. فقد أعلمهم قائد المحتشد بالتعليمات التي أعطيت له والمتمثلة فيما يلي: ١- حبس المعتقلين يكون وراء الأسلاك الشائكة وأعطي الأمر للحراس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بإطلاق النار –دون تنبيه- على كل من يحاول تخطي الأسلاك. ٢- بالنسبة للتغذيّة يُمكّن المعتقلون من مؤونة لمدّة عشرة أيّام تشتمل على الدقيق لصنع الخبز والكسكسي والمقرونة والسكر والشاي والقهوة والملح والزيت ولكن لا تتضمن اللحم والخضر. يتولى المعتقلون الطبخ في الهواء الطلق باستعمال الخشب. ٣- أجبر المعتقلون على القيام بأعمال التنظيف وإفراغ حاويات الفضلات وتنظيف الأماكن التي يلقى فيها الغائط. ٤- إعلام المعتقلين أن بريدهم مراقب (لأوّل مرة). ولا يسمح لهم بالنسبة إلى الجرائد إلا تلك المسموح بها في الثكنات أي جريدة يوميّة صادرة في تونس ناطقة بالفرنسيّة ولوموند ولوفيغارو (ص ٢٠٩). ووقع فصل المعتقلين على أساس الانتماء السياسي بعزل الشيوعيين في غرفة تبلغ مساحتها ٤ م على ٣م وتحمل ٥ أسرة متلاصقة وتفصلها الأسلاك عن الغرف التّي يقيم بها الدستوريون (ص ٢٠٨).

التغذية

فيما عدا جربة تكفّلت السلط بالإنفاق على المعتقلين الذين كانوا يطبخون بأنفسهم. وقد رأينا فقر التغذيّة التي كانوا يتناولونها في برج لوبوف. ولكن كانت تدخل تحسينات على النظام الغذائي ففي محتشد جلال وفر المشرفون الماء العذب وحسّنوا في مواد التغذيّة من الناحيّة النوعيّة بتزويد المعتقلين باللحم (١٥٠ غ في اليوم (ص ١٦٥)) والخبز الغض من بن قردان عوض خبز الجيش اليابس. ولكن هذا التحسين في الخبز كان على حساب الكميّة إذ نقصت الحصة التّي يتحصل عليها المعتقلون. على هذا النحو كانت التغذيّة تكلف ١٤٠ فرنك في اليوم وللفرد الواحد (ص ١٥٥). وهو مبلغ لا يفي بالحاجة إلى تغذيّة كافيّة. ولهذا قبل المعتقلون بالطبخ بأنفسهم والاعتماد على العائلة والأصدقاء لتوفير تكملة في شكل حلويات وثمار (ص ٥٣).

في مثل هذه الظروف حلّ رمضان على المبعدين فلم يبد محمد النافع في رسائله إلى زوجته ما يدل على أدنى تضايق. بل إنّه أكد لها أن الصيام في ظروف رمادة محتمل لأن الحرارة مقبولة (ص ١٢٨).

ولعل السلطة أرادت أن تتخلص من توفير المواد الغذائيّة للمعتقلين فقررت تمتيعهم بمنحة مقدارها ١٥٠ فرنك للشخص وفي اليوم ابتداء من ١ أكتوبر ١٩٥٢. ولكن عندما حان وقت تسلّمها ونودي عليهم فردا فردا امتنعوا عن أخذها لأنّهم اعتبروا المبلغ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زهيدا ولا يستجيب لظروف حياة كريمة (ص ١٩٣).

الزيارة

يسمح بزيارة المبعد دون تحديد باعتباره حرّا في استقبال من يريد. وهو ما تمتع به محمد النافع في جربة وزارته عائلته الصغيرة وأقامت معه عدّة أيّام. لكن بالنسبة للمعتقل تبقى الزيارة رهينة تغيّر مزاج السلطة إذ تعمد أحيانا إلى منعها. فعلى سبيل المثال حرم المعتقلون من الزيارة لبعض الوقت خلال شهر مارس ١٩٥٢ (ص ٧٠). ولكن في المحتشدات البعيدة مثل برج لوبوف وجلال فإنّ زيارة العائلة أمر يكاد يكون مستحيلا. فالمسافات طويلة والظروف قاسيّة والزيارة غير مأمونة أو مدتها قصيرة. ففي رمادة لا تدوم الزيارة أكثر من نصف ساعة ولا يمكن للمبعد أن ينفرد لحظة واحدة بزواره، فهو مراقب من قبل ضابط محفوف بقوميّ وتتم المحادثة أمامه وبالفرنسيّة فقط (ص ١١٣). كما أنها محدّدة بنصف ساعة أو ساعة على الأكثر في تطاوين حيث لا يقبل الزائر إلاّ إذا كان مسجّلا بصفة مسبقة في بطاقة الترخيص بالزيارة (ص ٢٥٣). وهذا ما يعقد الزيارة ويجعل الحقّ فيها حقا نظريّا أكثر منه واقعا حسب أقوال محمد النافع (ص ٢٥٣).

وفضلا عن ذلك لم يكن ممكنا لزوجة محمد النافع القيام بمثل هذه المغامرة وهي الراعيّة الوحيدة لأطفالها. ولا شك أنّ السلط الاستعماريّة كانت تستغل هذه العوامل وغيرها للضغط على المعتقل من أجل جرّه إلى الاستسلام. ولكن توفرت لها ولأطفالها بعض الفرص لزيارة زوجها. وحسب ما كتبه محمد النافع أثمرت نضالات الشعب التونسي ضد القمع بعض التحسينات في ظروف المبعدين منها اعتراف السلطة بحقهم في الزيارة. وهكذا تحصّلت زوجته عن طريقه على وثيقة تسمح لها ولمرافقين كهلين اثنين بالدخول إلى محتشد زعرور دون اعتبار القُصر المسموح لهم بالدخول دون ترخيص (ص ١٧٩). وقد التقى بأفراد عائلته أثناء زيارتها لزعرور خلال الأسبوع الأول من شهر أوت ١٩٥٢ (ص ١٨٠) وكذلك أثناء تنقلهم لميدون في بدايّة شهر أكتوبر ١٩٥٢ وبقوا بجواره حوالي ١٥ يوما (ص ١٩٠).

وبطبيعة الحال كان يسمح بالزيارة لبعض الصحفيين أو لشخصيات من المجتمع المدني. وسنعود إلى هذه المسألة لاحقا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المراسلة

تمثل المراسلة عن طريق البريد والتلغراف والهاتف أهم وسيلة اتصال بالخارج إلى جانب الجرائد والزيارات والراديو. كانت الرسائل تمرّ عن طريق القنوات الرسميّة فكانت منظمة على أساس يومين لإرسالها (الأربعاء والأحد) ويومين لتسلّمها (الثلاثاء والسبت). وكانت مراقبة رغم تعمّد السلط العسكريّة إنكار وجود مراقبة على المراسلات (ص ١٥٧). ولهذا السبب كانت الرسائل تستغرق وقتا طويلا للوصول في الاتجاهين (ص ٦٥). فعلى سبيل المثال وصلت رسالة من زوجته بعد ١٤ يوم من إرسالها (ص ١١٩). ولكن في بعض الفترات المضطربة تنقطع الاتصالات بين الزوجين سواء كانت في شكل رسائل أو برقيّات وبلغ الانقطاع ٢٥ يوما خلال شهر ديسمبر ١٩٥٢ الذي اغتيل فيه القائد النقابي فرحات حشاد (ص ٢٢٥). وحتّى يسهل التفطن إلى الرسائل الضائعة اتفق محمد النافع مع زوجته على أن تكون الرسائل المتبادلة بينهما مرقمة وتحمل تاريخ الإرسال.

كما كانت الرسائل ترسل إلى محمد النافع من طرف أخيه ومن قبل منظمات الحزب الشيوعي ومناضليه وكذلك من الأصدقاء (ص ٣٤).

وكان محمد النافع يستغل زيارة بعض أقارب رفاقه المعتقلين لمراسلة زوجته مثل فيرا زوجة جاك بلعيش. كما كان يبعث لها برسائله مع المفرج عنهم من المعتقلين مثل محمود الزرزري الذي أفرج عليه يوم ١٧ جويليّة ١٩٥٢. وبطبيعة الحال كانت الرسائل تصل حينئذ بسرعة.

ولكن المراسلة والاتصال بالوسائل الأخرى لم يكونا دائما مضمونين. فعلاوة على التأخير في وصول الرسائل كانت البرقيّات لا تجد طريقها إلى المرسل إليه مثلما حدث في بدايّة شهر أفريل ١٩٥٢ بسبب المراقبة (ص ٩١). وفي بعض الأحيان فإنّ رسائل الأصدقاء والمنظمات لا تصل (ص ١٥٤).

المطالعة والاستماع إلى الراديو

كان محمد النافع مثل غيره من المبعدين يطالع الجرائد التي كانت ترسلها زوجته. في بعض الأوقات تصل إليه كافة الجرائد المرسلة بما فيها الجرائد الشيوعيّة "لافنير دو لاتونيزي" والطليعة (ص ٣٧) ولومانيتي (ص ٣٩). لكن في أوقات أخرى تضيّق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السلط على مطالعة الجرائد فتحجز الجرائد المعارضة للاستعمار ولا تترك المجال إلاّ للجرائد الرسميّة مثل الزهرة ولابراس و"تونس سوار" (Tunis soir).

كما كانت تصل المعتقلين المجلات والكتب التي تتحكم السلطة في عناوينها فأحيانا تسمح بوصول العناوين التي يطلبها المعتقلون وأحيانا أخرى تحصر العناوين في الكتب الأدبيّة (ص ١٤٣). ومن بين الكتب التي كانت بحوزة محمد النافع ذكر كتاب "تاريخ الحزب الشيوعي البلشفي"[1] الذي اتّفق مع محمد جراد على ترجمته. وفي الواقع فإنّه سبق أن شرع في ترجمته قبل اعتقاله ولذلك فإنّه طلب من زوجته إرسال كراسين تحتويان على بعض الفصول المترجمة (ص ٧٧). وقد يكون إقباله على دراسة اللغة الروسيّة وسيلة لتحقيق هذا الهدف (ص ٥٣).

انضاف الراديو إلى وسائل المطالعة منذ ٢٨ جانفي ١٩٥٢ كانوا يستمعون من خلاله إلى راديو موسكو وراديو بودابيست و"هذا المساء في فرنسا" وكانت هذه الإذاعات تقدم أخبارا عن تونس وعن حركات المساندة التي يقوم بها العمال والحزب الشيوعي الفرنسيان (ص ٣٣). وهكذا بفضل الجرائد والراديو كانت تحصل للمعتقلين فكرة واضحة عن الأوضاع في تونس والعالم (ص ٤٥).

الصحة

يبدو أنّ الطاغي في كتابات محمد النافع لزوجته في موضوع الصحة هو الرغبة في طمأنتها. فهو عادة ما يؤكد أنّه في صحة جيّدة ويستنجد بالطبيب العسكري "الذي يمكن أن يشهد بذلك" (ص ٥٣). وفعلا فقد كان المعتقلون يعرضون أحيانا على طبيب سواء كان طبيب الاستعمار أو الطبيب العسكري. ولكن لا مفرّ من الاعتراف عندما يشتدّ المرض. فقد كان يعاني من حين لآخر من التهاب القولون ومن أزمات الكبد (ص ٦٥) وكذلك من آلام شديدة بالحويصلة (vésicule) (ص ١٩٥) إلى جانب إصابته بالبواسير (ص ١٥٠). ومن البديهي أنّ الأكلات كثيرة الدهون والتوابل تتسبّب في هذه الأمراض وخاصة اضطرابات الكبد. وهذا ما جاء على لسانه مضيفا أنّه يتألم كثيرا ويزداد جانبه الأيمن انتفاخا إلى حد الاختناق (ص ١٩٣).

[1]-Staline (J), Histoire du Parti Communiste Bolchevik de l'URSS, 1938. http://www.communisme-==bolchevisme.net/download/Staline_Histoire_du_PC_Bolchevik_de_l_URSS.pdf

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هناك عوامل أخرى تتسبّب في المرض منها ظروف الإقامة. ففي محتشد زعرور كان المعتقلون ينامون على الأرض إذ لم تكن توجد أسرة كافيّة (٥٠ سرير ل ٣٠٠ شخص). وهذا ما كان يتسبّب حسب محمد النافع في الإصابة بالروماتيزم (ص ١٧٧). كما أنّ الماء الذي يستهلكه المعتقلون لا يوفر أي ضمانات حسب عبارة محمد النافع إذ اشتكى ٣٥ معتقلا من الإسهال (ص ١٥٠).

ولكن المراقبة الصحيّة التي أشرنا إليها لم تكن ناجعة. ففي ميدون زار المعتقلين الطبيب العسكري بقابس. قال عنه محمد النافع: " ضربت معاينته رقما قياسيا في السرعة إذ نظر إلينا مثلما يفعل رجل مستعجل على امتطاء القطار. لقد كان مشهدا محزنا ومضحكا في آن واحد" (ص ٢٠٥). وفي ميدون أيضا قدمت لجنة طبيّة من تونس عشيّة نقلهم إلى برج لوبوف. وقام الطبيب بن موسى بفحص محمد النافع ولاحظ أنه يشكو من التهاب حاد في المرارة ومن أوجاع شديدة في الكبد. ولكن وقع نقل المعتقلين إلى برج لوبوف دون علاج ودون متابعة لمعاينة الطبيب (ص ٢٠٦).

في مثل هذه الظروف لم يكن من النادر أن تتعقّد صحة بعضهم فيحمل إلى المستشفى. وهو ما وقع لجلولي فارس عضو الديوان السياسي الذي وقع نقله صباح يوم ٧ ماي ١٩٥٢ إلى مستشفى قابس (ص ١١٥). كما نقل موريس نيزار إلى المستشفى حيث أقام ١٥ يوما لم يتلق خلالها أيّ علاج ولكنه تعرض للكثير من الإهانات (ص ١٩٧). ونقل محمد النافع بدوره إلى مستشفى منزل بورقيبة ولكن الطبيب عامله معاملة سيئة تمثلت في الشتم والتهديد بالاعتداء الجسدي. وآل الأمر إلى رفع الضحيّة رسالة احتجاج إلى القائد العسكري ببنزرت وإلى دخوله في إضراب جوع (ص ٢٨٧).

ومهما يكن من أمر لا يملك المبعد أو المعتقل أيّ حلّ أمام المرض. فلا نظام غذائي سليم ممكن ولا علاج طبي ممكن وفيما عدا ذلك فإنّ نقله إلى المستشفى رهين قرار الطبيب العسكري كما أنّ نقله إلى بلدة حيث يمكن أن يجد الظروف المناسبة للعلاج رهين قرار السلط العليا (ص ١٩٥).

سوء المعاملة

لم يتعرّض النافع أو غيره من المعتقلين لسوء المعاملة بشكل ممنهج. فقد وقعت حالات إهانة أو اعتداء نادرة ولكنها تعكس وضعيّة التونسي الدونيّة وعنصريّة بعض الضباط الفرنسيين. وقد سجلنا من خلال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رسائل محمد النافع إلى زوجته بعض حالات سوء المعاملة. في الحالة الأولى كان الضحيّة هو ذاته أثناء نقل المعتقلين إلى تطاوين إذ تعرض إلى اعتداء من طرف النقيب المرافق لهم مما أثار سخط المبعدين وحدا بالنافع إلى رفع شكوى إلى القائد العسكري بتطاوين (ص ٢٤٣). أما الحالة الثانيّة فضحيتها كان موريس نيزار الذي زجّ به في السجن دون سرير ودون أكل لمجرد أنه عبّر عن احتجاجه على الظروف غير الإنسانيّة التي كان المبعدون يعيشونها (ص ٢٠١). وقد أجبر نفس المبعد على الانبطاح أرضا من طرف ملازم برج لوبوف من باب التنكيل (ص ٢٠٧ الهامش ٢٩٤).

نستنتج أنّ حياة محمد النافع وبقيّة المعتقلين كانت غير عاديّة على كافة المستويات وكانت أبعد ما يكون عن حياة المبعدين. فقد انتهجت السلط الاستعماريّة تجاههم سياسة ترهيبيّة لحمل بقيّة التونسيين على الاستسلام وإستراتيجيّة عزل الجماهير عن قياداتها. ولكن وسط هذه الظلمة كانت الكثير من الأطراف حاضرة في حياة محمد النافع منها العائلة وممثلو منظمات المجتمع المدني.

الهموم العائليّة

ليست الظروف الماديّة هي الأكثر إزعاجا للمبعدين والمعتقلين إداريّا وإنّما ضياع مصالحهم وشؤون عائلتهم. وقد لا تكون لمحمد النافع مصالح خاصة فقدها أو أهملت بسبب إبعاده خصوصا وأنّ مسؤوليته في قيادة الحزب الشيوعي التونسي تحدّد مصالحه ولا تترك له مجالا آخر غير خدمة الحزب. لكن العائلة حاضرة دائما حتّى وإن كانت لديه زوجة تعوّضه في الكثير من مهامه. يختلف الأمر في حالة العقوبة بالإبعاد أو بالاعتقال فمحمد النافع حينئذ يصبح عاجزا تماما عن أي فعل، ولا يقدر إلاّ على انتظار الأخبار. فقد كان يقول: "من المؤكد أنّ غياب الأخبار يؤثر علينا أكثر من قساوة المناخ وقلّة التغذيّة التي تلحق ضررا بصحتنا" (ص ٢١٧ الترجمة من عندنا). إنّ ما كان يشغل جزء هاما من تفكيره هم أبناؤه رضا ومراد ومليك. فقد كانوا صغار السنّ ويحتاجون إلى حضوره وقبل كلّ شيء إلى إجابة حول مكان وجوده وأسباب غيابه. فرضا وهو أكبرهم سنّا كانت أمّه تقول له إنّ أباك بالمناجم (ص ٥٣). وكان النافع يتابع باستمرار تربيتهم وتعليمهم تقريبا في جميع رسائله. كما أنّه كان ينزعج كثيرا عندما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتعرضون إلى المرض مثل الحمّى والذبحة اللوزيّة. وكان يتحيّر من إصابة ابنه رضا بالتهاب اللوزتين (ص ١٢٨). فتراه يسدي النصائح لزوجته...من بعيد كما كان يقول (ص ٩٢).

II. دور العائلة وأعمال التضامن مع المعتقلين السياسيين

لم تنجح السلطة الاستعماريّة الفرنسيّة في عزل المعتقلين السياسيين كما لم تنجح في إخماد النضال ضدّها. ويعود الفضل في ذلك إلى شبكات الصمود التي تتشكّل حول المبعدين ابتداء من العائلة.

١) دور العائلة

أفراد عائلة محمد النافع الذين جاء ذكرهم في رسائله إلى زوجته قليلو العدد. فعلاوة على زوجته "أوجيني فواطة" هناك والدته وأخته المقيمتان في سوق الأربعاء (جندوبة حاليّا) واللتان لا ينتظر منهما أن تزوراه لبعد المسافة ولأنّ أخته تعاني من المرض الذي أصابها في الكبد (ص ٤٢). هناك أيضا أخوه محسن[١] الذي يزور عائلته في تونس ويرسل إليه أخبار العائلة بسوق الأربعاء حيث يقيم.

لقد كانت زوجته العنصر الرئيسي الذي يربطه بالخارج ويوفر له ما يحتاجه. فمن خلال الرسائل يفهم أنّها كانت تقوم بدور عنصر الاتصال بين محمد النافع وبين الحزب الشيوعي. فهي تعلم الحزب بأخباره وبمواقفه. كما أنّها لعبت نفس الدور بين زوجها وبين محيطه الشخصي: عائلته في سوق الإربعاء (ص ٢٣)، بعض الأجوار والأصدقاء والرفاق. وهي توفّر له كافة حاجياته الممكن توفيرها مثل وسائل التنظيف والجرائد والملابس والمأكولات الخ (ص ٢٣) والكتب مثل "مقامات بديع الزمان الهمذاني" و"تاريخ الحزب الشيوعي البلشفي" و"قضايا اللينينية" (ص ٢٨). وفي الواقع يصعب حصر الطلبات الصغيرة التي لا تتوقف من جانب محمد النافع مثلها مثل الإرساليات التي تقوم بها زوجته باستمرار.

١- ذكر محمد النافع في مذكراته أنّ والديه أنجبا ٧ أبناء لم يبق منهم على قيد الحياة سوى ٣ من بينهم أخوه محسن.

Ennafaa (M), *Il était une fois... un jeune révolté*, Tunis, Editions Publisud/ Maghreb Diffusion, 2000, p. 10.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان محمد النافع يجد الكلمات المناسبة لرفع معنويات زوجته وتثمين ما تقوم به. ففي رسالة بتاريخ ١٨ ماي ١٩٥٢ أرسلها من رمادة كتب لها: "حبيبتي ما قلته هو عين الصواب فنحن لسنا فقط رجل وإمرأة، نحن أكثر من ذلك، نحن رفقاء نضال من أجل عالم أفضل، من أجل عالم تسود فيه الحريّة والسلم والسعادة. أرى أنّ الذين لا يقدرون على ربط حياتهم وسعادتهم بحياة وسعادة شعبهم لهم نظريّة قاصرة عن الحياة والسعادة" (ص ١٢١ الترجمة من عندنا). كما كان يستغل المناسبات التي يراسل فيها زوجته عن طريق زواره فلا تمر الرسالة بالبريد ولا تخضع للمراقبة فيقول لها كلمات رقيقة يعبّر من خلالها عن مشاعره تجاهها (ص ١٨٢ و١٩٩ و٢٠١).

وفي الواقع لم تقتصر مساندة المبعدين على عائلاتهم بل شملت أطرافا أخرى.

٢) أعمال التضامن مع المعتقلين السياسيين

وجد محمد النافع وبقيّة المبعدين إلى ميدون الترحيب من لدن الأهالي الذين وفروا لهم السكن والمأكل وغيرهما. يقول عنهم إنّهم أكرموهم وسخّروا كلّ ما لديهم من إمكانيات (ص ١٨٩). وبديهي أن لا يكون الأمر غير ذلك بالنظر إلى تغلغل الحركة الوطنيّة في جزيرة جربة. كما كان للحزب الشيوعي وجود بها في شخص مناضلين مثل جوزيف زركا (Joseph Zarka) المعلّم بالمحبوبين (ص ٢١).

وشملت حركة التضامن مع محمد النافع ورفاقه عناصر أخرى. فقد تسلّموا حوّالتين من مناضلي الحزب الشيوعي بالرديف و٥٠٠٠ فرنك أرسلها محمد الهامل من المضيلة عن طريق رفيق له من مارث. بحيث وجدوا أنفسهم مكتفين ماليّا وليسوا في حاجة إلى عائلاتهم (ص ٨١).

واستبشر محمد النافع كثيرا عندما علم بموقف العمال في المتلوي وفي بعض المؤسسات بتونس والمتمثّل في استعدادهم للتصدي للقمع الاستعماري كجزء من برنامج نضالهم (ص ١٤٩). كما نسّقت عائلات المبعدين والمساجين السياسيين فيما بينها ونظّمت تحركات للتنديد بالقمع وانتظمت أعمال مساعدة لأبناء المبعدين والسجناء السياسيين قامت بها لجنة الطفولة (ص ١٤٨). وأرسلت جمعيّة الإغاثة الشعبيّة الفرنسيّة (أحدثت سنة ١٩٤٥) طرودا تحتوي كتبا وسجائر إلى الشيوعيين والدستوريين على حدّ سواء (ص ٧٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتوجّهت وفود عديدة إلى أماكن اعتقال المبعدين لزيارتهم. فقد استقبل هؤلاء مجموعة من الصحفيين من جريدة "لومانيتي" الشيوعيّة يوم ٦ فيفري ١٩٥٢. ولكن لم يسمح لهم بالدخول إلى الثكنة وتم الاستقبال في بستان الضباط. وكانت الزيارة مناسبة للإطلاع على أخبار نضالات الشعب التونسي والقمع الذي يتعرض له وأخبار الحزب الشيوعي التونسي (ص ٤٤).

وزارهم يوم ٢٤ مارس أثناء إبعادهم في محتشد رمادة وفد من الصليب الأحمر في مهمة إنسانيّة للتعرّف على أوضاعهم السجنيّة والصحيّة. وقد استغلّ المبعدون الزيارة لاستعراض الوضع السياسي الذي وقع فيه إبعادهم (ص ٨٢). كما زارهم في نفس المكان الدكتور أحمد بن ميلاد والأستاذ عثمان عليّة (محامي) يوم ٨ أفريل ١٩٥٢ باسم لجنة التضامن (ص ٩٦). وهذه اللجنة هي لجنة الدفاع والتضامن الإنساني عقدت أول اجتماع لها يوم 11 فيفري 1952 وتهدف إلى الدفاع عن ضحايا القمع والتشهير بالاعتداءات على الكرامة الإنسانيّة أمام الرأي العام[١].

وانتقل إلى محتشد تطاوين يوم ٢١ جانفي ١٩٥٣ وفد من اللجنة الدوليّة لمناهضة نظام المحتشدات وعلى رأسه "دافيد روسي" مؤسس اللجنة ورئيسها. وقد اطّلع الوفد على ظروف المحتشد واستقبل رئيسه صحبة محامي فرنسي بصفته مستشارا قانونيا عددا معيّنا من المبعدين فرادى من بينهم النافع، تعرّف من خلالهم على ظروف الإبعاد والاعتقال. ويذكر النافع أنه أطلع الوفد على الاحتياطات التّي اتّخذتها السلطة بمناسبة زيارة الوفد والمتمثلة في نقل المبعدين من برج لوبوف إلى تطاوين حيث الظروف أفضل والقصد من ذلك مغالطة الرأي العام العالمي حول الظروف الحقيقيّة للمبعدين. ودار النقاش حول الوضع القانوني للمعتقلين وكيف أنّ إجراءات إبعاد تحوّلت في الفعل إلى اعتقال وتم التعامل مع المبعدين كرهائن. واستعرض النافع الظروف الماديّة والمعنويّة للمعتقلين وكيف أنها تغيّرت من محتشد إلى آخر. وتحدث عن سلوك المشرفين على المحتشدات فبيّن أن سلوك بعضهم سليم عكس سلوك البعض الآخر مثل سلوك الضباط بسوسة[٢] وسلوك الملازم ببرج

[١] -*Le Petit Matin*, du 21 Février 1952.

[٢] – صورة الحادثة أنّه أثناء نقل المبعدين من محتشد جلال إلى محتشد زعرور تصرف معهم ضباط ثكنة مونتاسون بشكل مهين وعنصري إذ جلبوا لهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لوبوف الذي أمر موريس نيزار بالانبطاح أرضا وسلوك النقيب الذي اعتدى على النافع يوم ١٣ جانفي وقد ذكرنا هذين الاعتداءين سابقا. وسلّمهم نسخة من اللائحة التي وجهها المعتقلون للمقيم العام وقصاصتين من جرائد تبيّنان كيف أنّهم اتّخذوا كرهائن (ص ٢٤٨). وقد أصدرت اللّجنة الدوليّة لمناهضة نظام المحتشدات تقريرها حول التحقيق الذي قامت به حول المحتشدات في البلاد التونسية[١]. وقدّم رئيسها تصريحات للصحافة لم ترُق للنافع إذ أنّ دافيد روسي نفى أن تكون في تونس محتشدات مقارنة بمحتشدات "داشو" بألمانيا و"أشويتز" ببولونيا وأكد أنّ المبعدين يقضون عقوبتهم في ظروف إنسانيّة (ص ١٥٥).

III. نضال لا يتوقف رغم الاعتقال

لقد كان نضال المعاقبين لأسباب سياسيّة في السجون والمحتشدات في عهد الاستعمار الفرنسي لافتا للانتباه. فهو مقاومة للعقاب ولظروفه ولكنّه أيضا مساهمة في المقاومة الدائرة خارج السجن. وهو تقليد ساهم في إرسائه الشيوعيون الفرنسيون الذين اعتقلوا في العشرينات من القرن الماضي في السجون التونسيّة[٢].

١- نضالات المبعدين من أجل تحسين ظروف الاعتقال

لم تكن الوحدة بين الأحزاب المعارضة للاستعمار الفرنسي القاعدة في العمل السياسي. ولكن ما يحفظ للمعتقلين السياسيين هو الانسجام القائم بينهم ووحدتهم في العمل. وهي الحالة التّي كان عليها كافة المبعدين رفقاء النافع (ص ٢٦). فمنذ وصولهم إلى ثكنة رمادة احتجوا على إبعادهم وطالبوا بإطلاق سراحهم وبصفة مستعجلة طالبوا بعدم وضعهم في البرج وتمكينهم من الحق

الطعام بعد منتصف النهار والمتكون من أرز وامتنعوا عن تسليمهم أصحن ومعالق. فكان ردّ فعل المبعدين الإضراب عن الطعام.

Ennafaa (M), *Chronique saharienne, Op, cit.*,p. 172.

١ - Commission Internationale Contre le Régime Concentrationnaire, *Livre Blanc sur la détention politique en Tunisie*, Paris, 1953.

٢- أنظر نضال المساجين السياسيين داخل السجون: عرفاوي، خميس، القضاء والسياسة، مرجع مذكور، ص ٤٣٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الزيارة واستعمال الهاتف (ص ٢٦). استجابت السلط فقامت بتحسين ظروف الإقامة إذ وفرت لهم الأغطيّة والأثاث والتغذيّة (ص ٣٠). ومباشرة نظّم المبعدون أنفسهم بصفة جماعيّة من أجل ضمان الشروط الأفضل للإقامة (ص ٢٥). وسجّل النافع أنّ المعنويات كانت مرتفعة منذ البدايّة وكانت الثقة كبيرة في نضال الشعب وقرب ساعة الخلاص (ص ٢٥). يقول النافع بهذا الصدد: "نحن دائما أقوياء بما فيه الكفايّة لتحمّل أقسى أشكال القمع...وكلّنا فخر بتعرضّنا للقمع الاستعماري لأنّنا ننتمي إلى هذا الشعب الذي يقاوم ولا يكفّ عن المقاومة في سبيل الحريّة والاستقلال الوطني (ص ١٢٨ الترجمة من عندنا). تلك كانت الروح المعنويّة لأغلب شرائح الشعب التونسي ومنظماته السياسيّة والنقابيّة والشبابيّة. **وهذه الحقيقة تؤكّدها العديد من الشهادات مثل ما جاء في إحدى رسائل الحبيب بورقيبة الذي أشاد بصمود المبعدين سنة ١٩٥٢ بقوله: "هنا في رمادة المعنويات جيدة. ليس هناك أي تردّد. إن التقدّم بالنسبة لمن عاش قمع بيروطون، أمر لا يمكن إنكاره، فالجيل الحالي يتميّز بصلابته أكثر من الجيل السابق وسيكون الجيل القادم أفضل. إنه قانون التقدم"**[1].

لقد كانت نضالات المبعدين متمحورة حول ما يمكن أن نعتبره وضعا قانونيّا (Statut) يميّزهم عن المساجين السياسيين ويعترف بإبعادهم لمدة معيّنة. ويقتضي ذلك حسب ما ذكره محمد النافع نقلهم إلى بلدة في الشمال حيث يكونون مبعدين وليسوا معتقلين (ص ١٥٢).

ولقد تراوحت تلك النضالات من الاحتجاجات إلى الإضراب عن الطعام. ونظرا إلى صعوبة إحصائها وعدم جدواه فإنّنا نقدّم بعض العيّنات. فمنذ اليوم الأول لوصولهم إلى محتشد رمادة طلب المبعدون الشيوعيون من الضابط المكلف بمراقبتهم إبلاغ السلط المعنيّة احتجاجهم على الإجراء المتّخذ ضدهم والذي لا مبرّر له في نظرهم سوى جزع الإمبرياليين أمام المدّ الذي تشهده الحركة الوطنيّة وتنامي نشاط الحزب الشيوعي. وطالبوا بإطلاق سراحهم وفورا بعدم حبسهم في الثكنة والسماح لهم بالزيارة

[1] -Mahmoud (M), *Itinéraire d'un militant (1926-1942)*, CERES Productions, 1992, Document 22, Lettre de Bourguiba à Materi, Remada, le 18 avril 1952,p. 251.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واستعمال الهاتف الخ (ص ٤٩ الهامش ٢٦).واحتجت نفس المجموعة أثناء إبعادهم برمادة، دون أن يشاركهم الدستوريون، على قرار التمديد بشهر آخر اتخذه الجنرال المذكور بتاريخ ١٦ فيفري وقرروا بمفردهم القيام بإضراب جوع لمدة ٢٤ ساعة. ووجّهوا رسالة إلى المقيم العام يعرضون فيها وجهة نظرهم (ص ٥٢). كما شنّ الشيوعيون إضراب جوع بيومين يوم ٥ و٦ مارس للمطالبة بنقلهم إلى خارج الصحراء وخارج التراب العسكري (ص ٦٨).

ولكن مثل هذه التحرّكات التي يقوم بها فصيل واحد كانت استثناء. فقد احتج كافة المبعدين في برقيّة وجّهوها في منتصف فيفري ١٩٥٢ إلى الجنرال غرباي على سوء المعاملة والتضييق عليهم (ص ٤٩ الهامش ٥٩). وأضربوا يوم ١٠ مارس طيلة ٢٤ ساعة بسبب حرمانهم الكامل من الزيارة (ص ٧٠). وذكر محمد النافع بالاعتماد على رسالة بعث بها المناضل الشيوعي الهادي جراد أنّ المبعدين ببن قردان دخلوا يوم ٢٧ أفريل في إضراب جوع لا نهائي مطالبة باحترام إجراءات الإبعاد وللاحتجاج ضد استفزازات المشرفين على المركز ومنها إطفاء النور على الساعة ٢١.٣٠ ومن أجل تحسين ظروف العيش (ص ١١٥).

لقد كانت أوضاع المبعدين تتغيّر حسب عديد العوامل وأساسا حسب تغيّر موازين القوى بين الحركة الوطنيّة التونسيّة وبين الاستعمار الفرنسي. فكانت السلطة مستعدة في بعض الأوقات لتحسينها والاستجابة لمطالب المبعدين. ففي أواخر جويليّة ١٩٥٢ وقع نقلهم إلى محتشد زعرور وهذا يعتبر في حدّ ذاته نقلة هامة في أوضاعهم. ويذكر محمد النافع أنّه منذ وصولهم سعوا إلى تحسين أوضاع الإقامة. وفعلا زارهم ضابط مبعوث من طرف الجنرال غرباي واستمع إلى رغباتهم فيما يتعلّق بظروف حياتهم بزعرور: الإقامة (الأسرة، الموائد والكراسي)، الخدمات الصحيّة والأدوية، التغذيّة ومنحة التغذية، الجرائد والكتب، الحق في الزيارة الخ (ص ١٧٥). وقد تحقّق الكثير مثل الأسرة وأدخلت تحسينات على الخدمات الصحيّة بحيث أصبح يأتيهم طبيب عسكري على عين المكان وعندما تكون هناك حاجة إلى اختصاصي يرسل المريض إلى فيريفيل (منزل بورقيبة) (ص ١٧٥) وسمح للعائلات بالزيارة مرتين في الأسبوع وشمل هذا الحق ثلاثة أشخاص دون اعتبار من هم دون ١٥ سنة (ص ١٧٧ و١٧٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- إصرار السلط الاستعماريّة على التشفي من معارضيها

يظهر من رسائل محمد النافع إلى زوجته أنّ السلط الاستعماريّة انتهجت أسلوب التمييز بين المبعدين. فقد ميّزت بين القيادات الحزبيّة فاستهدفت القيادات الشيوعيّة بإبعادهم إلى أماكن نائيّة وصحراويّة وفرضت عليهم ظروفا قاسيّة لا تطاق من ناحيّة الإقامة والأكل والزيارة. ولكنّها وضعتهم مع أغلب الدستوريين في نفس المحتشدات وعمدت إلى الفصل بين الطرفين بوضعهما في غرف مختلفة. وفي بعض الأحيان كان المسؤولون الفرنسيون يمتنعون عن استقبال ممثلين عنهم. وهذا ما قام به على سبيل المثال الكولونيل غريبيس (Gribius) رئيس المكتب العسكري بالإقامة العامة عندما زار المبعدين في بورج لوبوف يوم ٩ جانفي ١٩٥٣. فقد تجنب استقبال المعتقلين الشيوعيين واكتفى باستقبال وفد عن المعتقلين الدستوريين. وبطبيعة الحال كان خطاب الوفد معبّرا عن مشاغل كافة المبعدين. فقد أكّد أعضاؤه على الطابع التعسفي وغير قانوني للاعتقال وطالبوا بنقل المعتقلين خارج بوج لوبوف إلى مكان آخر تكون الظروف فيه أفضل. هذا المطلب رفضه مبعوث الإقامة العامة ولكنه وعد بتقصير مدة وصول البريد إلى أربعة أيام وبالسماح بالتواصل عن طريق التلغراف واستلام الجرائد والمجلات بالعربيّة وبتحسين الظروف الماديّة (ص ٢٣٦).

كما سعت نفس السلط الاستعماريّة إلى التمييز بين المبعدين على أساس اعتبارات صحيّة. ففي يوم ٢٦ فيفري طلبت الإقامة العامة قائمة في المرضى الذين لا يلائمهم مناخ رمادة. غير أنّ المبعدين حافظوا على تضامنهم وردّوا بقولهم إنّ مناخ رمادة لا يلائم أحدا والجميع يطالبون بنقلهم إلى مكان آخر. وبالنسبة للمرضى فالطبيب وحده هو من يقرّر نقلهم إلى أماكن أخرى (ص ٥٨).

٣- رسائل من بعيد

لم يكن بمقدور محمد النافع التراسل مع رفاقه في الحزب الشيوعي، فكانت الطريقة الوحيدة، هي الاتّصال بهم من خلال الرسائل التّي يوجّهها لزوجته. وهو يعرف أنّهم على اتّصال بها ويتابعون أخباره فكانت رسائله تزخر بمواقفه وتعليقاته على كافة القضايا المطروحة على الساحة الوطنيّة في بعديها الداخلي والدولي. وهذا الجانب لم يكن يهمّ زوجته بقدر ما كان يهمّ رفاقه. ولئن بدا واثقا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في خطاباته السياسيّة ففي الكثير من الأحيان يقول لزوجته والكلام موجّه حسب رأينا إلى رفاقه إنها أدرى بمجرى الأحداث بحكم وجودها في العاصمة وأن ما يبديه من ملاحظات لا يعدو أن يكون ملاحظات عامة (ص ١٣١). ويحجم عن إبداء رأي في مشروع اللجنة المختلطة التي اقترحتها الحكومة الفرنسيّة في مارس ١٩٥٢ من أجل دراسة مشروع إصلاحات فيقول إنّه لا يملك كافة المعطيات للحكم عليه (ص ٨٠). ومهما يكن من أمر فقد تمحورت المواقف والتحاليل التي عبّر عنها حول النقاط التالية:

الموقف من المعسكرين الغربي والشرقي

ليس هناك جديد في موقف النافع في هذه المسألة فهو الموقف التقليدي للحزب الشيوعي الذي عبّرت لجنته المركزيّة المنعقدة في بدايّة شهر ديسمبر ١٩٤٧ عن معارضتها لمحاولات الإمبرياليّة الأمريكيّة للتغلغل الاقتصادي والعسكري في تونس ووقف إلى جانب المعسكر الشرقي وعلى رأسه الاتّحاد السوفياتي ضدّ المعسكر الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة[1].

كيف عبّر النافع عن هذا الموقف في رسائله إلى زوجته؟ لقد كان يذكر به باستمرار وأخضع معالجته للقضيّة الوطنيّة لهدف رئيسي هو التصدي للمعسكر الغربي وخاصة للأطماع الأمريكيّة في تونس. وبشكل ملموس سعى النافع إلى الردّ على ما كان يروّج له من مساندة الولايات المتحدة لنضالات الشعب التونسي، فقال إن الشعب التونسي لا يمكن له الاعتماد على مثل هذه المساندة من منطلق أنّ الأطراف المكوّنة للمعسكر الامبريالي تشقّها تناقضات. وبيّن أنّ هذه التناقضات لا تمنع الولايات المتحدة من مناهضة حركات التحرر الوطني إذ ليست لها أيّة مصلحة مثلها مثل بقيّة حلفائها في المنظومة الأطلسيّة في أن تتحرّر الشعوب المستعمرة من قيودها بل إنّ ما يحرّكها هو سعيها إلى بسط هيمنتها العالميّة وإلى وضع تونس تحت سيطرتها وتوظيفها في إستراتيجيتها الامبرياليّة دون الحاجة إلى وساطة الأتباع الفرنسيين (ص ٦٢).

ويضيف النافع قائلا إنّه في ذلك الوقت كان الامبرياليون الأمريكيون يساندون بالفعل الامبرياليين الفرنسيين وليس الشعب التونسي. وهذا ما تؤكده عدة وقائع من ذلك أنّ الولايات المتحدة هي التي تزوّد فرنسا بالأسلحة التي استعملت لتقتيل التونسيين في

[1]- Hamza, Hassine-Raouf, *Communisme et nationalisme en Tunisie de la « Libération » à L'indépendance (1943-1956)*, Tunis, Publications de la FSHS, 1994, p. 197.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الوطن القبلي وفي غيره من الأماكن (ص ٦٣) إلى جانب كونها امتنعت عن التصويت لفائدة الموقف التونسي في مجلس الأمن (ص ١٢٣). ويخلص بعد استعراض السياسة الخارجيّة للولايات المتحدة في فيتنام والمغرب الأقصى إلى أنّه لا توجد أسباب تبرّر الآمال المعلقة عليها واعتبارها صديقا لتونس وأنّ الطريق الأسلم هو الاعتماد على الشعب التونسي الذي بنضاله وحده يستطيع أن يفتك تنازلات جوهريّة والسير إلى النهايّة في طريق الاستقلال الوطني (ص ٦٤). ويرى النافع أنّ الشعب التونسي له حلفاء فهو يحظى بمساندة الشعوب الحرة وعلى رأسها الشعب الفرنسي وطبقته العاملة والاتحاد السوفياتي (ص ٣٢ و٨٧).

متابعة المستجدات على الساحة الوطنية:

قمع المتظاهرين واغتيال فرحات حشاد

كان النافع يتابع أخبار المظاهرات الشعبيّة التي كانت تقع في البلاد ويعبر لزوجته عن تألمه من وقوع ضحايا في صفوف الوطنيين من إطلاق النار على المتظاهرين. وكان يشفق على الجنود الفرنسيين الشبان الذين كان الاستعماريون يستعملونهم لهذا الغرض والحال انه لا ناقة لهم ولا جمل في ما تمارسه الامبرياليّة من اضطهاد (ص ٣٢).

وعلم النافع ورفقاؤه باغتيال فرحات حشاد بعد ستّة أيّام من العمليّة. فكان الاستياء العام في صفوف المبعدين وتناول النافع الحدث في رسالة إلى زوجته فوضعه في إطار الاغتيالات التي يتعرّض لها الوطنيون التونسيون وحملات التحريض على القتل التي تقوم بها الصحافة والأوساط اليمينيّة الاستعماريّة. وأشار النافع إلى ما تردّده تلك الأوساط تارة من أنّ الشيوعيين هم الذين قتلوا فرحات حشاد وطورا من أنّ العمليّة جاءت في إطار تصفيّة حسابات بين الدستوريين. وهي حسب قوله إشاعات مغرضة الهدف منها التستّر على المجرمين الحقيقيين (ص ٢١٩).

وأدان النافع تصعيد السلط الاستعماريّة ومرورها من الوعد بإجراء مفاوضات إلى استعمال القوة إذ أقالت حكومة شنيق وأبعدت أعضاءها إلى قبلي يوم ٢٦ مارس ١٩٥٢ ونقلت الحبيب بورقيبة ورفاقه إلى رمادة وقامت بإبعاد مناضلات، كنا تعرضنا لهن، إلى رمادة وفرضت صنيعتها صلاح الدين البكوش على رأس الحكومة التونسيّة. ورأى النافع في كلّ ذلك عنوان ضعف الامبرياليّة الفرنسيّة في وقت كان الشعب التونسي يواصل النضال في شكل إضرابات ومظاهرات (ص ٨٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ورغم الآمال التي علّقها الشعب ومكوّنات الحركة الوطنيّة على عرض القضيّة التونسيّة على مجلس الأمن فإنّ تسجيل القضيّة في جدول أعمال المنظمة الأمميّة لم يحظ بموافقة الثلثين في جلستها المنعقدة خلال شهر أفريل ١٩٥٢ وامتنعت الولايات المتّحدة عن التصويت بينما دعّم الاتحاد السوفياتي الموقف التونسي. لم يفل هذا الحدث من عزيمة النافع الذي وجد فيه تأكيدا لأطروحات الحزب الشيوعي حول التقاء الدول الإمبرياليّة ضد مصالح الشعوب المولّى عليها ومعاداة الإمبرياليّة الأمريكيّة للقضيّة التونسيّة ووقوف الاتّحاد السوفياتي إلى جانب الشعب التونسي وبقيّة الشعوب المغلوبة وما يترتب على ذلك من ضرورة الاعتماد على النفس لتحقيق الاستقلال (ص ١٠٢).

واستقطب الإعلان عن إجراء انتخابات بلديّة اهتمام النافع حسب التنظيم الجديد للبلديات المصادق عليه بأمر ٢٠ ديسمبر ١٩٥٢[1]. وكان أوّل سؤال إنكاري طرحه النافع هو: كيف يمكن تصوّر انتخابات بلديّة في مناخ الرعب السائد في البلاد؟ وعلاوة على انعدام وجود أيّ شرط من الشروط السياسيّة لإجراء الانتخابات أشار النافع إلى النصوص التشريعيّة المتعلقة بالبلديات والقابلة للنقاش بحيث ستكون الانتخابات المزمع إجراؤها صوريّة ومزوّرة لإرادة الشعب وستفضي إلى تكوين مجالس بلديّة على قياس السلطة (ص ٢٤٥).

الجبهة الوطنية

اتّسمت الساحة الوطنيّة التونسيّة في أغلب الأحيان بالتنافر بين الأحزاب ويمكن القول إنه لم تعقد جبهة على المستوى التنظيمي جمعت كافة الأحزاب الوطنيّة والتقدّميّة في جبهة موحدّة. ورغم أنّ الشيوعيين طرحوا المسألة والتزموا بها عمليّا في بدايّة العشرينات عندما تأسست الجامعة الشيوعيّة في تونس إلاّ أنّ المواقف التي اتّخذوها بعيد الحرب العالميّة الثانيّة من تزكيّة إزاحة المنصف باي ونفيه وتبنيهم لمشروع الاتحاد الفرنسي ومعارضتهم للمطالب الوطنيّة حالت دون تقارب الحزب الشيوعي مع التشكيلات الوطنيّة وعزلته شيئا فشيئا لتجعل منه عشيّة الاستقلال السياسي قيادة أركان بلا جنود كما

---

[1]- ستجرى الانتخابات البلديّة يومي ٣ و١٠ ماي ١٩٥٣ رغم مقاطعة الأحزاب الوطنيّة والتقدميّة التونسية. أنظر حول هذه المسألة:

Arfaoui (K), *Les élections politiques en Tunisie de 1881 à 1956 Colonialisme et libertés politiques*, Paris, L'Harmattan, 2011, p. 116.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الأستاذ رؤوف حمزة[١]. ولكن يجب التذكير أنّه دعا إلى إقامة جبهة وطنيّة تونسيّة بمناسبة انعقاد لجنته المركزيّة يوم ٤ أوت ١٩٤٦ واشترك مع بقيّة التيارات الوطنيّة في بعض المحطّات النضالية[٢].

وإنّنا لنجد في رسائل النافع إلى زوجته تأكيدا على هذه الدعوة وتذكيرا بمواقف الحزب الشيوعي الداعيّة إلى بناء أوسع جبهة ممكنة وإلى وحدة العمل. فحسب ما جاء في هذه الرسائل ليس هناك أسباب تونسيّة تبرر عدم قيام جبهة تضمّ كافة الوطنيين، بل إنّ المصلحة التونسيّة تقتضي ضرورة تشكيلها (ص ٦٤). وتكمن مبرّرات تشكيلها حسب ما ورد في ما كتبه النافع في أنّ النضال الذي يخوضه الشعب التونسي ليس قضيّة أيّام وإنما هو نضال متواصل حتى نهايّة النظام الاستعماري وأن القضيّة التونسيّة لا يمكن أن تكون قضيّة حزب واحد ولكن قضيّة شعب بأسره وكافة الأحزاب والمنظمات الوطنيّة والتقدميّة (ص ٥٩).

ويلفت النافع النظر إلى ما كان يعتمل في الواقع إذ كانت الجبهة مكرّسة فعليّا في الممارسة وبرز في هذا المضمار من جهة الشيوعيين مناضلو الحوض المنجمي بالجنوب ومناضلو المرسى الذين دعا النافع إلى الاقتداء بهم (ص ٣٩). وتساءل النافع: لماذا لم تأخذ الجبهة الموجودة في الواقع شكلا تنظيميا؟ ويجيب بنفسه عن السؤال بقوله إنّ السبب لا يكمن في القمع الاستعماري الذي وحّد الشعب بل في اعتقاد بعض الأوساط في الحركة الوطنيّة في ضرورة الوصول إلى مفاوضات قبل كل شيء. هذه الأوساط لا تفكر في تنظيم الحركة الوطنيّة من أجل نضال طويل النفس بل يرضون ببعض الانفجارات العفويّة للتأثير على العدو وجرّه إلى التفاوض. وبذلك ليس لديهم حاجة إلى تنظيم الجبهة الوطنيّة. ويقول النافع إنّ البعض يعترض على الحزب الشيوعي ليس لضرورة وطنيّة وإنما لأنهم يراهنون على مساندة أمريكا التي رفعت لواء مقاومة الشيوعيّة (ص ٥٩ و٦٠). وفي انتظار نضج بقيّة الأطراف في موضوع الجبهة دفع النافع في اتجاه تنظيم الجبهة على مستوى قاعدي حيثما أمكن ذلك (ص ٦٤) وفي أن يتحمل الحزب الشيوعي مسؤوليته في القيام بهذه المهمة. ولكي يقوم بذلك على المناضلين أن يعملوا ما في وسعهم لتدعيم الحزب ومنظماته من اجل مزيد

1- Hamza, Hassine-Raouf, *Communisme et nationalisme*, *Op. cit.*, p. 277.

2- *Idem*, p. 152.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إشعاع سياسته والقيام بدوره كاملا في خدمة القضيّة الوطنيّة (ص ٤٨).

لكن ما هو المحتوى الاجتماعي للجبهة التي يطرحها النافع؟ هي جبهة تضم الطبقة العاملة وجماهير المزارعين الغفيرة والشرائح الوسطى المدينيّة والشباب الطلابي. مثل هذه الجبهة ستزيد في طاقتهم النضاليّة على غرار ما تحقق في الساحة الشبابيّة من تنظيم وعمل موحّد[١].

موقف رافض للمفاوضات

رفض النافع المفاوضات التّي قامت بها حكومة شنيق (١٩٥٠-١٩٥١) والتّي كان قادة الحزب الدستوري الجديد يسعون إلى حصولها بين الطرف الفرنسي والطرف التونسي لحلّ الخلاف بينهما. وكان يفضّل عليها كما رأينا تنظيم الحركة الوطنيّة على قاعة العمل الجبهوي من أجل خوض نضال طويل المدى (ص ٦١). فالتجربة تبيّن حسب قوله أنّ الامبرياليين الفرنسيين لهم مصلحة في التفاوض ولكن ليس لهم مصلحة في أن يفضي التفاوض إلى نتيجة. فبالنسبة إليهم المفاوضات المطوّلة طريقة لإخماد التحرّكات الشعبيّة ولجعل التونسيين يعيشون حالة الانتظاريّة والسلبيّة. وهي وسيلة للحيلولة دون وحدة الحركة الوطنيّة وتنامي النضال ضد النظام الاستعماري (ص ٦١). وعلاوة على ذلك يرى النافع أنّه لا يمكن أن تقدّم الامبرياليّة الفرنسيّة تنازلات جوهريّة إثر مجرد مفاوضات (ص ٦١).

وكان النافع يتابع باستمرار مواقف الحكومة الفرنسيّة المتعلّقة بتونس ويدلي بمواقف باسمه وباسم رفاقه المبعدين. وفي هذا الصدد علّق النافع على ما تقدم به ادغار فور (Edgar Faure) رئيس مجلس الوزراء الفرنسي آنذاك من وعود في أواخر جانفي بالقيام بإصلاحات اعتبرها مناورة ومخادعة وأكد على أن الشعب الذي يكافح الإرهاب الاستعماري بكل شجاعة واكتسب خبرة في مجال التفاوض لن يتوصّل مضطهدوه إلى خداعه (ص ٣٥).

الخاتمة

مثّلت فترة المنفي بالنسبة لمحمد النافع فترة اختبار كزوج وأب وخاصة كمناضل وقيادي في حزب يساري. لقد ساعدنا على مواكبته في رحلته الطويلة، رحلة العذاب

---

[١] - Ennafaa (M), *Chronique saharienne, Op. cit.*, p. 86.

قد يكون النافع يشير في حديثه عن اتّحاد الشباب إلى تأسيس الاتحاد العام لطلبة تونس الاتحاد العام الذي تأسس في ٥ فيفري1952أي شهرين قبل كتابة الرسالة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والصمود، مع رفقاء الدرب على طريق النفي من خلال رسائله إلى زوجته. وصادف أنّ هذه الرسائل كتبت في فترة أسّس فيها الحزب الشيوعي التونسي إستراتيجيته على أساس المسألة الوطنيّة باعتبارها تحرّر من الاستعمار وانتقال السلطة إلى أياد تونسيّة وما يترتّب على ذلك من ضرورة بناء جبهة وطنيّة واسعة تعتمد على جماهير الشعب وتتفاعل مع بقيّة حركات التحرّر والشعوب المحبّة للسلام. فكانت المواقف والتحاليل التي عبّر عنها في رسائله مطابقة للخط السياسي لحزبه والذي كان مؤتمنا عليه باعتباره سكرتيره الأول. فكان يذكر باستمرار بالمواقف المبدئيّة المتّفق عليها ويسعى إلى تكييفها مع المستجدات.

لكن توجد صفة أخرى للنافع تبرز من خلال رسائله من المنفى وهو أنّه قطب الحزب ومحوره. فقد كان يولي لحمة الحزب عنايّة فائقة ويسعى جاهدا إلى شدّ أزر رفاقه الذين لم يطلهم الاعتقال والصامدين في وجه آلة القمع الاستعماريّة. لقد كان يؤكّد على الهويّة الشيوعيّة التي يعتز بها وتعني بالنسبة إليه أولئك الوطنيين المتماسكين المؤمنين بعمق بقضيّة شعبهم وقضيّة كل الشعوب الحرة والمحبة للحريّة (ص ٢٧). وكان لا يتردّد في استغلال كل فرصة للتنويه بالأعمال التي يقوم بها الشيوعيون في ساحات النضال مثل تنويهه بنضال الشيوعيين في مناجم الجنوب وفي المرسى. كما كان يحث رفاقه على الجلد وطول النفس بتأكيده على أن النضال الذي يخوضه الشعب التونسي ليس قضيّة أيام وإنما هو نضال متواصل حتى نهايّة النظام الاستعماري وهي نهايّة محتومة رغم القمع الذي لا يعدو أن يكون أكثر من علامة ضعف. إنّ دور الحزب في نظر النافع هو الثقة في الجماهير واتخاذ المبادرات النضاليّة معها. بالنضال يمكن للحزب أن ينتدب المناضلين ويتعزز وفي الآن ذاته يحمي مناضليه وإطاراته من القمع الاستعماري (ص ٨٧).

لقد كان النافع يمارس من بعيد صلاحيّة القيادة فكان يسدي التوجيهات إلى جرائد الحزب طالبا منها إعانة الجماهير على الاستفادة من تجربتها في النضال المشترك (ص ٣٧) وإعلام الرأي العام بالتمديد في عقوبة الإبعاد تعسّفا حتى تفرض الجماهير الشعبيّة حق المبعدين السياسيين في العودة إلى منازلهم وإطلاق سراح المساجين (ص ٥٠). ولم ينس عائلات المبعدين الذين طالب رفاقه بالاعتناء بها وبإحاطة الأطفال بكامل الرعايّة وتدليلهم من طرف الجميع (ص ١٠٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم تنته رحلة محمد النافع مع النضال السياسي والمتاعب في بداية الخمسينات بل ستتواصل خلال مسيرة طويلة من المسؤوليّة على رأس الحزب الشيوعي التونسي كسكرتير أوّل ثمّ عضو في سكريتاريّة الحزب قبل تأسيس حركة التجديد في ١٩٩٣ التي انتمى إلى مجلسها التأسيسي وستوافيه المنيّة في ٢٠٠٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطالبات البولندية بالمعونات الاقتصادية وموقف الولايات المتحدة منها عام ١٩٤٥

د ميادة قيس النصيري

الملخص :

سعت بولندا الى الحصول على المساعدات الخارجية نظرا ً لتردي الوضع الاقتصادي فيها خاصة بعد مؤثرات الحرب العالمية الثانية التي سببت ارباكا ً اقتصاديا ً لدى معظم دول العالم ومنها بولندا ، لذا توجهت انظارها الى المساعدات الخارجية وتحديدا ً الى الولايات المتحدة الامريكية التي كانت تتمتع بوضع اقتصادي ممتاز لأنها لم تتأثر بأزمات الحرب العالمية الثانية بل انها كانت من المستفيدين فيها اقتصاديا ً ، الا ان تلك المطالب اصطدمت بعقبات عدة كان في مقدمتها ان نظام الحكم في بولندا كان ميالا ً بشكل واضح الى السوفييت الذين ارادوا بقاء بولندا ضمن دائرة نفوذها ، اما الامريكيين من جانبهم ارادوا اخراج بولندا من المؤثرات السوفيتية مستغلة وضعها الاقتصادي السيء.

Polish appeal for economic aids and the American Position about that appeal – 1945

Conclusion :

Poland tried to get foreign economic aids because of the bad economic situation especially after the effects of the second world war which caused economic problems in the most countries of the world , including Poland . So Poland turned her attention to getting foreign economic aids , especially American one because of the excellent situation of America , since America wasn't affected in the crisis of the second world war , but it was beneficiary economically . However , this appeal faced many obstacles , First of all was that the polish government tended so clearly to the soviet union which wanted Poland to be included in its influence . Yet , America wanted getting Poland out of this influence through exploiting polish economic situation which was bad .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة :

يعد موضوع ((المطالب البولندية بالمعونات الاقتصادية وموقف الولايات المتحدة الامريكية منها)) من المواضيع ذات الاهمية في تاريخ بولندا الاقتصادي والسياسي رغم طغيان الجانب الاقتصادي على طبيعة العلاقات الامريكية – البولندية وانعكاساته على العلاقة بين بولندا والاتحاد السوفيتي ، فقد كانت بولندا تعاني وضعاً اقتصادياً سيئاً من جراء تدهور الاقتصاد العالمي الذي نتج بسبب الحرب العالمية الثانية وتداعياتها ، وكانت ترى في الولايات المتحدة الامريكية المخلص لها رغم علاقاتها مع الاتحاد ن وتأثير الاتحاد السوفيتي عليها ، خاصة ان الولايات المتحدة انفقت كثيراً في تقديم المساعدة في ظل تلك الاجواء ، ومن هنا اتت اهمية اختيار الموضوع للدراسة وتبيان حيثياته .

لقد اقتضت الضرورة عدم تقسيم البحث الى محاور على اعتبار الموضوع بحد ذاته واحدة متكاملة ، لذا اقتصر على عنوان ومقدمة وخاتمة والتي احتوت على ابرز النتائج التي تم التوصل لها اثناء البحث .

المطالبات البولندية بالمعونات الاقتصادية وموقف الولايات المتحدة منها عام ١٩٤٥

لقد أفرزت الحرب العالمية الثانية ، اضافة الى مشكلة السكان ظاهرتين اساسيتين وهما:

١- النظام الرأسمالي [1] الذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية.

٢- النظام الاشتراكي الذي يمثله الاتحاد السوفيتي . [2]

الظاهرة الأخرى ، هي الاتجاهات التي ظهرت بعد الحرب العالمية والمتعلقة بربط الاقتصاد بالعلاقات الدولية ، بين القطبين الرأسمالي والاشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية . [3]

لقد كان القطاع الاقتصادي أكثر القطاعات تضرراً من الحرب ، نظرا لتعرض المنشآت الصناعية لعمليات التخريب ، وكانت أهم تلك الدول ، هي : بولندا ، وبلجيكا ، وشمال ايطاليا ، وألمانيا ، والاتحاد السوفيتي ، وبريطانيا وغيرها [4] .

أما الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد كانت اكثر الدول المستفيدة من الحرب على الرغم من المساعدات التي قدمتها الى أوربا لكنها خرجت من الحرب وهي أغنى قوة دولية [5]، وهذا يعني أن هناك تغييراً في الاستراتيجية الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي رافق انهيار الإمبراطوريات الاستعمارية القديمة (فرنسا وبريطانيا) ، والتوجه نحو تأسيس علاقات دولية جديدة ، وزيادة بالاهتمام بالقضايا الدولية ، ورفض العزلة السياسية للدور الأمريكي . [6]

وبخصوص موضوع البحث فقد خرجت بولندا من الحرب مدمرة كلياً اذ عاشت في حالة من الدمار من دون حرية سياسية أو حرية صحافه وقد حلت المطرقة والمنجل السوفيتي محل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصليب الألماني ، ولم تتحسن الظروف المعيشية في أنحاء بولندا كلها مع رحيل القوات الألمانية ، هذا الى جانب المساعي السوفيتية التي حاولت أن تتقدم لإقناع البولنديين بالأفكار الشيوعية ، فحلت صور ستالين محل صور هتلر ، وأخذت الشرطة السوفيتية السرية (NKVD) والقوات السوفيتية مكان الجنود الألمان [7]، اي انها بدلت استعمار باستعمار اخر وهذا بالتالي انعكس سلبا على الواقع البولندي.

أما اقتصاديا ، فان أجمالي الثروة التي فقدت فقد قدرت (٥٤ - ٦٠ %) من ناحية القدرة الصناعيـــــة و (٤٠ %) من المباني والآلات الزراعية ، و (٦٠ – ٧٢ %) من ثروتها الحيوانية ، وقد وصل الدمار في وارسو الى ما يقارب (٨٥ %) تقريباً [8] ، وقد ذكر ارفينغ برانت ([9] (IRivg Brant وهو مراسل لصحيفة شيكاغو صن (Chicago sun) عندما زار وارسو في تشرين الأول عام ١٩٤٥ قائلا : " عندما دخل الأمريكيون الى وارسو شعروا بأنهم قد خرجوا من العالم الحقيقي الى شيء ربما لا يمكن أن يوجد في مكان آخر[10] " فقد دمَّر الألمانُ الثقافة البولندية ومعالمها التاريخية ، لذلك فقد كانت مهمة إعادة الأعمار الموجهة لبولندا هائلة خلال الفترة (١٩٤٥– ١٩٤٧) لاسيما بعد سيطرت الحكومة البولندية (حكومة الوحدة الوطنية) [11]لمتابعة الانعاش الاقتصادي وليس لنشر الأيديولوجيات الاشتراكية ، ومن ثمَّ تبنت سياسة اقتصادية مختلفة قائمة على جذب المثقفين الذين نجوا من الحرب ، لمساعدتهم في إعادة بناء الدولة البولندية وتسهيل مهمة الحصول على القروض من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، لذلك عمدت الى إتباع سياسة الإعتدال في تلك السنوات بعيداً عن صراع سياسي ، مع محاولة التخفيف من حده الخوف من حزب الفلاحين البولندي PSL)) الذي يقوده ميكولاجيك للبت بالعمل الجماعي من أجل نهضة بولندا الحديثة وأعمارها . [12]

وقد علّق ميكولاجيك على تلك الفترة قائلاً: " إن الحماس الذي اتسمَ به الشعب البولندي كان كبير خلال سنوات ما بعد الحرب [13] " ، الى جانب ما ذكره تشيسلاف ميلوش (Czeslaw Milosz) [14] ، "أن كلٌ من تجرأ بالتحدث عن عواقب التعاون بين الحكومة الوطنية المؤقتة وبين الشعب والأحزاب في ذلك الوقت ، يعد عدواً للشعب ومفترياً على الحكومة . [15] "

وكما هو متوقع ، كان الشريك التجاري الرئيس لبولندا في عام ١٩٤٥ هو الاتحاد السوفيتي ، وقد وصلت بصادرات الفحم البولندية الى الاتحاد السوفيتي بما يقارب (٩٠ %) ، ومن صادراتها ما يقارب (٩٣ %) ، ولكن بحلول عام ١٩٤٦ انخفضت الى نسبة ٧٠ % و٤٦ % عام ١٩٤٧ على الرغم من زيادة حجم وحصة الحكومة السوفيتية من الواردات البولندية. [16]

أشارت السياسات الاقتصادية الأمريكية تجاه بولندا خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ – ١٩٤٨) الى رغبة حقيقية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدة بولندا في مشاكلها المتعلقة بأعمار البلد بسبب الحرب [17] ، فقد كانت الادارة الأمريكية تأمل في أن تقدم لبولندا مساعدات إغاثة وقروضاً مهمة لتسهيل إنعاشها اقتصاديا ، وضم اقتصادها الى اقتصاد الدول الأوربية [18] ، فقد كان هناك تفاوض مسبق في مؤتمر بوتسدام بين الامريكان ونظرائهم بخصوص حاجة بولندا للمساعدة والإنعاش الاقتصادي . [19]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الا ان ونظرا لظهور جدال داخل أروقة وزارة الخارجية الأمريكية وإدارتها حول ما ينبغي ان يأخذ من بولندا مقابل منحها المساعدات ، سبب اضطراباً حول السياسة الاقتصادية الامريكية ، ليس في واشنطن فحسب ، بل في وارسو ايضا فقد ارغمت الحكومة البولندية ان تُضغط على حكومة الاتحاد السوفيتي لاستحصال موافقتها على دخول المساعدات الأمريكية لبولندا ، وذلك لإدراك الحكومة البولندية بأن السوفييت سيحبطون أي مساعدة أمريكية لبولندا بشكل مباشر ، وهذا قد اضعف معنويات بولندا كونها غير حرة نسبيا في الجانب الاقتصادي اكثر مما كانت تظنه حكومة واشنطن .[20]

وعلى الرغم من هذا كله ، فقد أعدت الولايات المتحدة مقترحات برلمانية من أجل توفير ما يقارب (١٠٠) مليون دولار تكون قروضاً لبولندا ، كي يسهم الاقتصاد البولندي في إنعاش اقتصاد أوربا بشكل عام ، وبعد ذلك أخذت الخطوة الأولى فمنحت الولايات المتحدة الأمريكية للبولنديين (١٠٠) شاحنة من موادها العسكرية الفائضة من أجل التقليل من مشاكل النقل البولندية ،اذ كان الاقتصاد البولندي المتجدد ذا أهمية اقتصادية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة .[21]

ومن جانب اخر كانت تعويضات الفحم التي حصل عليها الاتحاد السوفيتي من بولندا هي القضية الأكثر أهمية والتي أسهمت في قلق ادارة واشنطن بان حكومة موسكو سوف تستثمر الاقتصاد البولندي برمته الى صالحها ، وكان الشيوعيون الذين هيمنوا على الحكومة البولندية المؤقتة متفائلين بإمكانية خلق توازناً تجارياً مع الغرب ، وعلى الرغم من أن أغلب التجارة البولندية كانت مع السوفييت خلال عام ١٩٤٥ لكنهم لم يقفوا في طريق المحاولات البولندية من أجل التشجيع على المعاملات التجارية مع الغرب .[22]

بعدها تم صياغة برنامج إصلاح اقتصاد بولندا على نحو دقيق في خريف العام نفسه ، بقيادة هيلاري مينك (**Hilary Minc**)[23] وزير الصناعة ، الذي يأمل أن يحافظ على الارتباطات الاقتصادية مع الغرب ، فقد ارتأى أن يجعل الاقتصاد البولندي اشتراكيا ً لكن ليس من الضرورة على شاكلة النموذج السوفيتي ، ولم يتلق أوامر من حكومة موسكو بقطع العلاقات الاقتصادية مع الولايات المتحدة أو مع باقي دول أوربا [24] ، وسعى مينك الى علاقات تجارية عادية مع الولايات المتحدة وأوربا الغربية فضلاً عن الاتحاد السوفيتي وكان غالباً ما يعبر عن رغبته في تعديل المعاهدة الأمريكية البولندية لعام ١٩٣١ .[25]

في السادس من آب من العام نفسه كانت أولى المداولات فيما يتعلق بالدعم الاقتصادي الأمريكي لبولندا بعد الحرب ، فقد اثار السفير لين [26] في حديث وديٍّ مع كل من رئيس المجلس الوطني البولندي بوليسلاو بيروت (**Boleslaw Bierut**)[27] ، ورازيوموسكي (الوزير البولندي للشؤون الخارجية) ، وموزليوسكي (نائب وزير الخارجية البولندي)، ووليم تونسك (مترجم السفير لين)[28] ، أهم النقاط الأساسية لهذا الدعم ، وهم كالآتي :

١- تمضي دائرة التأهيل UNRRA (*United Nations Relief and Rehabilitation Administration*) التابعة للأمم المتحدة بتجهيز ثلثي أموالها ، ١٠٠ % تقريبا من المواد الى بولندا ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي المسؤولة عن هذا المشروع .

٢- تقديم المعونة الاقتصادية لبولندا ، إذ يجب أن يتم عن طريق أكسيم بانك (**Exim**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

bank) في واشنطن ، ولذلك يجب الافصاح عن بعض الحقائق التي تخص الوضع المالي .

٣- تسهيل عمليات التبادل والعملات الأجنبية من خلال التصدير ، وخاصة (الفحم).

٤- وجوب تبادل الخبراء الاقتصاديين بين الحكومتين الامريكية و البولندية .

٥- يجب إرسال برقية الى باريس لتخويل بمنح الفيزا الى الدكتور باور (Bauer) J.H.، ومساعدة هاري كاردي .[29] Harry Grady

وبالمقابل حصل السفير لين على تعهدات من الرئيس بيروت بأنه يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تفتح لها قنصليات في عدة مدن في بولندا ، أمثال (غدانسك وكراكوف وبوزنان وبرسيلاو) ، وكذلك فتح محطة إذاعية في السفارة الأمريكية ، هذا الى جانب تحليق طائرات للنقل الجوي الأمريكي الى وارسو بدون أذن مسبق ، وإعطاء الحق لمراسلي صحف الولايات المتحدة بالدخول الى بولندا وكتابة التقارير لتجنب الصعوبات المحتملة التي قد تنتج عن سوء الفهم ، وقد وافقت الحكومة البولندية على استقبال لجنة من الكونغرس الأمريكي لرؤية معسكرات الاعتقال في وارسو ولوبلن وماجدنسيك وغدانسك.[30]

ومن جانبه وافق بيرنز على تلك النقاط ، وأبلغ السفير لين بأن على السفارة الأمريكية في هذه المرحلة عدم القيام بأي دور فاعل ، ولاسيما بما يتعلق في المناقشات ذات الصلة بالتعويضات الألمانية وعودة الجنود البولنديين في الغرب ، ويجب أن تنتهز الفرصة المواتية في مناسبات اخرى ، لتؤكد بصورة مباشرة قيام الحكومة البولندية بإعطاء الضمانات للجنود الذين سيتم اختيارهم للعودة ، ومنحهم نفس الحقوق الشخصية وحقوق الملكية مثل المواطنين البولنديين الآخرين ، وأن لا يتم معاقبتهم بأي طريقة بسبب ولاءاتهم السابقة .[31]

كانت الادارة الأمريكية تعتقد من أنها قادرة على الانتفاع ، من منح القروض من أجل الحصول على تنازلات سياسية من القيادة البولندية ، وكان السفير لين أحد المؤيدين لمنح القروض الصغيرة والكبيرة للتأثير على نهج الحكومة البولندية السياسي .[32]

وصلت اللجنة المرسلة من الكونغرس الأمريكي في الحادي والعشرين من آب ومعها ممثلو رابطة الصحافة الأمريكية الى بولندا ، للقضاء على ما اعتبرته الادارة الأمريكية بسوء الفهم في خاصة فيما يتعلق بالظروف الراهنة في بولندا وسياسة الحكومة البولندية المؤقتة ، وقد رحب رئيس الوزراء البولندي اوسبكا موراوسكي وذكر قائلاً : " في عام ١٩٣٩ كانت للولايات المتحدة الأمريكية قناعة قليلة ببولندا كما للدول الأوربية الأخرى ، لذلك أصبو بخلق الثقة من جديد في بولندا بحيث يمكن جذب الاستثمارات الأمريكية.[33] "

وقد فسر لين تلك الأحداث بتعبير مختلف عن سياسة حكومته ، بأن حجب الأخبار في بولندا منذ رحيل ألمانيا كان المسؤول بصورة كبيرة عن الشكوك بإدارة واشنطن ، وهذا أيضاً ناتج عن قدم الصليب الأحمر الأمريكي ودائرة إعادة التأهيل التابعة للأمم المتحدة (UNRRA) بالحصول على تأشيرات للقدوم الى بولندا خلال مدة تصل الى عدد اشهر ، وهذا بدوره خلق انطباعاً حتى في بعض دوائر الإدارة الأمريكية بأنه يجب أن يكون هناك شيء ما تريده الحكومة البولندية او جهات أخرى أن تخفيه عن الولايات المتحدة الأمريكية ، لذلك على الإدارة الأمريكية أن تعطي التسهيلات لمراسلي الصحف لمشاهدة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحداث ومتابعتها عن كثب ، وهذا يبعد شعور الريبة تجاه الولايات المتحدة الأمريكية . [34]

وفيما يتعلق بالسياسة الاقتصادية والمالية للحكومة البولندية ، التي لو سمح لها بالاستمرار فأنها ستقلل الثقة بالحكومة البولندية ولا تشجع استثمار رؤوس الأموال الأمريكية في إعادة إعمار بولندا ، لذلك قدم موراوسكي مقترحاً في هذا الجانب ، قائلاً : " إن بولندا ترغب في تشجيع التجارة الخاصة والتي كان يقوم بها بصورة رئيسية في السابق اليهود ، لذلك سوف تشجع إعادة ممارسة التجارة ولكن بشرط أن تكون جدية وليست تأملية[35] " ، وقد قسم بدوره التجارة الداخلية البولندية الى ثلاثة أجزاء:

١- مراكز التجهيز الحكومية
٢- التعاونيات
٣- تجارة خاصة

وفي الوقت ذاته ، قدمت الادارة الأمريكية عرضاً بواسطة سفيرها في وارسو ارثر لين ، وهو إعطاء الهيئات الدبلوماسية معدل تبادل العملة بمقدار (١٥٠) للدولار ، لأن معدل الصرف في السوق السوداء كان فوق (٢٠٠) للدولار ، وهذا بلا شك كان غير منصفٍ ، فهو لن يشجع رجال الأعمال الأمريكان والمراسلين على القدوم الى بولندا ، فضلاً عن ذلك ، فانه لن يشجع المواطنين البولنديين الموجودين في الولايات المتحدة الأمريكية على إرسال مساعدات مالية الى العوائل في بولندا والتي كانت سابقاً مصدراً كبيراً للعملة الأجنبية في بولندا [36]، وقد أشار السفير لين مسبقاً الى الإصدار الاحتياطي لمعدلات مختلفة من تبادل العملة لمعاملات منفصلة ، كما أعلن عنها وزير المالية البولندي كونستنتي دبروسكي) Konstany Dobrowski) [37] في حديثه مع السفير لين ، أن الحكومة البولندية لا تنوي إقامة المعدل العام لتبادل العملة البولندية (الزلوتي) بالنسبة الى العملات الأخرى . [38]

كما أشار أيضاً الى الاتفاقية البولندية – السوفيتية التي أبرمت في السابع من تموز ١٩٤٥ والتي نصت على تصدير (٥,٠٠٠,٠٠٠) مليون طن متري من الفحم الى الاتحاد السوفيتي مقابل السلع والبضائع المختلفة، على أثر ذلك قدم مقترحه بوجوب دراسة الإدارة الأمريكية ما هو مناسب فيما يتعلق بتأثير السياسة الاقتصادية السوفيتية المسيطرة على بولندا على العلاقة الاقتصادية الأمريكية المستقبلية مع بولندا ، وخصوصاً فيما يتعلق بالمساعدات المالية التي تتوقعها الإدارة الأمريكية من خلال بنك الاستيراد والتصدير ، لأنها الفرصة المناسبة لجلب انتباه الحكومة البولندية والتي تتوقع المساعدة الودية للتعاون بين البلدين. [39]

وعند المقابلة الأولى لـ مينك مع السفير لين في الثالث من ايلول العام ذاته أوجز خلالها الدمار الهائل الذي تعاني منه الصناعات البولندية بعد أخذ الألمان الجزء الأكبر من ماكنات النسيج الى ألمانيا ، هذا الى جانب الأكثر أهمية بالنسبة لبلدان أوربا الغربية هو حاجة بولندا لقاطرات وناقلات الفحم حتى يمكنهم بناء الاقتصاد البولندي من خلال فحم سيليزيا [40]، ولأن مينك كان شيوعياً ، لم يذكر للسفير بأن السلطات السوفيتية فككت المصانع ، ونقلوا أليانها الى الاتحاد السوفيتي ، وخصصت نسبة من الحبوب الزراعية لإطعام الجيش الأحمر السوفيتي ، على الرغم من أوضاع بولندا الاقتصادية الصعبة [41] .

لعل تلك المحاولات الأمريكية لإصلاح الاقتصاد البولندي المتهالك لم تكن فعالة في تلك المرحلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في ظل أهم المعوقات لإصلاحه ، وكان من اهمها هي :

١- استمرارية حكومة أركيزوسكي في لندن.

٢- النفوذ السوفيتي المسيطر على الاقتصاد البولندي .

فيما يتعلق بالحكومة البولندية المؤقتة (في المنفى) في لندن ، فطبقاً لقرارات بوتسدام الواضحة ، فأن ما يسمى بحكومة اركيزوسكي غير معترف بها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولكنها في الحقيقة كانت مستمرة في الحكم في مقرها لندن ، وتقيم علاقات رسمية مع بعض الممثلين الدبلوماسيين ، وقد عممت حكومة اركيزوسكي عمداً نصاً يذكر بأنه رغم عدم اعتراف القوى العظمى فأنها تبقى تمسك بزمام الأوامر العليا على القوات البولندية المتواجدة في بريطانيا وفي القارة الأوربية ، ومثال ذلك ، هو أمر الجنرال تاديوس بوركو موروفسكي (Tadeus Borko Morowski) [42] في الثامن والعشرين من آب ، حيث كان يسمي نفسه القائد الأعلى للجيش البولندي الساند لحكومة المنفى ، في التصفية العنصرية للجنود والضباط الذين يودون العودة للوطن وتجميعهم في معسكرات خاصة [43] ، وهذا بالطبع يعد إرهاب للآخرين لأنه يأمل تحويل الجيش البولندي الى إدارة تنشر عدم الاستقرار والإزعاج في أوربا .

في الوقت ذاته ، فأن مبعوثي الحكومة البولندية في المنفى المجهزين بالأموال الكافية يقودون حملات شرسة لتشويه حكومة الوحدة الوطنية البولندية المؤقتة والأوضاع في بولندا بين المهاجرين البولنديين وخاصة البولنديين الذين يقطنون في مناطق الاحتلال البريطانية والأمريكية في ألمانيا .[44]

ولقد كان ذلك بمثابة خلفية لنشاطات التجنيد من أجل تسجيل المواطنين في تنظيمات عسكرية لا تقود لأي شيء ، سوى التآمر ضد السلام ، وإثارة كل أنواع الاستفزازات والتحريض المقصود منها إثارة الحوادث والنزاعات بين الحلفاء ، وقد حاولت حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة البولندية أن تقدم أدلة قاطعة على استمرارية حكومة المنفى في إرسال مبعوثيها الى بولندا والاتصال بهم برقياً ، فلدى السلطات البولندية دليل فعلياً على وجود برقية باستلامهم معلومات من حكومة (المنفى) وان العملاء المزعومين لحكومة المنفى حاولوا استخدام ترسانة هتلر لخدمة أهدافهم لخلق انشقاقات داخل بولندا وتخريب ما ترغب به الحكومة البولندية الجديدة وهو تعزيز إعادة الاعمار سلمياً ، وهدف ما كانوا يفعلونه هو زرع الحقد ومحاولة إثارة أعمال الشغب المعادية للسامية ، ويعارضون عودة توطين السكان ، ويروجون للحرب الأهلية .[45]

أذن واقع الحال ، بحسب الأمور التي ذكرت أعلاه ليست لصالح خلق الاستقرار المنشود في الأوضاع والعودة السريعة للنشاطات الطبيعية في زمن السلم ، وذلك أن تفوق حكومة (المنفى) على الوحدات العسكرية البولندية التي أصبحت حواضن للإيديولوجيات الفاشية المعادية للديمقراطية قد يسبب عدم الارتياح والانزعاج ، ولا بد أن ينتج عنه ما يناقض روح مقررات مؤتمر بوتسدام ، وفي غضون ذلك استذكرت حكومة الوحدة الوطنية البولندية المؤقتة أنه بموجب مقررات يالطا وبوتسدام التي وافقت عليها فأنها تفرض مبادئ الحرية والديمقراطية وتضمن نشاطات حرية لأحزاب الديمقراطية وتجعل من الممكن طبع عدد هائل من الصحف ذات الأفكار والخلفيات المختلفة ، وتحاول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعجيل عودة المواطنين البولنديين وتحاول التغلب على الصعوبات الاقتصادية الناتجة عن الحرب والدمار الهائل الذي سببه الاحتلال النازي الألماني ، وكذلك تهدف الى أعادة الأوضاع الطبيعية للحياة بأسرع وقت مما يمكن من أقامه انتخابات برلمانية حرة . [46]

وفي ضوء ما تقدم أعلاه ، وتوقعاً في الدورة الأولى في جلسة مجلس وزراء الخارجية الذي عقد في لندن من (الحادي عشر من أيلول – الثاني من تشرين الأول) بهدف مناقشة مشاكل عديدة لفترة ما بعد الحرب لإيجاد الحلول المناسبة بحسب مقررات مؤتمر بوتسدام وكان اهمها الملفين الالماني والاوربي [47] ، فتقدمت حكومة الوحدة الوطنية البولندية المؤقتة بطلب مستعجل بإصدار قرار وهو إلغاء حكومة (المنفى) بالكامل ونهائياً وحرمانها من كل الامتيازات التي لا تزال تتمتع بها بصورة غير قانونية لأهمية ذلك في تحقيق السلام . [48]

في الاجتماع الخامس للمؤتمر الدورة الأولى لوزراء الخارجية في لندن المصادف في الخامس عشر من أيلول ، أيد مولوتوف وزير الخارجية السوفيتي طلب الحكومة البولندية المؤقتة ، وعلى الحكومة السوفيتية أن تدرس هذه المسألة ، لكن تم تأجيل النظر في هذه القضية حتى الاجتماع السادس في السابع عشر من أيلول ، في الوقت الذي تم الاتفاق فيه على قبول الاقتراح البريطاني بأن تعالج خلال القنوات الدبلوماسية وأن يقدموا فقط قبل الدورة القادمة للمجلس أذا كانت الأطراف المعنية لم تقتنع. [49]

ومن نتائج إلغاء حكومة المنفى تتوقع حكومة الوحدة الوطنية البولندية المؤقتة قرار حول نقل قيادة القوات البولندية في الخارج الى ممثلين مخولين من القائد العام للجيش البولندي ، وهو أن الضباط الجنود اللذين لا يرغبون أن يكونوا تحت أمرة القائد العام للجيش البولندي بوركومورفسكي يجب تفريقهم ووضعهم في معسكرات بدون صلاحية القائد العام البولندي عليهم ، وعموماً أن حكومة الوحدة الوطنية البولندية المؤقتة مقتنعة بالكامل بأن طريقة حل تلك القضية ستسهم في قضية أحلال السلام وإقامة النظام الديمقراطي في بولندا وفي كل أوربا. [50]

وقد أضاف مودزلوسكي وزير الخارجية وكالة في حكومة الوحدة الوطنية البولندية المؤقتة للسفير لين ، بأنه تم إرسال تلك الملاحظات الى كلاً من مولوتوف وأرنست بيفن وزير الخارجية البريطاني عن احتجاجه الكبير بخصوص استمرار حكومة المنفى في لندن وأنها لا تزال تتمتع بحقوق إضافية خارج أراضيها بما فيها امتيازات دبلوماسية وحقوق الاتصال بالراديو مع المسلحين السريين في بولندا[51] ، ولكن السفير لين كانت لديه نظرة مختلفة بأن تلك القضية كما تبدو بين حكومتين بريطانيا وبولندا وليس من مسؤولية ادارة الولايات المتحدة الأمريكية التي هي مثل الحكومتين البريطانية والسوفيتية لم تعد تعترف بحكومة المنفى في لندن ، وكان رد مودزلوسكي بأنه بموجب اتفاقيات يالطا وبوتسدام يجب حل حكومة لندن وأن الحكومات الثلاثة مسؤوليتها متساوية ، على الرغم أن الولايات المتحدة الأمريكية اعترفت بحكومة وارسو في الخامس من تموز ١٩٤٥ وهذا بدوره أنهى الوضع الرسمي لحكومة لندن ، ولكن موقف مودزلوسكي من ذلك هو أن الأموال التي تحت سيطرة الخزانة البريطانية لا تزال تستعملها حكومة لندن لسد مصاريف بعثاتها الدبلوماسية في الخارج وللقيام بالدعاية ضد الحكومة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البولندية ، وأضاف بأن موقف الولايات المتحدة الأمريكية صحيح بالكامل في علاقاته مع حكومة المنفى ، وعملها في حجب الأموال البولندية في الولايات المتحدة ورفض السماح للسفير البولندي السابق سيشاونسكي (**Ciechanowski**) في واشنطن في أخلاء ممتلكات السفارة البولندية هناك قبل الاعتراف هي أمور تقدرها الحكومة البولندية كثيرا". [52]

وقد أقدم السفير لين عند زيارته الى لندن في الثاني عشر من ايلول من العام نفسه بنقل الصورة الموضوعية للأوضاع في بولندا بها في ذلك حرية الصحافة وفتح الأبواب للمراسلين الأجانب ، وقد أرسلت الحكومة الأمريكية مراسليها من رابطة الصحافة **Association Press)** AS (والصحافة الأمريكية) **United Press)** UP وخدمات الأخبار العالمية (**international News Service** INS(، وقد اعترف قائلا" " بأن هناك حرية في اعتناق الدين ، لكن بالرغم من ذلك أن الأطراف التي لا تتفق مع الحكومة بالكامل ربما لا يمكنها التعبير عن نفسها علنا". [53] "

وقد أضاف بتردد ، أنه لا يمكنه نقل الاقتباس من ميكولاجيك أن الأحزاب الفلاحية والمسيحية ليست قادرة على أنشاء تنظيماتها ولا يمكنها ممارسة حق التجمع ، الا ان موقف مودزلوسكي كان مختلفا إزاء ما أضافه لين ، وهو أن باستثناء القوات المسلحة الوطنية (**National Armed**) وهو على حد قوله تنظيم سري فاشي ، فأن كل الأحزاب والأطراف حرة في نشر وطبع الصحف . [54]

وفي زيارة ميكولاجيك للسفير لين في العشرون من ايلول سلمه ملخصا " لملاحظاته حول الأوضاع في بولندا عن قرب وهو كالاتي :

١- القضية الأكثر أهمية هي على الجيش الأحمر الانسحاب من بولندا ، وأن جماعة حكومة لوبلن [55] لا يرغبون بالضغط على الحكومة السوفيتية للانسحاب رغم التعهد الذي قدمه ستالين في بوتسدام وأضاف بأن من الواضح أن الأقلية الشيوعية غير مهتمة بسحب القوات السوفيتية .

٢- أن حكومة لوبلن غير مكترثة لعودة النازحين والجيش البولندي في لندن الى بولندا ، فقد اعلنت الصحافة الشيوعية ليس في بولندا فقط وإنما في فرنسا بأن الولايات المتحدة تمنع البولنديين من العودة .

٣- بالرغم من جهود الحزب الحاكم في الحكومة البولندية بالاستفادة من ميكولاجيك في شق حزب الفلاحين ، ولكن كما بين الأخير بأن الشعب لا يمكن خداعة ، وأن أتباعه لا يزالون يدعمون كل الفلاحين في البلاد .

٤- أكد ميكولاجيك انطباعاته حول السياسة التي اتبعتها حكومة لوبلن وهي خلق الريبة سياسيا" والفوضى اقتصاديا وبأنها تعمل على سياسة ترهيب السكان من خلال شرطة الأمن . [56]

٥- فشلت محاولة الاتحاد السوفيتي في الهيمنة على الأسطول البحري البولندي ، بإهدائها (٢٣) سفينة تضم ضباط سوفييت ، وألغي احتفال كان معدا" في مدينة غدانسك لهذا الغرض ، وبالتالي أدركت الحكومة السوفيتية أن الإصرار البولندي على الاستقلال سيمنع الهيمنة على الأسطول البحري البولندي ، وأن الوضع في بولندا يتبع نفس النمط في بلغاريا ويوغسلافيا وأن بولندا هي نقطة التحول ، لهذا السبب كان يأمل ميكولاجيك بأن حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا ستقفان بقوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتصران على استقلال بولندا وأجراء انتخابات حرة فيها. (57)

من خلال ما ذكر أعلاه ، كان ميكولاجيك متفائلاً بأن الوضع سيتطور لصالحهم وخاصة أذا لم يفقد الشعب البولندي والادارة الأمريكية الاهتمام بالوضع ، هذا الى جانب وبحسب اعتقاده أن الكتلة الشيوعية في الحكومة البولندية وفي الحكومة السوفيتية تأمل بأن الشعب الأمريكي كما حصل بالسابق سيفقد الاهتمام بالمسألة البولندية ، وقد ألح في تعبيره عن الأمل بأن حكومتي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تصران على مولوتوف بتنفيذ وعد ستالين في مؤتمر بوتسدام بسحب الجيش السوفيتي من بولندا وقد أضاف أن الحكومة البولندية مختلفة عن بلغاريا ويوغسلافيا لسببين : -

١- أن حجم وسكان بولندا تعطيها فرصة أكبر للمقاومة .

٢- أن السوفييت كانوا يدركون جيداً حجم المشاكل التي يخلقها مليون بولندي حين يتم نقلهم الى الاتحاد السوفيتي أي نوع من الصراع قد يسببه لها البولنديون . (58)

وكما يبدو مما تقدم ، أن ملاحظات ميكولاجيك تركت انطباعا واسعا بأن لديه ثقة بأن الوضع سيتطور لما هو مرضي وهذا بلا شك يبين مدى اهمية الدعم المعنوي من الولايات المتحدة وبريطانيا ، ولتحقيق تلك الآمال يجب أن تقوم الادارة الأمريكية بالضغط بقوة من أجل انسحاب الجيش السوفيتي من بولندا .

ومن جانب اخر فان النفوذ السوفيتي كان مهيمن على الاقتصاد البولندي فالتوابع الاقتصادية للتمدد السوفيتي في أوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية تفاوتت في الأفق والحدة ودرجة السرعة في كل بلد في تلك المنطقة لكن هناك سمات أساسية معينة تؤثر على التطور الداخلي من العلاقات الاقتصادية لكل بلد ، تشترك بها كل الدول ، ولربما التجارب البولندية هي النموذج الأكثر روعة من التغيرات الاقتصادية الناشئة بسبب الهيمنة السوفيتية ، بدليل اقتصادها القوي ، وطبيعة علاقاتها في أوربا الشرقية وغيرها. (59)

تماشياً مع قرار الاتحاد السوفيتي في الإصرار على السيطرة على شؤون أوربا الشرقية ، فقد دعمت الحكومة السوفيتية في بداية تموز ١٩٤٤ جماعة لوبلن ضد الحكومة المنفى في لندن ، وتم أمضاء اتفاق في ذلك الوقت تضمن عمليات تسليم سوفيتية لأغذية ومواد والتي من الواضح ان هدفها كان إسناد فاعلية إدارة لوبلن ، طوال عام ١٩٤٥ ثم أمضاء سلسلة من الاتفاقات بين حكومة لوبلن والاتحاد السوفيتي أثبتت طبيعة مشتركة منقسمة الى العلاقات البولندية في تلك الفترة. (60)

بالاستمرار بسياسة حث الحكومات الصديقة ، اعترف الاتحاد السوفيتي في كانون الثاني من العام نفسه من جانب واحد أن حكومة لوبلن حكومة انتقالية وقد نصت الاتفاقيات الممضية في ذلك الوقت على اعتمادات قصيرة الأجل مع السوفييت ، ومقدار كبير من الإجارة بين البلدين، وتم أمضاء اتفاق آخر في شهر أب من العام نفسه منح اعتراف سوفيتي أحادي الأطراف بحدود بولندا الجديدة ، مما قلص مساحة بولندا بنسبة ١-٥ من مساحتها ما قبل الحرب لكن هذا في الغالب تم ترجيحه من قبل مراكز الصناعة السوفيتية المتطورة ، بان مساحة بولندا بذلك الانكماش حصلت على احتياطات أكبر لبعض الموارد الطبيعية التي حصلت عليها بولندا في الأراضي التي تشغل غرب نهر اودر – نيس ، وأضافت إمكانيتها الصناعية ضعف ما كانت عليه في السابق كانت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه التطورات المعنية ذات فائدة للمصالح البولندية على المستوى البعيد والقريب ، تبدو أنها متماشية مع الأهداف السوفيتية السياسية.[61]

وبموجب اتفاق شهر اب والذي نص على عدة شروط كان اهمها تعويض السكان ممن هم من أصول المانية المتبقين في الأراضي البولندية الجديدة ، وأن ترسل بولندا شحنات سنوية من الفحم الى الاتحاد السوفيتي بأسعار منخفضة كانت الكميات الأولى قليلة ولكن في كانون الثاني ١٩٤٦ ارتفعت الى نسبة (٦,٥) مليون طن سنوياً، على الرغم من عدم توفر السيولة المالية لذلك الاتفاق ،لكن هناك عدة تخمينات حددت مقدار المساعدات التي تلقاها البولنديين لا تصل الى أكثر من (٦٠) مليون دولار ، ونسبة الحكومة البولندية من الفحم قدرت بحوالي (٥٠– ٥٢) مليون طن ، وبعد قبول كشف ميكولاجيك حدد سعر الطن بـ (٢٥، ١) دولار عندما كانت تتراوح أسعار السوق العالمية بين (١٢ – ١٦) دولار للطن [62]، وهذا يوضح حجم الخسارة للاقتصاد البولندي.

وعلى اية حال ، منح الاتحاد السوفيتي بولندا اعتماداً كبيراً ربما يعادل (٤٥٠) مليون دولار وصلت بين عامي ١٩٤٥ – ١٩٥٥ لـ ٦٢٥ مليون دولار لغرض أنجاز خطة لتحويل بولندا من بلد زراعي الى بلد صناعي – زراعي، وذلك بسبب النزعة الأوربية العامة في تلك المرحلة ، ووفقاً للمؤرخ البولندي انرزج سكرزيبك (**Andrzej Skrzypek**) ، أن حجم الاعتمادات كان مساوياً بل حتى يزيد على الاعتمادات التي كانت ستحصل عليها بولندا من خطة مارشال [63] ، ولم يكن الغرض خدمة الاقتصاد البولندي بل توظيفه للمصلحة السوفيتية.

اتسمت السياسة الاقتصادية السوفيتية تجاه بولندا خلال المدة من(١٩٤٥ -١٩٤٨) بالتصدع ، هذا من جانب ، أما من جانب أخر منحت الحكومة السوفيتية في أذار قرضاً قصير الأجل بقيمة (٢٨) مليون دولار لأجل تسهيل المشتريات البولندية للمعدات في اراضيها الغربية لأغراض إعادة البناء ، أما الاتفاقات الأخرى شملت إلغاء ديون الحرب التي تكبدتها القوات البولندية التابعة للجيش الأحمر وعودة مخزونات منقولة بالقاطرات كان قد صادرها السوفييت منذ عام ١٩٣٩. [64]

فكرت الحكومة السوفيتية أن توسع التجارة السوفيتية مع بولندا والذي كان أمراً مهماً في تلك الفترة ، نتيجة انهيار ألمانيا و بسبب افتقار الصادرات البولندية المعتادة الى الغرب بين عامي (١٩٤٥ – ١٩٤٦) كانت الواردات البولندية من الاتحاد السوفيتي عادة مواد خام ومعدات مطلوبة لتجديد الاقتصاد المدمر ، اما صادراتها الى السوفييت كانت على الأغلب مواد خام وبضاعة مصنعة من وارداتها ، عندما تم إعادة بناء الروابط التجارية التقليدية مع الغرب ، انحدرت التجارة البولندية السوفيتية بنسبة محدودة ، مع هذا مقارنة بأرقام ما قبل الحرب .[65]

مقابل هذه الخلفية للعلاقات الاقتصادية بين بولندا والاتحاد السوفيتي في تلك المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، كذلك حصل بناء للاقتصاد البولندي بالإضافة الى إعادة تنظيمه الهيكلي ، وبالطبع عكست بشكل كبير تأثيراتها الأيديولوجية الموافقة للمدد السوفيتي. [66]

عزمت الادارة الامريكية بجدية على مساعدة بولندا وإعادة أعمار الاقتصاد البولندي بسرعة وازدهاره أما فيما يتعلق بقروض (ايكسيم بانك) الى بولندا وإقراضها مساعدة مالية لتحقيق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهدافها ، أن سياسة البنك الاستثمارية هي جزء من سياسته الاقتصادية الخارجية العامة ، التي تهدف الى حرية نمو حجم التجارة الخارجية الثنائية والمتعددة والحركة الحرة نسبياً لرأس المال على أساس عدم التميز ، وكانت رؤية الخارجية الأمريكية أن الوضع آنذاك في بولندا أصعب وأنه في الأشهر القليلة القادمة ربما لن يكون من السهل تجنب اتفاقات التعويض والأفعال التميزية الأخرى ، والاعتبار المهم هو أن مثل هذه الترتيبات يجب أن تمنع مشاركة بولندا في أي اتفاقية ثنائية توضع لتحقيق الأهداف الواردة في المادة السابعة من اتفاقيات القروض والتأجير التي تم إبرامها مع معظم دول الأمم المتحدة من ضمنها بولندا ، وكانت تلك بمثابة صمامات الأمان للمساعدة الأمريكية لبولندا .[67]

أن العلاقات الاقتصادية الوثيقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبولندا لم تتطور ، والمعونة المالية لها بقيت صغيرة ما لم تكون بولندا مهيأة لفترة انتقال بعيداً عن التميز في التجارة والاستثمار ، وخاصة الاستمرار في الموافقة على ذلك للأفراد والهيئات الأمريكية ومعاملتها بصفة التفضيل كما هو ممنوح للأفراد والهيئات من أي بلد أخر فيما يتعلق بكل أشكال النشاط التجاري والالتزام بمعاهدة في الخامس عشر من حزيران عام ١٩٣١ خاصة انها لم تمنح اي امتيازات حصرية في الاقتصاد الوطني البولندي ، وحبذت أن توافق كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية وبولندا على الدخول في مفاوضات لتحقيق الأهداف الواردة في المادة السابعة من اتفاقيات القروض – الإيجارات ويجب على بولندا تقديم ضمانات بأنه أثناء الفترة الانتقالية المذكورة أعلاه ، ستتجنب خلق أي عوائق أمام التجارة غير تلك التي تكون ذات طبيعة طارئة ومؤقتة سواء على شكل تعريفه أو تقييدات في الكمية أو السيطرة والرقابة للعملة أو التميز أو إجراءات أخرى تكون أكثر تقييداً للتجارة أو ذات عبأ أكبر من تلك الموجودة في تلك الظروف [68] ، وبدوره كلف السفير لين بإيصال تلك المذكورة أعلاه للحكومة البولندية ، و يجب أن يؤكد على حقيقة رغبة الحكومة الأمريكية برؤية مشاركة متزايدة لبولندا في الاقتصاد العالمي وقد اوماً أيضاً الى أن تنفيذ بولندا لكل ما مطلوب منها بصورة طبيعة سيكون له أثر مهم على الموقف الأمريكي نحو أي طلبات من بولندا للمزيد من المساعدات. [69]

بدأت المفاوضات بين الجانبين الأمريكي والبولندي للحصول على قرض في واشنطن ، وقد ترأس الوفد البولندي المفاوض من خلال المندوب الدكتور لودوج راجشمان (**Ludwig Rajchman**) [70] الذي خاطب قسم أعادة التأهيل والإعانة (UNRRA) ضمن توجيهات له من حكومته في كل ما يتعلق بالاعتمادات المباشرة من البنك الدولي بمقدار (١٩٠) مليون دولار زائداً قرض أعادة الأعمار البالغ (٥٠٠) مليون دولار [71] ، وقد أشارت وزارة الخارجية الأمريكية الى أن البنك الدولي سيكون متواجداً لتجهيز البعض من احتياجات بولندا الائتمانية ، وأضافت أن الأرقام التي قدمها راجشمان قريبة من المعلومات التي قدمها الوزير هيلاري مينك في مؤتمر بوتسدام . [72]

ومن جانب اخر حث راجشمان تكراراً الوزير مينك على السفر للولايات المتحدة لتدعيم العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، بينما أرسلت الولايات المتحدة من جانبها بعثة مكونة من ستة أشخاص الى بولندا للقيام بجرد شامل لاحتياجات برنامج بولندا لإعادة الأعمار ، كان راجشمان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يأمل بأن تزود الحكومة الأمريكية جيشها بالخبراء والنقل بالشاحنات لتنظيم الخدمات ، لأن الحاجة العاجلة في أعادة الأعمار في وارسو هي إزالة الأنقاض ، وانه سيكون أمراً جيداً لو أن الجيش الأمريكي بمعداته يقوم بتنظيف المدينة [73] ، ولكنه لم يجد اجابة لتلك التأملات البعيدة المنال .

وعلى الرغم من ذلك بقي الوضع الاقتصادي متذبذباً في بولندا بعض الشيء ، وذلك بسبب النقص في معدل العملة وسياسة الحكومة البولندية التي انتهجتها في تلك الفترة في تأميم الملكية واستحالة عمل التجارة الخاصة ، ففيما يتعلق بسياسة تأميم الممتلكات أن كل أملاك الألمان التي استعملت لنفس الاغراض كما قبل الحرب تمت أعادتها للمالكين اما الممتلكات التي تم تحويلها الى استعمالات أخرى تم تحسينها بشكل افضل ولا يمكن إعادتها ، رغم انه اجراءً قاسياً على املاك غير المسؤولين عن أفعال الألمان في أحداث التغييرات عليها ، ولو أن الحكومة البولندية صادرت أملاكهم فيجب عليها تقديم التعويض الكافي ، كما ذكر بيروت أن الصعوبة التي واجهت الحكومة البولندية بعد مغادرة الألمان هي معاناتها من عدم التنظيم وأن السياسة الوحيدة الممكنة للحكومة هي الاستيلاء على كل أملاك المملوكة للدولة أو الخاصة ، وقد أعيدت الأملاك الخاصة للمالكين بعد تسليم وصل يدل على أثبات ملكيتهم . [74]

أما بشان معدل العملة ، اشار بيروت أن الحكومة البولندية تعاني من ضعف خبرتها في المجال الاقتصادي ، لذلك يجب أن تؤجل قضية معدل العملة انتظاراً لبدء خروج الصادرات من بولندا ، أما الحوالات المالية الآتية من الولايات المتحدة الأمريكية فأنها ستفتح لها سجلات خاصة بها لاستلام المبالغ ، وبالتالي تمكن الحكومة البولندية من شراء المواد محلياً من مخازن الحكومة بأسعار تفضيلية مع تسجيل قيمة الدولار للمشتريات مقابل الحوالات الى أن يتم تصفيتها ، وقد اعترف بيروت بأن هذا سيكون افتراضاً أنشاء معدل تبادل العملة رغم أن المعدل الفعلي سوف لن يتم تحديده بالذات وأضاف أن الحكومة لا تود الاعتراف بوجود معدل سوق سوداء وأن عملة الزلوتي البولندية مرتبطة بـ (الروبل) عملة الاتحاد السوفيتي وأن سياسة الحكومة الاقتصادية البولندية مسيرة ومسيطر عليها من الشرق. [75]

في غضون ذلك أصبح لين أكثر إحباطاً بسبب سياسة الحكومة البولندية الاقتصادية خاصة معدل التبادل الغير منصف وهذه الاستعدادات للتأميم الصناعات الغير حكومية ، أخبر رئيس الوزراء اوسبكا أن الولايات المتحدة كانت منزعجة جداً بخصوص سياسة الحكومة البولندية الاقتصادية والمالية [76] . لذلك أكد السفير لين ، أن من الضروري للأمريكان الذين يزورون بولندا مثل رجال الأعمال والمراسلين أن توجد لديهم وسيلة للحصول على العملة ، بالمقابل رد بيروت على ذلك ، أنه ربما يتم أنشاء محاصصة للعملة الأجنبية خاصة بالسفارة ويمكن تخصيصها للأمريكان الزائرين ، ولربما هذا يكون غير ملائماً بسبب عدم قدرة الحكومة الأمريكية على الحصول على معدل عملة لتغطية مصاريف السفارة الأمريكية ، وعليه أقترح لين القيام بترتيبات في السوق المفتوحة بالتضامن مع وزير المالية البولندي هيلاري مينك . [77]

على اية حال ، أكد السفير لين على التأثير المخيب على العلاقات الأمريكية – البولندية لو استمر تدهور الاقتصاد البولندي بذلك الشكل الفوضوي ، لذلك طلب بيروت منه التأكيد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للإدارة الأمريكية أن الحكومة البولندية ستنتهج سياسة اقتصادية مقاربة ً لسياسة الولايات المتحدة .[78]

وفيما يتعلق بالأوضاع السياسية في بولندا لم يكن هناك أي حرية للصحافة في بولندا ، وأن جميع الصحف لا تسير ضمن سياسة نشر مشتركة الى جانب الحكومة ، علاوة على ذلك ، موجة الاعتقالات السياسية والتي لو كشفت للجانب الأمريكي فأنه سيخلق وضعاً مربكا تجاه الحكومة البولندية ، والذي لا يبدو أنه يضمن حق الأحزاب المعارضة للحكومة في أن تكون لها حقوق متساوية في الانتخابات المقبلة ، هذا الى جانب استمرارية وجود الجيش الأحمر في بولندا ودمج السوفييت في الجيش البولندي وهو أمر غير ملائم ، كانت تلك أهم الملاحظات التي سجلها لين إزاء ما شاهداه في بولندا .[79]

رد بيروت على تلك الملاحظات ، أنه من بين (١١٠) صحيفة في بولندا (٢٠ %) هي للكاثوليك وهم معارضون للحكومة ، و الحكومة لا ترضى بالهجمات التي تقوم بها بعض العناصر الفاشية والتي تحاول تدمير الحكومة البولندية المؤقتة ، وأن استعمال مصطلح (فاشي) هو مرن جداً إزاء هؤلاء يقصد بهم أعضاء من الساناكجا ([80] **Sanakja**) الذين يقاتلون الحكومة البولندية المؤقتة بالسلاح ولهم اتصالات مع حكومة لندن ، عرف عنهم بأنهم فاشيون وأفكارهم السياسية مناقضة للحكومة ، هذا بالإضافة الى احتجاج الحكومة البولندية ضد التساهل من جانب السلطات السوفيتية تجاه الضباط والجنود السوفييت الذين اقترفوا أعمال عنف ، وطلبت الحكمة البولندية من الحكومة السوفيتية تجهيز ضباط لتدريب الجيش البولندي، لأن ١٠ % من الضباط في الجيش البولندي هم من الروس واوما بيروت بأنه يجب على بولندا الاعتماد على الصداقة مع الاتحاد السوفيتي ، لأنه في بعض الأحيان تتعرض هذه العلاقة للتوتر بسبب الضغوط الحاصلة على بولندا ، لذلك قال : " أن الصداقة مع الاتحاد السوفيتي لا تقصي الصداقة مع الولايات المتحدة ،و أن غالبية الشعب البولندي يرغب بالانصهار في النمط الأمريكي سياسياً واقتصادياً. [81] "

عموماً ، فان استمرار الوضع الفوضوي في الاقتصاد ، وانعدام الحريات الشخصية قد تخلق في النهاية وضعاً خطيراً في الولايات المتحدة تجاه بولندا ، فقط رفض الكثير من البولنديين السكن في بروسيا الشرقية بسبب القوات السوفيتية وإطلاقها النار ليلاً في شوارع وارسو، وهذا يؤكد أن هناك خوف وقلق كبير على مستقبل الاقتصاد في بولندا. [82]

في الثامن والعشرين من ايلول من العام نفسه زار هيلاري مينك السفير لين ، وأكد له أن بولندا ستوافق بكل تأكيد على الشروط الأمريكية ، وقد قررت الحكومة البولندية تعيين مينك ممثلاً لها في التفاوض حول التدابير الاقتصادية والمالية مع الولايات المتحدة .[83]

وفي مقابلة أجراها بيرسون اندروود (**Pierson Underwood**) مسؤول شعبة اقتصاد مناطق الحرب في الاول من تشرين الاول ، أوضح فيها اراء الحكومة البولندية المؤقتة من خلال مندوبها راجشمان فيما يتعلق بحاجتهم الأكثر إلحاحاً ، أولا : هي اصلاح وإعادة تجهيز موانئ بحر البلطيق ، لأنها تضررت بشدة أثناء الحرب وهي بحاجة الى الرافعات والمنشأة الأساسية لرسو السفن ، ثانياً : السيارات الخاصة بالسكك الحديدية فلدى البولنديين فحم فائض يرغون إرساله للخارج أما للحصول على العملة الأجنبية أو بالمقابل مع سلع مطلوبة أخرى ولكن سوء واختناق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المواصلات تمنعهم عن ذلك بشدة ، وبهذا الخصوص ذكر راجشمان بأنه لا يرى كيف يتم إمداد إيطاليا بالفحم بحراً او براً ، وفي ظل تلك الظروف مقترحا شحن الفحم الى استراليا لأنها نسبياً قريبة من حقول سيليزيا . [84]

لقد اشار راجشمان الى موضوع الاعتمادات المالية ، وأن بولندا ترغب بالحصول على قرض ابتدائي بمبلغ (٣٨٠) مليون دولار سيتم دفع (١٩٠) مليون دولار منها على شكل صادرات زائداً قرض إجمالي نهائي بمقدار (٧٠٠) مليون دولار وان هذه المعونة الاقتصادية لبولندا ستكون طبقاً لاتفاقية بوتسدام [85] ، وتناول كذلك موضوع تعيين الجنرال كارلوس دروي ([86] (Charles Druryمدير للبعثة (UNRRA) في بولندا ليس لأنه لم يكن أمريكياً بل كندي ، وأن الحكومة البولندية ستوقف الموافقة الرسمية على تعينيه الى أن يتم أعلام الحكومة بأسماء نوابه الأثنين ، وقد ذكر دونالد غلباترك ([87] (**Donald Gilpatric** أن الفشل لحين تلك الفترة في أن تحصل الولايات المتحدة الأمريكية على مناصب للأمريكيين في الـ (UNRRA) أمر خطير وجدي وبأنه يجب أن تتعجل في معالجة ذلك في المستقبل القريب . [88]

في الثاني من تشرين الأول زار السفير لين الوزير مينك في مكتبه وبرفقة المارشال ماك دوفي(**Mac Duffie**) من وزارة الدفاع (لجنة التصفية البحرية) الذي أتى الى وارسو من أجل المساعدة في توزيع الممكن من الممتلكات المتبقية من الحرب على بولندا وقد التقيا بالمارشال رولا – زيميرسكي في مكتب مينك وفي ذلك الوقت ، أعد زيميرسكي طلباً عاجلاً من أجل قرض لشراء تجهيزات للجيش البالغ عدده في ذلك الوقت (٣٥٠) ألف شخص وبدا على زيميرسكي علامة الاندهاش حينما أخبره ماك دوفي أن هذا كان الطلب الأول الذي تم تقديمه الى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل التجهيزات الفائضة التي كان الغرض منها الحفاظ على الجيش [89]، وقد أخبر مينك السفير لين أنه كان ينوي أن يطلب من البنك الأمريكي للاستيراد والتصدير قرضاً طويل الأجل لأجل الإصلاح بقيمة (٥٠٠) مليون دولار ، وقد حاول لين استغلال رغبة الحكومة البولندية للمساعدة الاقتصادية ويستغله كوسيلة يظفر من خلالها بتنفيذ التعهدات البولندية في مؤتمري يالطا وبوتسدام [90]أي أجراء انتخابات حرة .

وطبقاً لذلك ، طلب السفير لين تحديد موعد مع الرئيس بيروت في الثالث من تشرين الأول [91] ليخبره بصراحة تامة عن التطورات السياسية في بولندا والتي تسبب له حالة من الإحباط المزمن وكان أهمها ثلاث عوامل سلبية في تلك التطورات : -

١- عدم وجود احتياطي مناسب من العملة ، وهذا الموضوع على قدر كبير من الأهمية من الناحية العلمية ، فقد منحت الإدارة الأمريكية معدل (١٥٠) زلوتي للدولار في شهر أيلول ، وعلى أساس ذلك اقترحت الإدارة أنشاء مخزن حكومي يمكّن الدبلوماسيين الأمريكيين الشراء منه بأسعار مخفضة ، وباعتقاد السفير لين ، هذا ببساطة هو أتباع للخطة السوفيتية في تحديد نشاطات الأجانب وخلق جملة من الصعوبات أمام رجال الأعمال والمراسلين الأمريكيين القادمين الى بولندا ، وإذا لم يثبت توفر احتياطي مناسب فأنه سيفقد عدد كبير من كادر السفارة الأمريكية في بولندا ، وبدوره أكد بيروت بحسب رؤيته أن حكومته لا تريد تبني النظام الاقتصادي السوفيتي ، في محاولة منه لإخفاء سمة القيادة على الحكومة البولندية وأنها كانت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصنع أغلب القرارات الاقتصادية بذاتها خلال تلك الفترة دون أي تدخل سوفيتي .[92]

٢- انعدام حرية الصحافة ، وقد اعتبرت هذه القضية أكثر جدية وخطورة من المذكورة أعلاه ، لكونها تتناقض مع اتفاقية بوتسدام علاوة على ذلك أشارت محادثة مودزلوسكي مع السفير لين في السادس والعشرين من أيلول أن هناك استراتيجية من قبل الإدارة الأمريكية ليس فقط اعتراضه ، وإنما لو نجحت فأنها ستخلق عدد حقيقي في الولايات المتحدة تجاه الحكومة البولندية القائمة آنذاك ومن أجل تحقيق الأفضل اقترح لين على المراسلين أن ينقلوا الحقيقة كما هي حتى لو لم تكن كذلك ، وأن يبتعدوا عن نسخ المعلومات والأخبار التي تشوه الأحداث ، وعليه يتم عدم فرض رقابة على المرسلين الأمريكان ، وأن يستمروا في كتابة التقارير الصحفية بدون أي أعاقة بأي شكل .[93]

٣- أما قضية الاعتقالات السياسية ، فأن هذا الوضع يقرب الحكومة البولندية من الانحراف نحو الهاوية ، ويخلق أجواءً تقترب من الرعب ، فخلال تلك الفترة اعتقل (١٠) مواطنين أمريكان لأسباب سياسية ، هذا الى جانب الآلاف من البولنديين الذين تم اعتقالهم بجنايات سياسية بدون محاكمة ، أن تلك الأحداث بلا شك ستخلق انطباع مخيب جداً على الشعب الأمريكي ، لذلك أقترح لين تأجيل منح (١) بليون دولار كقرض للحكومة البولندية ، فمن وجهة نظره سيعتبر الشعب البولندي التصرف الأمريكي بمثابة قبل للممارسات الغير ديمقراطية .[94]

ورداً على تلك النقاط الثلاث التي طرحها السفير لين ، اعترف الرئيس بيروت بأن تلك الشكاوي مشروعة جداً ، وأن عدم وجود معدل معقول للعملة تأثيرات جدية على المفاوضات من أجل الحصول على القرض ، أما بالنسبة لوضع المراسلين فقد أكدت التطمينات السابقة ، وأنهم أحرار في نقل ما يريدونه ولكنه يأمل بأن تكون تقاريرهم أكثر موضوعية ، أما موقفه من الاعتقالات ، فقد وعد بيروت التحقيق فيها فوراً وخصوصاً الحالات المذكورة أعلاه [95] هذا الى جانب التحقيق في الاحتجاز العسكري لتاديوس هالبيرت فولبير السكرتير الخاص لـ بادروسكي والذي استخدمته إدارة الشحن البحرية (ASW) .

ولرغبة السفير لين في تأكيد كيفية معرفة شعور المجتمع البولندي بشكل عام حول قضية المساعدات المالية للحكومة البولندية ، قام برحلة في عموم المدن البولندية في الثامن من تشرين الأول من أجل استطلاع أراء بعض القادة السياسيين المستقلين من رجال الأعمال في بولندا [96]أمثال البرفسور ستانسلاو كوترزيبا ([97]) (**Kutrzeba** ، والأرشيدوق ادم ستيفان ساپيها ([98]) **Sapieha)** ورئيس الـوزراء السابق وينسنتي واتيوس (**Wincenty witos** ([99]) (والبرفسور زولاوسكي (**Zulawaski)** رئيس الحزب الاشتراكي البولندي القديم [100] ، وقد ظهر اتفاق كبير في الآراء ، وكانت النتيجة ان كادت أن ترتكب الإدارة الأمريكية خطأ فادحاً لو أنها فتحت قرضاً بقيمة نصف مليون دولار للحكومة البولندية ، فجاء الرفض الأمريكي لمنح المساعدة المالية دليلاً على التعاطف الإيجابي مع القضية البولندية ، وبمرور الزمن سوف يقدر الشعب البولندي بوضوح تلك التطورات وسيقدر الموقف الأمريكي تجاه الحكومة البولندية المؤقتة التي لا يدعمها سوى أغلبية صغيرة جداً من الشعب ، هذا من جانب ومن جانب أخر ، شعرت الإدارة الأمريكية بأن الكونغرس مع الشعب في الولايات المتحدة الأمريكية لن توافق على تقديم تسهيلات القرض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لحكومة لم تقدم لشعب بولندا ما يكون ان تقدم مثل حرية الكلام والصحافة التي هي من الأساسيات الرئيسية لمفهوم الديمقراطية .[101]

وقد استمرت مساعي الادارة الأمريكية والحكومة البولندية لاستمرار المفاوضات المتعلقة بموضوع القرض لبولندا في واشنطن وكانت النتيجة النهائية للمفاوضات هي رغبة الحكومة البولندية في أن تشتري بالقرض مواد أعلن أنها فائضة من الجيش الأمريكي ، ولهذا الغرض توجه زيغمونت مودزلوسكي الى باريس في العاشر من تشرين الأول من العام نفسه ، ليقدم طلب الى بنك الاستيراد والتصدير قرضاً بـ (٥٠) مليون دولار لشراء المواد العسكرية الفائضة ، لكن السفيـــــر لين كان متحفظاً إزاء هذا الطلب ، وفي جوهر برقيته المرسلة الى الوزارة الخارجية الأمريكيـــــة ، كان يأمل دراسة هذا الطلب وأن تضع الوزارة في الاعتبار الاقتراحات والتوصيات التي قدمهـــــا اليهم .[102]

وفي الخامس والعشرين من الشهر نفسه صادقت الإدارة الأمريكية على قرض القطن بـ (١٠٠) مليون دولار من أكسيم بانك ، وكانت بولندا على قائمة البلدان التي ستشارك في هذا القرض ، ولكن يذكر يونك **Young**)) الرئيس المساعد لشعبة التنمية الاقتصادية الأجنبية قائلاً : " تلقينا العديد من البرقيات من وارسو في الخامس عشر والثاني والعشرون من تشرين الأول تحثنا على عدم تقديم قرض لبولندا في الوقت الحالي ، سيشعر السفير لين بأننا يجب ان نوضح للبولنديين بأنه ليس هناك قرض الى أن يغيروا سياستهم فيما يتعلق بأشياء مثل حرية الصحافة والاعتقالات التي يقوم بها البوليس السري ومعدل تبادل العملة[103] " ، الى جانب ذلك أردف دوربرو **Durbrow**)) في مذكرته ليونك يوصي فيها بعدم تقديم قرض لبولندا آنذاك .[104]

وفي اطار الموضوع ذاته ، هناك دليل على أن القيادة البولندية كانت تضع أغلب القرارات الاقتصادية بنفسها ، وذلك من خلال الاجتماعات التي عقدت في حزيران من العام نفسه في موسكو حول تشكيل الحكومة البولندية المؤقتة ، فقد أرسل هاريمان [105] رسالة رد الى ادارة واشنطن يبلغهم فيها أن بيروت ومساعديه يحتاجون الى دعم أمريكي معنوياً واقتصادياً ، وأنهم مستعدين لإقامة علاقات أكثر رصانة ، وقد عبر بيروت عن المعدات الملحة لوسائل النقل البحرية والبرية وأرصفة الموانئ ، كما كان يأمل في تجارة أوسع مع الولايات المتحدة من أجل تسديد القروض من خلال صادرات بولندا ، رد هاريمان على بيروت رداً إيجابيا قائلاً : " بعيداً عن إغاثة **UNRRA** كانت الولايات المتحدة تميل بشكل تعاطفي الى مساعدة بولندا من خلال بنك الاستيراد و التصدير .[106] "

في السياسة الخارجية الأمريكية ، أن منح القروض لبولندا متعلقة بضمان شحن الفحم البولندي الى أوربا الغربية من أجل المساعدة في إنعاش اقتصاد الأوربي ، وكانت الإدارة الأمريكية مهيمنة جداً بأن تعويضات الفحم التي كانت تشحن الى الاتحاد السوفيتي يمكن أن تعرض شحنات الفحم البولندي الى أوربا الغربية الى الخطر ، وأردفت ذلك أن هناك قضية قد شغلت مفاوضات القرض البولندي في خريف ١٩٤٥ فقد كان لبولندا أفضلية على هذه الدول (بلغاريا – رومانيا – هنغاريا) التي منحت أهمية بسيطة من قبل الإدارة الأمريكية بخصوص القروض ، لأن تلك البلدان كانت تسدد التعويضات بشكل مباشر الى الاتحاد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السوفيتي ، وعليه كانت الإدارة الأمريكية معارضة لإرسال أية مساعدات الى تلك البلدان التابعة للاتحاد السوفيتي ، أما فيما يتعلق ببولندا كانت الإدارة الأمريكية أكثر اهتماماً بشحنات الفحم المرسلة الى الاتحاد السوفيتي من الأراضي الألمانية والتي تم استعادتها الى بولندا بعد الحرب ، وفي ضوء ذلك هددت هذه التعويضات بالتقليل من الدور الاقتصادي البولندي الذي تأمله ادارة واشنطن .[107]

وفي سياق الموضوع في الثامن من تشرين الثاني من العام نفسه حاور ميكولاجيك دوربرو ، وقد تطرقا خلال ذلك بالتفصيل الى المشاكل الاقتصادية البولندية وكان يأمل ميكولاجيك بإجراء الترتيبات لمنح القروض الى بولندا بأسرع ما يمكن ، وكان مقتنعاً بأن منح القروض من الغرب سيكون أحدى أفضل الضمانات بأن بولندا ستستعيد استقلالها ، وأضاف أن الحكومة السوفيتية قد قدمت الكثير من الوعود المتعلقة بالمساعدات الاقتصادية لبولندا مثال ذلك أنهم سيعيدون بناء نصف وارسو ولكن الحقيقة كانت منافية للواقع فلم يتم تنفيذ أي من هذه الوعود ، ولا يعتقد أنها ستنفذ في المستقبل القريب .[108]

وبناءً على تلك الاعتبارات ، رأى أن من الأفضل للإدارة الأمريكية ولبلدان أخرى في الغرب أن توفر بأسرع وقت لبولندا السلع بحسب شروط القرض ليبينوا مدى اهتمامهم بالشعب البولندي ، وبهذا الخصوص ذكر ميكولاجيك بالإضافة الى المساعدة الكبيرة التي تقدمها إدارة التأهيل (UNRRA) ، فأن الحكومة البولندية يمكنها أن تشتري تقريباً بـ (١٥٠) مليون دولار كسلع أساسية لتبدأ عملية إعادة الأعمار ونبدأ البلاد بالتعافي بالكامل ، وقد ذكر بأن أهم الاحتياجات الأساسية في تلك الآونة هي كالتالي : -

١- الرافعات ومعدات حمل البضائع في الموانئ .
٢- النقل بالسكك الحديد .
٣- شاحنات وسيارات الجيب .
٤- معدات الإنشاء .[109]

شرح ميكولاجيك بالتفصيل ، لماذا وافقت الحكومة البولندية على أن تقدم للحكومة السوفيتية (١٢) مليون طن من الفحم كل سنة ، بعد تأسيس حكومة الوحدة الوطنية المؤقتة بوقت قصير ، اقترحت السلطات السوفيتية تبادل الموجودات في مستودعات النفط في شرق مدينة غاليسيا ([110] (**Galician** والتي كانت سابقاً عائدة لبولندا ، مقابل الموجودات المملوكة لبولندا في الأراضي التي كسبتها ألمانيا في الغرب ، وقد عزز هذا الشرح السيطرة السوفيتية الواسعة على المصانع البولندية مع احتمالات طفيفة فقط في أن تمارس الحكومة البولندية أي نفوذ في صناعتها النفطية في غاليسيا الشرقية ، وقد قاد ميكولاجيك نضالاً من أجل رفض العرض ، وقد نجح في جعل هذا العرض يرفض مقابل توقيع اتفاقية تجارية لتسلم (١٢) مليون طن من الفحم كل سنة مقابل تسليم سلع صناعية من الاتحاد السوفيتي فباعتقاده أن الترتيبات الخاصة بالفحم هي فقط اتفاق على المدى القصير ، لذلك من الأفضل القيام بهذه التضحية للحيلولة دون سيطرة الحكومة السوفيتية على الدوام على الصناعة في بولندا ، وقد أضطر خلالها الى قبول بثمن ضئيل جداً لشحنات الفحم .[111]

ومن أجل تبيان أهم نتائج الاتفاق أعلاه يكون الفحم المباع من الحكومة البولندية الى البلدان الأخرى بـ (٨,٢٠) دولار للطن بينما للحكومة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السوفيتية يكون التسليم بـ (١,٢٠) دولار للطن ولكن على الرغم من ذلك لم تسلم أي بضائع أو سلع من الاتحاد السوفيتي ، وعموماً كان هناك فحم كافي في بولندا لتوفير كميات للغرب ولكن المشكلة الكبيرة تكمن في صعوبة النقل ، ومن وجهة نظر السوفييت ، تستلم بولندا ما يقارب (٣٥٠) مليون دولار كتعويضات من ألمانيا ، وقد ذكرت السلطات السوفيتية أنه بالرغم أنها قد تبنت لضم أجزاء كبيرة من شرق ألمانيا الى بولندا وبما أن هذه المناطق تضم مصانع ومعدات قيمتها (٩٥٠) مليون دولار فأن بولندا قد دفع لها بالفعل ثلاثة أضعاف التعويضات المستحقة لها ، وبالتالي نظرياً يجب أن لا يستلم تعويضات أجزى ، هذا الى جانب أن السلطات السوفيتية لا ترغب بمنع بولندا من الحصول على أية تعويضات لأنه قرابة(٣٥٠) مليون دولار مستحقة كتعويض سيتم دفعها لبولندا ، و ضمن نطاق تلك الرؤية ، أشار ميكولاجيك بأن لو أن الحكومة البولندية تعطي (١٢) مليون طن من الفحم في السنة للاتحاد السوفيتي لمدة خمسة سنوات ، بسعر منخفض جداً فأن الحكومة السوفيتية ستستلم ما قيمته أكثر من (٤٠٠) مليون دولار ، وقد عبر عن أمله بما أنه الحكومة السوفيتية لم تنجز الجزء الخاص بها من الاتفاقية التجارية مع بولندا بإرسالها بضائع صناعية كمدفوعات للفحم حتى بأسعار منخفضة فسيكون من الممكن للحكومة البولندية أن تنهي الاتفاق بسبب عدم إنجاز السوفييت للصفقة .[112]

لعل من الملاحظ أن ميكولاجيك حاول أن ينقذ الصناعة البولندية من السيطرة السوفيتية خلال المرحلة الانتقالية التي تمر بها بولندا من خلال بعض الاعتبارات والأسس في التعامل مع الحكومة البولندية بشأن الفحم البولندي لأجل بناء اقتصاد قوي من جديد .

أبلغ الدبلوماسي دوربرو ميكولاجيك بأن الإدارة الأمريكية بصورة عامة ترغب في تشجيع منح القروض الى بولندا ، وبالإمكان فعل ذلك في حال تم تأدية القضايا المهمة التي تؤكد عليها الإدارة الأمريكية وهي : -

١- معدل تبادل العملة يجب أن يكون متساوي .

٢- إلغاء الاتفاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي ومع بلدان أخرى .

٣- تقديم أدلة ملموسة تبين أن بولندا ستكون قادرة على أنتاج مقدار كافي من السلع لرد قيمة هذه القروض .

٤- إعطاء معلومات دقيقة وصحيحة عن الاستقرار والتطور الاقتصادي في بولندا .

وقد أضاف أن الولايات المتحدة قلقة جداً من جهود الحكومة السوفيتية لتكوين كتلة اقتصادية في أوربا الشرقية بإبرام معاهدات ثنائية تميل نحو إقصاء كل البلدان الأخرى عن الفرصة المتساوية للتجارة في المنطقة ، فهناك نقد واسع في الكونجرس للسياسة الاقتصادية السوفيتية في أوربا الشرقية ولذلك قد يكون من الصعب أن لم يكن مستحيلاً على الحكومة الأمريكية منح قروض لبولندا أو بلدان أخرى في المنطقة الى أن يوضح سياسات البلدان المعينة لا تتناقض مع السياسات الاقتصادية الأساسية للولايات المتحدة الأمريكية .[113]

إزاء تلك الملاحظات ، ذكر ميكولاجيك بأنه يدرك تماماً بأنه قد تكون هناك صعوبات في هذه المسألة ، ولكنه عبر في الوقت ذاته عن قناعته بأن منح القروض من الحكومة الأمريكية سيكون واحدة من أهم الخطوات للتأكيد بأن الشعب البولندي يمكن استعادة استقلاله ، وبحسب رأيه بأنه ما لم يتم الارتقاء بالنقاط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأربعة المذكورة أعلاه ، فأنه سيكون من الصعب جداً منح أي قروض. [114]

في ظل استمرار المفاوضات بشأن إعطاء القروض الى بولندا ، ألح راجشمان في منح القروض الى بولندا في حديثه مع السفير لين في السابع من تشرين الثاني من العام نفسه ، ولكن كما ذكرنا مسبقاً كان السفير لين يناقض نفسه بشدة فعارض منح القروض الى بولندا في تلك الفترة ، لربما كان يأمل أن يستخدمها كوسيلة ضغط سياسية على وارسو لتطبيق التزاماتها وفقاً لاتفاقيات يالطا وبوتسدام بأجراء انتخابات حرة وحرية حقيقية للصحافة وأن توقف الحكومة البولندية الاعتقالات السياسية العشوائية [115] ، ومما يبدو كان السفير لين أهدافه سياسية وقرر أن يتعامل مع طلبات الحكومة في وارسو الخاصة بالقروض كعتلة للتمكن من تطبيق التزاماتها وبالتالي أصبحت ازدواجية واضحة جداً في السياسة الأمريكية تجاه بولندا من خلاله.

وضع راجشمان حلولاً لتلك القضايا بصورة مرضية : -

أولاً : - أن قضية معدل التبادل بالعملة تمكن حله بسهولة من خلال منح الحكومة البولندية قرض غير محدد بعملة الزلوتي حيث يعاد تمويل مقدار منه حالما تصبح بولندا عضو في منظمة تمويل الاستقرار الدولية.

ثانياً : -بالنسبة لحرص الصحافة ، ذكر أن المرسلين الأمريكان أحرار بالكامل لنقل المعلومات حتى لو لم توافق عليها الحكومة البولندية ، والسبب في ذلك الصراحة الكبيرة في العلاقات الأمريكية – البولندية والتي لها تأثير كبير في تسجيل مثل هكذا تحسن في حرية التعبير في الصحافة ومثالاً على ذلك ظهرت العديد من الصحف الجديدة التي بدأت تنشر انتقادات للحكومة في الصحيفة الكاثوليكية تاكودنك بوشتي (**Tygodnik Powszechny**) [116] .

ثالثاً : - فيما يتعلق بقضية الاعتقالات السياسية أدعى راجشمان أنه ليس لديه أي معلومات حول تلك الاعتقالات ، ولكن جاكوب بيرمان (**Jakub Berman**) [117] اعترف للسفير لين بأن هناك بالفعل اعتقالات لأسباب سياسية قد وقعت ، وأنه من غير المنطقي عدم محاسبة المخالفين وهذا سوف يكون له أثار سلبية على العلاقات الأمريكية البولندية في تلك المرحلة. [118]

أبرقت الإدارة الأمريكية الى السفير لين في التاسع من تشرين الثاني من العام نفسه ، جوهرها التأكيد على المسائل الاقتصادية التي لها صلة بمفاوضات قرض أكسيم بانك مع الحكومة البولندية ، لأنها أحد الأغراض الرئيسية من تقديم القروض هو ترويج السياسة الاقتصادية للخارجية الأمريكية لزيادة مصالحها الاقتصادية [119] ، ميدانياً ، كان السفير لين متفق مع الإدارة الأمريكية في هذا الجانب ، ولكن عندما طالبت الحكومة البولندية بمنحها قرض نصف بليون دولار ، أصبح الوضع غير منطقي وله مضامين بعيدة المنال ، حاول لين أن يبرر موقفه المتناقض والمتشدد للإدارة الأمريكية فقدم عدة دلائل ازاء عدم تزويد القروض لبولندا ، وهي كالتالي : -

١ - الحكومة البولندية أنذاك هي حكومة مؤقتة بحسب قرارات يالطا وبوتسدام ، وهي التي ستقوم باستلام القروض للأغراض البعيدة المدى التي ربما لا توافق عليها حكومة تتشكل بعد إجراء الانتخابات القادمة.

٢ - طالما الاقتصاد البولندي مبني على أساس التوجهات السوفيتية فهناك أمل ضعيف في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عمليات التجارة الدولية المألوفة في بولندا ، واحتمال ضعيف أن تكون الدولة المقترضة قادرة على العمل وإرجاع القروض .

٣ - أن اعطاء القروض في ذلك الوقت الذي تحدث فيه نشاطات إرهابية من جانب شرطة الأمن البولندية ووكالة الشرط السرية السوفيتية (N . K . V . D) في عموم بولندا سيدل على القبول من الجانب الأمريكي لأعمال الحكومة البولندية والسوفييت ضد حرية التعبير والحريات الإنسانية .

٤ - تدل التطورات السياسية المحلية في بولندا كما توجهها مجموعة المحكمة التي تسيطر عليها السوفييت بأن هناك اتجاه نحو القائمة المنفردة في الانتخابات ، وبالتالي التخلص من أولئك الذين لا يوالون الحكومة ، وتحديد عدد الأحزاب الى ستة وإعلان أن حزبي الاشتراكي البولندي (PPS) والعمال البولندي (PPR) سيتحدان في الانتخابات ومن الاستحالة الحصول على استخدام أو إيواء إمدادات (UNRRA) ألا في حالة السوق المفتوح لأولئك الذين لا ينتسبون للحكومة أو للأحزاب التي تسيطر عليها الحكومة .

٥ - الحكومة البولندية المؤقتة لم تكن فارضة لسيادتها في عموم بولندا هذا الى جانب أنها تحتاج الى الجيش الأحمر لتفرض سيطرتها وتبقي في السلطة ، وعلى الأرجح أن الإدارة السوفيتية كانت ترغب بمثل هكذا حكومة تجعلها ألعوبة لسيطرة السوفييت فعليا ً واستمرار ، وبالتالي ليس من المنطقي اعطاء أي قروض في ظل تلك الظروف لأنها بديهيا ً ستكون تحت سيطرة السلطات السوفيتية التي كانت ولا تزال مستمرة بنقل عبر الجانب الشرقي ، بواسطة القطارات شاحنات من كميات هائلة من المواد من بولندا باتجاه كل من الغرب وشرق نهر اودر.[120]

وفي السياق ذاته زار السفير لين الرئيس بيروت في الرابع عشر من تشرين الثاني [121] لينقل له رؤى الحكومة الأمريكية بشأن البعثة الاقتصادية البولندية في واشنطن برئاسة راجشمان ، ووضح له أن منح القروض الأمريكية يجب أن تحصل على أجماع من الكونغرس الأمريكي ، وبالتالي أن أدرك الأمريكيون بالعمليات المنافية للديمقراطية والتي تمارس في بولندا فأن غضبهم سيؤثر على موقف الإدارة الأمريكية ، هذا بالإضافة الى اهتمام الإدارة الأمريكية بأجراء انتخابات حرة وغير مقيدة في بولندا ، ولكن لا يكون ممكننا في ظل تلك الظروف مع وجود الجيش السوفيتي في بولندا .[122]

إزاء تلك الرؤى رد بيروت ، قائلا : " أن كان يجب على بولندا قبول نشاط القوى المتحالفة في الشؤون الداخلية لبولندا كثمن للمساعدة الاقتصادية فأن بولندا تفضل أن لا تحصل على مساعدة كهذه ، وأن الحكومة البولندية على علاقة وثيقة بالاتحاد السوفيتي وهي مدينة لها ، وليست في وضع يمكن أن تطلب انسحاب القوات السوفيتية ، أما فيما يتعلق بأجراء الانتخابات ، مقارنة مع كلاً من هنغاريا ورومانيا قد أجريت انتخابات حرة في ظل وجود جيش الاحتلال.[123] "

في نفس اليوم التقى جومولكا بالرئيس ستالين في محاولة منه لمعرفة والموقف السوفيتي تجاه بعض القضايا في بولندا والتي أهمها : -

١- اعتماد قانون التأميم للصناعة البولندية .

٢- السماح للاستثمار الأجنبي في بولندا في شكل تنازلات سياسية .

٣- تسوية مسألة تيشين (**Teshin**) مع جيكوسلوفاكيا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيما يتعلق بالنقطة الأولى ، أكد ستالين بأن الوقت قد حان لاعتماد هذا القانون في بولندا بعد اعتماد أدوراد بينتش ([124] **Eduard Penes** لمثل هذا القانون في بلاده ، أما النقطة الثانية كانت أكثر أهمية وقد عدها ستالين خطيرة جداً ، وعليه يجب أن تدرس بعناية شديدة من قبل الحكومة البولندية ، لأن السماح بأي استثمار اجنبي يجب أن يكون من دون أدنى نوع من أنواع الشروط التي من شأنها أن تحد من حقوق بولندا بالاستفادة من الاستثمارات الاقتصادية ، والنقطة الثالثة لم ينصح ستالين بمتابعة تلك المسألة وذلك بعد أن تلقى إقليم سيليزيا كمية من فحم الكوك ، لم يعد لبولندا أي حجة لنقل مدينة تيشين الى بولندا ، وفي ضوء ذلك لا يمكن لحكومة الاتحاد السوفيتي أن تدعم البولنديين في هذه المسألة المثيرة للجدل ، وعليه إعادة تأسيس علاقات جديدة وجيدة مع تشيكوسلوفاكيا . [125]

من الممكن القول ، أن تلك المقابلة أتسمت بطابع أكثر جدية في اتخاذ القرار من الجانب البولندي وبين مدى قوة التأثير للحكومة السوفيتية على السياسة الداخلية في بولندا خاصاً في السنوات الأولى التي تلت الحرب .

مبدئياً ، اتفقت وزارة الخارجية الأمريكية مع السفير لين في كل ما يتعلق بالتطورات المعقدة والمتغيرة في بولندا ، اما فيما يتعلق بالمشاكل الاقتصادية ففي الرابع والعشرين من تشرين الثاني من العام نفسه أرسل بيرنز برقية الى السفير لين ، قال فيها : " لا أتوقع في ظل الظروف الحالية أننا سنكون في وضع منح أي قروض على نطاق واسع الى بولندا في هذه المرحلة ، من جهة أخرى ، نعطي اهتمام لأن نوفر بصورة رئيسية من الفائض الموجود لدينا من السلع والشاحنات وكذلك الموانئ ومعدات حقلية. [126] "

من خلال ما تقدم ، يتضح انه من الصعب التمييز بين الرأي الشخصي لبيرنز والخط الرسمي لسياسة وزارة الخارجية الأمريكية ، فمن المرجح أن تعليق بيرنز على قدرة الإدارة الأمريكية لمنح القروض يمكن أن يكون كناية تمويه نفيه من المساعدات ، وعلى الرغم من ذلك أقترح على وزارة الخارجية الأمريكية النظر في تمويل في ظل ظروف سياسية مواتية أكثر في بولندا . [127]

ولكن لا يمنع أن تستنبط الإدارة الأمريكية فكرتها الأولية بشأن القروض الى بولندا والتي لا تزيد في بداية الأمر عن مبلغ (٢٥) مليون دولار ، بشرط موافقة السفارة على تلك المشاريع ، كما كان هناك اقتراح أن يكرس مبلغ ليس أكثر من السابق لمشروع إعادة أعمار أحد الموانئ المتميزة هذا بالإضافة الى حصة بولندا في قرض القطن القصير الأمد من بنك الاستيراد والتصدير ، والسبب في ذلك أن هناك قناعة نسبية أن مثل هذا البرنامج سيكون له دور في المحافظة على دور الولايات المتحدة هناك وذلك لتعريف الشعب البولندي بالاهتمام الفعلي والحقيقي للولايات المتحدة الأمريكية بإعادة الأعمار في بولندا مع عدم تقليل النفوذ السوفيتي في بولندا [128]وبالمقابل وافق لين على تلك المقترحات وأكد أنها سوف لا تساهم فقط في إقامة روابط وثيقة مع بولندا وإنما تجد من الهيمنة السوفيتية على موانئ ستيتن (**Stettin**) وغيدينيا (**Gdynia**) وغدامستك **Gdansk** [129].

أما فيما يتعلق بقضية قرض القطن القصير الأمد، لم يوافق لين لأن باعتقاده الشخصي أن منتوجات القطن ستصل الى بولندا بغض النظر عن أولويات الترشيد ،هذا بالإضافة الى استعمال الحكومة البولندية الضغط الاقتصادي لإقناع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السكان للانضمام الى حزبي العمال البولندي (PPR) والاشتراكي البولندي ((PPS من خلال إصدار بطاقات ترشيد ذات أولوية من الدرجة الأولى لأعضائهم [130] ، وقد أكد لين أمراً هاماً للمارشال زايمرسكي في التاسع والعشرين من تشرين الثاني حول عدم قدرة الإدارة الأمريكية على تقديم القروض للجيش البولندي ، وذلك لنشاطات الشرطة السرية التي تسببت في الكثير من الاعتقالات والإرهاب الذي أثر على المواطنين الأمريكان والذي بدوره يؤثر بصورة سلبية على الحكومة الأمريكية . [131]

واللافت للنظر أن زايمرسكي بالرغم من اعترافه بتلك الانتهاكات والاعتقالات لكنه شجـــــــع استمرارية هذه الإجراءات وذكر أنها ضروريـــة ، مبرراً ذلك بمحاولات الجنرال نيديسلاو اندرياس (**Nladyslaw Anders**) [132] المدعومة من الحكومة البريطانية لتحطيم الانضباط في الجيش البولندي وبالتالي تشجيع التمرد المسلح في بولندا ضد حكومة الوحدة الوطنية . [133]

وقد هاجم المارشال زايمرسكي بأسلوب لاذع السياسة البريطانية بسبب عدم إعفاءها أندرياس من مهامه بل على العكس زادت في منزلته بالسماح للقوات البولندية بالذهاب الى فلسطين لأسباب سياسية للقتال مع العرب ضد اليهود ، وقد أضاف أيضاً لو كانت القوات البولندية تحت أمرة الحكومة البريطانية فلن يكون هناك أي اعتراض ، ولكن القوات البولندية تعمل تحت قيادة الحكومة البولندية ، وعلى الرغم أن شخصية أندرياس غير محبوبة لدى السلطات البريطانية ألا أنه يبدو صديقاً أكثر للأمريكان ، لأنهم لا زالوا يذكرون برقيته التي هنأ فيها الجنرال أيزنهاور بعد تعيينه رئيساً للأركان وتعبيره عن الأمل بأن يعمل ضابط الجيش الأمريكي كمدربين في المدارس العسكرية البولندية . [134]

وبالرغم من الموقف المتشدد الذي كان يتبناه لين ضد فكرة اعطاء القروض الى بولندا لأسباب ذكرت مسبقاً ، لكن الحكومة البولندية لم تتوانى بتقديم المناشدات الطويلة لمنح القروض الكافية من الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد طالب جانيس زولتوسكي (**Jonus Zoltowski**) القائم بأعمال السفارة البولندية في واشنطن بتقديم طلب رسمي للقروض بحسب الخطوط التي أقترحها مساعد رئيس الوزراء ميكولاجيك [135] عندما تحدث مع الرئيس ترومان في التاسع من تشرين الثاني [136] ، وقد التقى دولتوسكي بنائب وزير الشؤون الخارجية وليام كلايتون (**William Clayton**) . [137]

وأنضم أليهم راجشمان الذي بدوره شرح بصورة مفصلة عن حاجات الاقتصاد البولندي ، وأكد أم بولندا تحتاج الى (٣٠) ألف عربة قطار لحمل شحنات الفحم ، هذا بالإضافة الى حاجتها الى المكائن لإنشاء الطرق والموانئ ، وقد ألح كثيراً لتقديم القروض الكامنة لشراء هذه السلع من الولايات المتحدة ، وقد تم تحويل راجشمان من قبل الحكومة البولندية لتقديم النصح للإدارة الأمريكية بصورة غير رسمية بأن الحكومة البولندية سوف تعلم السفير لين بأنها على استعداد لإصدار كافة التعهدات والالتزامات بشأن السياسة الاقتصادية تأكيد الفقرات المادة (٧) من اتفاقية القروض والتأجير وأضاف أن الحكومة البولندية لم ولن تقوم بأي ترتيبات مع أي بلد أخر ليكون لدينه حق الامتياز في القضايا الاقتصادية وقد وضح أن الحكومة السوفيتية حاولت أن تتوصل الى اتفاقية مع بولندا لتعطيها امتيازات أكثر ، ولكن الحكومة البولندية رفضت ذلك[138] ولربما أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

راجشمان حاول أن يعكس صورة جيدة للحكومة البولندية المؤقتة لدى حكومة واشنطن بسبب المخاوف الأمريكية من تقييد الاتحاد السوفيتي للتجارة البولندية في تلك الفترة ، ولكن وعلى ما يبدو أن المخاوف الأمريكية كانت مؤكدة وحتمية من خلال إحصائيات التجارة البولندية في أواخر عام ١٩٤٥ ، والتي بلغت الواردات من السوفييت (٣١) مليون دولار ، والصادرات (٣٥) مليون دولار ، هذا يعني أن أكثر من ٩٠ % من الواردات البولندية و ٩٣ % من الصادرات البولندية .[139]

وهناك دليل أخر على ذلك ، حاول منيك أن يوسع التجارة مع الغرب ، ولكنه كان حذراً في عدم تغيير الاتحاد السوفيتي في مؤتمر حزب العمال البولندي (PPR) في كانون الأول ، الذي مدح فيه المساعدات الاقتصادية السوفيتية الحاسمة قبل أن تصل شحنات منظمة الإغاثة التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، وقد أنكر الضرر الذي تسببت به الاتفاقات مع الحكومة السوفيتية على الاقتصاد البولندي ، بل ذكر أنها ساعدت على الإصلاح وأضاف أن بولندا تلقت (١٩) ألف طن من القطن من الاتحاد السوفيتي و ألفين طن فقط من الولايات المتحدة [140] ، وهذا يؤكد أن بولندا كانت تمتلك تجارة قوية مع الاتحاد السوفيتي خلال عام ١٩٤٥ وفي الوقت ذاته حاولت الحكومة البولندية بشكل مستمر في توسيع العلاقات التجارية مع الولايات المتحدة ، وهذا بدوره كان له أثر كبير في تدهور العلاقات الأمريكية – السوفيتية والذي أثر سلباً على الدبلوماسية الاقتصادية البولندية.[141]

ومع نهاية عام ١٩٤٥ ، وقعت بولندا على اتفاقيـــــات برتن – وودز (**Bretton – Woods Agreements**)[142] وقد حاولوا أن يستثمروا عضويتها من أجل موازنة عملتهم الزلوتي ليصبحوا شركاء مقبولين في المنظومة المالية العالمية وإقامة علاقات تجارية موسعة مع بلدان العالم .[143]

عموماً ، فمن الملاحظ أن عرض قروض الأعمار التي كانت تقدمها الولايات المتحدة الى بولندا ودول أوربا الشرقية هي الأداة الدبلوماسية التي كانت تستميل بها الإدارة الأمريكية من أجل مصالحها السياسية والاقتصادية في بولندا ، هذا الى جانب أن لدى الإدارة الأمريكية هدفين رئيسيين وراء منح القروض لبولندا عام ١٩٤٥ ، الأول هو أنها كانت تأمل أن تنتج المفاوضات المطولة تطور في الأحداث السياسية البولندية والوصول الى الحياة الديمقراطية أما الثاني ، فهو متعلق بالجانب الاقتصادي ، فحصول بولندا على مناجم الفحم في سيليزيا منحها دوراً حيوياً في إصلاح الاقتصاد الأوربي ، فكان ضرورياً أن تزداد صادرات الفحم البولندي الى أوربا الغربية بقدر الإمكان .[144]

فعلى الرغم من تصريحات لين الرسمية للحكومة الأمريكية بشأن عدم إعطاء القروض والتي بدورها خلقت انطباعات لدى الحكومة البولندية بالفشل لعدم فهمها لتوقعات الحكومة الأمريكية ، لكن إدارة ترومان وافقت على ائتمانات بولندا في نهاية عام ١٩٤٥ لدى صندوق النقد الدولي هذا بالإضافة الى امره في تمديد القروض لتطوير صناعة الفحم البولندية على الرغم من الفائدة التي قد يجنيها الاتحاد السوفيتي من هذه المساعدات وهذا ما سوف نلاحظه عام ١٩٤٦لاحقا .[145]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمـــــــة :

شهدت بولندا تطورات عدة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي الامر الذي اثر بشكل ملحوظ على استقرارها ، لذا لوحظ انها سعت وبشكل حثيث الى محاولة التخلص من ازمتها الاقتصادية الا انه وكما ظهر كان للجانب السياسي الاثر في تقييد حريتها ومحاولتها الاستعانة بقوى خارجية لا سيما المعسكر الغربي المتمثل بالولايات المتحدة ، وكان توجه البولنديين نحو الاخيرة بسبب امكانيتها الاقتصادية الكبيرة .

ومن جهة اخرى حاولت الولايات المتحدة الامريكية من جانبها استمالة بولندا الا انها وكما بدا واضحاً ، انها اصطدمت بالقوة المنافسة لها سياسياً واقتصادياً الا وهي قوة الاتحاد السوفيتي الذي كان يسيطر وبشكل ملحوظ على العديد من دول اوربا الشرقية بما فيها بولندا وكذلك فقد اصبحت بولندا بين المطرقة السوفيتية والسندان الامريكي اذ حاولت آنذاك التوفيق بين القوتين .

ورغم محاولتها التخلص من الطوق السوفيتي والحصول على المعونات الاقتصادية التي باتت مليحة لترميم منظومتها الاقتصادية المتهالكة الا انها فشلت في الحصول على تلك المعونات بسبب الموقف الامريكي الذي كان نابعاً من خوض ان تلك المعونات قد تذهب سدى ، وانها كانت تريد توظيف المعونات لخدمة مصالحها في بولندا .

الهوامش :

(١) - النظام الرأسمالي: الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسيه يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية ، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم ألحرية معتمداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة. ولقد ذاق العلم بسببه ويلات كثيرة نتيجة إصراره على كون المنفعة واللذة هما أقصى ما يمكن تحقيقه من السعادة للإنسان. وما تزال الرأسمالية تمارس ضغوطها وتدخلها السياسي والاجتماعي والثقافي وترمي بثقلها على مختلف شعوب الأرض لمزيد من ألمعلومات ينظر: أنمار أسعد خليل، النظام الاقتصادي الرأسمالي، ص٢

http://www.alsafwabooks.co

(2) - Fleming D . F . , the cold war and its origins 1917 – 1960 , Vol , I , New York , 1960 , P . 123

(3) - May R . Ernest , American cold war strategy in tempering , Bed ford Books of st Martins , London , 1993 , P . 98 .

(٤) - صلاح احمد هويدي ، تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ ، ص ١٦٢ .

(٥) - جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر منذ الحرب العالمية الأولى ، ج٣ ، الإسكندرية ، (ب . ت) ، ص ٣٥٣ ؛ محمد إبراهيم فضة مشكلات العلاقات الدولية (دور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشركات العالمية في السياسة الخارجية الأمريكية ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ٨٤ .

(٦) - إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسة الدولية ، المفاهيم والحقائق ، ط٢ ، بيروت،١٩٨٥، ص ٥١١ .

(7) - Edward S . Kerstein , Red star over Poland A Report from Behind the Iron curtain , C . C . Nelson publishing company , Appleton , wiscons 1947 , p .

(8) - Richard Lukas , op . cit , p . 33 ; pioter wandycz , op . cit , p . 209 .

(٩) - أرفينغ برانت : كاتب وصحفي ومؤرخ أمريكي ، ولد في ولاية آيوا علم ١٨٨٥ ، تلقى تعليمه في المدارس المحلية وقد تخرج من جامعة آيوا عام ١٩٠٩ ، وفي عام ١٩١٤ أنتقل برانت الى كلاينتون ليصبح رئيس تحرير كلاينتون هيرالد ، وفي عام ١٩٢٣ توجه نحو الاهتمامات الأدبية في كتابة الشعر والقصص ، وخلال فترة الثلاثينات كان له مقالات عديدة على الأزمة الاقتصادية التي مر بها العالم ، وفي عام ١٩٤١ أصبح كاتباً في صحيفة شيكاغو وكتب ستة مجلدات عن حياة الرئيس الأمريكي جيمس ماديسون ، وقد توفي عام ١٩٧٦، لمزيد من المعلومات ينظر :

Anne T . Keene , Irivg Brant , American National Biography online , 2005 , p . 1 .

(10) - Richard Lukes , op . cit , p . 33 .

(١١) - الحكومة الوطنية المؤقتة: كانت عبارة عن حكومة تم تكوينها بموجب مرسوم من المجلس الوطني للدولة (Krajowa Rada Narodowa) في الثامن والعشرين من حزيران ١٩٤٥. وقد تم إنشاء تلك الحكومة كحكومة ائتلاف بين الشيوعيين البولنديين والفصيل التابع لـ ميكولاجيك وقد كان ذلك بمثابة اتفاق توصل إليه الحلفاء الغربيون مع الاتحاد السوفييتي أثناء مؤتمر يالطا. ولم تعترف الحكومة البولندية في المنفى بحكومة الوحدة الوطنية المؤقتة. ولم يقرر إلا عدد قليل، مثل رئيس الوزراء السابق لبولندا ميكولاجيك ، الوثوق في السوفييتيين والدخول في المفاوضات معهم ، لمزيد من المعلومات ، ينظر :

www.enwikipedia.org/Provisional_Government_of_National_Un.

(12) - Richard Lukes , op . cit , p . 33 – 38 .

(13) - Richard c . Lukas , Bitter Legacy polish – American Relations in the wake of world war II Lexington , University of Kentucky press , 1982 , p . 38 .

(١٤) - تشيسلاف ميلوش ، شاعر بولندي من أصول أمريكية ، ولد في عام ١٩١١ في لتيوانيا ، درس في جامعة ويلنو ثم أنتقل الى وارسو خلال الحرب العلمية الثانية وناهض من خلالها الفكر النازي ، بعد الحرب خدم ميلوش في الملحق الثقافي في جمهورية بولندا الشعبية في باريس وواشنطن ، حصل على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٠ ، وتوفي عام ٢٠٠٤ في بولندا ، لمزيد من المعلومات ينظر :

www.poets.org/poetsorg/poet/czeslaw-milosz .

(15) - Richard Lukes , op . cit , p . 38.

(16)- Ibid , p.38 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(17) - Stanton Griffins , Lying in state , Garden city , N . 4 , Double day , 1952 , p . 177 .

(18) - Frederick pryor , the foring trade system of the European communist Nations , (Ph . D . dissertation , yale University , 1961 , p . 176 .

(19) - Stanton Griffis , op . cit , p . 177 .

(20) - Frederick pryor ,op . cit , p . 176 .

(21) - stanton Griffis , op . cit , p . 177 ; Frederick pryor , op . cit , p . 176 .

(22) - I bid , p . 176 .

(٢٣) - هيلاري بينك : سياسي وخبير اقتصادي بولندي من أصول يهودية ، ولد عام ١٩٠٥ ، كان ستاليني مخلص ومن مؤيدي الفكر الماركسي ، وأنظم اليه قبل الحرب العالمية الثانية ، وخلال فترة من (١٩٤٤ – ١٩٥٦) كان عضوا في مشروع المكتب السياسي لحزب العمال البولندي (PUWP) ، وفي عام ١٩٤٩ أصبح وزير للصناعة ثم وزير للنقل توفي عام ١٩٧٤ في وارسو ، ينظر : www .pl. Wikipedia . org

(24) - Krystyna Kersten , the Establishment of communist Rule in Poland 1943 – 1948 , translated and annotated by John Miguel and Michael H. Bernhard Foreword by Han T. cross , University of California press , 1991, p . p 127 – 128 .

- (25)عقدت معاهدة صداقة وتجارة وحقوق قنصلية بين البلدين في واشنطن في الخامس عشر من حزيران ١٩٣١ ، وقد اقرها مجلس الشيوخ الأمريكي في الخامس من نيسان ١٩٣٢ ، وقد صُدق عليها في وارسو التاسع من حزيران ١٩٣٣ ، وقد أكدت المعاهدة على تعزيز أواصر السلام بين البلدين ، لمزيد من المعلومات ، ينظر:

Neal spease , op . cit , p . p . ; Tadeusz Sadowski , the Law of Roaring Trade in the polish peoples Republic , p . p . 530 – 531 .

- (26)بعد وصوله الى بولندا استغل السفير لين الفرصة الأولى ليناقش العلاقات الاقتصادية الأمريكية – البولندية ، وقد أشارت المعونة من خلال إدارة الأمم المتحدة لإعادة التأهيل مصاعب طفيفة متعلقة بتوزيع البضائع ، وكان لين قد أتفق مع حكومة واشنطن على أن يمنع هذا النوع من المعونات حتى لو كان في مصلحة حكومة الاتحاد السوفيتي ، للمزيد من المعلومات ، ينظر :

Pioter S . wandycz , the United States and Poland , Harvard University press , London , 1980, p . p 319 – 320

- (27) بوليسلاو بيروت : سياسي بولندي ، ولد عام ١٨٩٢ في مدينة لوبلن ، كان متحيزا للشيوعية البولندية ، وقد تقلد عدة مناصب أصبح رئيس المجلس الشعبي من (١٩٤٤ – ١٩٤٧) ، والأمين العام للجنة المركزية لحزب العمال البولندي (١٩٤٨ – ١٩٥٦) ، ورئيس جمهورية بولندا (١٩٤٧ – ١٩٥٢) ، ورئيس للوزراء (١٩٥٢– ١٩٥٤) ، وقد توفي عام ١٩٥٦ في موسكو ، ينظر :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

https://pl.wikipedia.org/wiki/Bolesław_Bierut

- (28)وليم تونسك : عسكري ومترجم بولندي ، ولد في عام ١٩٠٦ ، هاجرت عائلته الى نيويورك ، ودرس اللغة الإنكليزية بين الفترة (١٩٢٥ – ١٩٢٩) ، حصل عام ١٩٣١ على شهادة الماجستير في اللغة الإنكليزية والدراسات الأوربية الرقية ، أنتقل بعد ذلك الى مكتب للمخابرات البحرية الأمريكية عام ١٩٤٣ برتبة ملازم أول ، وعمل أيضاً مترجماً لسفيري الولايات المتحدة (أفريل هاريمان وأرثر لين) ، توفي عام ١٩٩٢ ، ينظر :

Papers of US intelligence of facer and Diplomat William tonsek New open , Hoover in situation , www . Hoover . org .

- (29)باور : هو ممثل عن الصليب الأحمر الأمريكي ومتخصص في الصحة ومساعده هاري كاردي كان ينتظر في باريس للحصول على تأشيرات لبولندا منذ أوائل شهر تموز عام ١٩٤٥ في قيادة نقل البولنديين ، لمزيد من المعلومات ، ينظر:

Efforts by the United states to Assure the fulfillment by the polish provisional Government of the Yalta and Potsdam Agreement Regarding Poland : Discussion of Questions Relating to economic Assistance for Poland, Diplomatic papers , 1945 , Europe , telegram from the Ambassador in Poland (Lane) to the secretary of state , August 6, 1945 , No . 860 c . 50 / 8 – 645 ,cited in : F.R.U. S, vol.5, p . 362

(30) - Neal pease , Poland , the united states , and the stabilization of Europe , 1919 – 1933 , oxford university press , 1986 , p . 362 .

(31) - telegram from the secretary of state to the Ambassador in Poland (Lane) , August 11 ,, 1945 , No . 860 c . 20 / 8 – 645 ,cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . p . 363 – 364

(32) - Aruther Bliss Lane I saw Poland betrayed : an American ambassador reports to the American people , Indianapolis , 1948, p . 227.

(33) - telegram from the Ambassador in Poland (Lane) to the secretary of state , August 22 , 1945 , No , 860 c .00 / 18 – 2245 , cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . 364

(34) - Arthur lane , op.cit, p.153

(35) - i bid, p.154

(36)- telegram from the Ambassador in Poland (Lane) to the secretary of state , August 22 , 1945 , No , 860 c .00 / 18 – 2245 , cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . 365

- (37)كونستنتي دبروسكي : اقتصادي بولندي ولد في عام ١٩٠٦ ، تخرج من كلية الأدارة والاقتصاد في وارسو عام ١٩٢٥،في عام١٩٤٤ شغل منصب نائب رئيس وزارة المالية لغاية شهر كانون الأول ، ثم وزير للمالية (١٩٤٥ – ١٩٥٠) ، توفي في عام ١٩٧٥ في وارسو ، لمزيد من المعلومات، ينظر . pl . www: Wikipedia . org (38) - telegram

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

from the Ambassador in Poland (Lane) to the secretary of state , August 13, 1945 , No , 860 c . 51 / 8 – 1345 , cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . 205; Aruther Lane , op . cit , p . 155 .

- (39)أقترح السفير لين خطة على أساسها تحفز صادرات الفحم البولندي الى أوربا الغربية وخاصة صادرات ايطاليا وفرنسا الى الأمم المتحدة مما جعل الأمر ممكنا بالنسبة الى بولندا أن تؤسس رصيدها من الدولار في نيويورك ، بينما بحثت حكومة واشنطن للحصول على وعود من بولندا ، أن لا تتمايز ضد التجارة الأمريكية واستثماراتها وأن تحترم حقوق المواطنين الأمريكان وأن تتصرف وفقاً لمعاهدة ١٩٣١ ، أي لا تمنع أي دولة وضعاً احتكارياً في الاقتصاد البولندي ، لمزيد من المعلومات ينظر :

telegram from the Ambassador in Poland (Lane) to the secretary of state , August 22, 1945, No , 860 C . 00 / 8 – 2245, cited in : F . R . U . S , vol .5 , p .p . 364 - 365; Pioter S . wandycz , op . cit , p . 320 .

(40) - Arthur Lane , op . cit , p . 181

(41) -I bid , p . 182

(٤٢)- تاديوس بوركوموروفسكي : عسكري وسياسي بولندي ، ولد في عام ١٨٩٥ في مملكة غاليسيا ، خدم في بداية حياته كضابط في الجيش النمساوي الهنغاري ، وبعد الحرب العالمية الاولى اصبح ضابط في الجيش البولندي ،شارك في القتال ضد الغزو النازي عام ١٩٣٩، وقد عُين قائدا عاما قبل يوم من استسلام انتفاضة وارسو، وبعد الحرب العالمية الثانية اصبح رئيسا للوزراء في حكومة المنفى في لندن ، توفي عام ١٩٦٦ في لندن، ثم نقلت جثمانه عام ١٩٩٤ الى وارشو، لمزيد من المعلومات، ينظر:

Ognisko Polskie - The Polish Hearth. org.uk

(43)- telegram from the Ambassador in Polish provisional Government of National Unity to the secretary of state , September 8 , 1945 , No , 860 c . 01 / 10 – 145, cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . 366 .

(44) -I bid , p . 367

(45) -I bid , p . 368

(46) - I bid , p . 368

- (47)حيدر عبد الجليل عبد الحسن الحربية ، مؤتمر بوتسدام والقضية الالمانية ١٩٤٥– ١٩٤٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – جامعة البصرة ، ٢٠٠٥ ، ص ١٧٢

-(48)أخذ السفير الأمريكي لين المذكرة البولندية الى السفارة الأمريكية في لندن يوم الثالث عشر من أيلول لإحالتها الى وزير الخارجية الأمريكي ، I bid , p ٣٦٨ .

(49)- telegram from the Ambassador (Lane) to the secretary of state , Octobers 1 , 1945 , No . 860 c . o1 18 / 10 – 145, cited in : F . R . U . S , vol .5, p . p . 202 – 203

(50)- telegram from the Polish provisional Government of National Unity to the secretary of state , September 8 , 1945 , No, 860 c. 01

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

/10 –145, cited in : F.R.U .S , vol .5 , p . 368

(51)-telegram from (lane) to the secretary of state , in (10 , Sep , 1945) , No , 860 c . 01 / 9 – 1045, cited in : F . R . U . S , vol .5, p . 369

- (52)لقد أرسلت برقية من السفير البولندي في واشنطن الى موسكو ، وضح فيها استعداده للتخلي عن مبنى السفارة والمحفوظات ولكن لا يمكن الاعتراف بها ، وقد أعد له مدة زمنية معقولة له لحزم امتعته الشخصية ومن ثم الحصول على مبنى السفارة ، وقد غادر المسؤول عن الحارس في السفارة الذي بدوره نقل الملكية الى ممثل الحكومة الوحدة الوطنية البولندية المؤقتة

I bid , p . p . ٣٦٩ – ٣٧٠

(53)I bid , p . 370

(54) -I bid , p . p . 369 – 370 .

(55) حكومة لوبلن : حكومة مؤقتة في بولندا ، كان أسمها اللجنة البولندية للتحرر الوطني (PKWN) ، أعلنت رسمياً في الثاني والعشرين من تموز عام ١٩٤٤ تعارض الحكومة البولندية في المنفى ، وقد مارست لوبلن السيطرة على الأراضي البولندية من ألمانيا ويسيطر عليها حكومة الاتحاد السوفيتي ، وفي نهاية كانون الأول من نفس العام أعلنت نفسها الحكومة المؤقتة للجمهورية البولندية ، وقد اعترفت فيها الاتحاد السوفيتي في كانون الثاني ١٩٤٥ ، والولايات المتحدة الخامس من تموز من نفس العام ، راجع :

George H . Janczewski , the Origin of the Lublin Government , the Slavonic and East European Review , vol . 50 , No . 120 , 1972 , p . p . 410 – 433

(56)- telegram from the Ambassador in Poland (Lane) to the secretary of state , September 20, 1945, No , 860 c. 00 /9 –2045 , cited in : F.R.U.S , vol .5, p. p. 372 – 373 .

(57)- telegram from the Ambassador (Lane) to the secretary of state , 20 , Sep , 1945 , No , 860 c . 00 / 9 – 2045 , cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . p . 372 – 373 .

(58)-I bid , p . 374 ; Arthur Lane , op . cit , p . 175 .

(59) -tanley J . zyzniewski , Soviet tutelage and the polish Economy from 1945 to 1956 , 1he polish Review , vol . 4 , No . 3 , 1959 , p . p . 21 – 22 .

(60)- منذ أواخر الأربعينات الـ (CPSU) وضرب العمال البولنديين المتحد (PUWP) أسسوا علاقات سوفيتية – بولندية على أساس أهداف ايدلوجية وسياسية واقتصادية مشتركة وصداقة وتعاون ، وأصبحت بولندا جزءاً من الجبهة السوفيتية وليست صدفه هذه ، بل السيطرة على بولندا من قبل المعسكر الاشتراكي ذو التوجه السوفيتي كانت حاسمة بالنسبة لمردود لمواجهة عسكرية محتملة ضد الغرب ، ينظر :

Nikolay Bukharin , Relations between the soviet Union and the polish peoples Republic (1944 – 1989) , journal (voprosy istoriyi) in Russian , No . 10 , 2007 , 10 . 19 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(61) -Stanley J . zyzniewski , op . cit , p . p . 22 – 23 .

(62) -Nikolay Bukharin , op. cit , p.19; Mark Harrison , the soviet Union after 1945 : Economic Recovery and political Repression, University of warwick, Uk ,2010, p. p.3– 4.

(63) -Nikolay Bukharin , op . cit , p . 19

(64) - Stanley J . zyzniewski , op . cit , p . p . 24

(65) - I bid , p . 25

(66) - Stanley J . zyzniewski , op . cit , p . p . 25

(67) - telegram the Acting secretary of state , to the lane , September 21, 1945 , No , 860 c . 50 / 9 – 2145 (130) , cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . 374

(68) - bid , p 375 .

(69) -I bid , p . 375 – 376

- (70)لودوج راجشمان : طبيب بولندي ، ولد في وارسو عام ١٨٨١ ، درس الطب في جامعة كراكوف ، وحصل على لقب طبيب عام ١٩٠٦ ، ثم سافر الى لندن عام ١٩١٠ حيث أصبح رئيس مختبر في المعهد الملكي للصحة العامة لغاية عام ١٩١٣ ، ثم غادر الى وارسو حيث أسس المعهد المركزي البولندي (١٩٢٠ – ١٩٢١) ، مع نهاية الحرب العالمية الثانية وتشكيل الحكومة البولندية الجديدة أصبح عضو مؤسس في الهيئة المؤقتة المسؤولة عن تنظيم المساعدات الى السكان وإعادة أعمار المناطق التي دمرتها الحرب منذ عام (١٩٤٥ – ١٩٤٦) وقد عين أيضاً رئيس البعثة الاقتصادية لبولندا الى الولايات المتحدة الأمريكية ، توفي عام ١٩٦٥ ، لمزيد من المعلومات ، ينظر :

Bigoraphie – Rajchman webext . Pasteur . fr

- (71)قدم راجشمان مقترحاً الى الحكومة البولندية أثناء محادثته مع ايميليو كولادو مدير مكتب المالية والسياسة الإنمائية

telegram from the Acting secretary of state to the (Lane) , September 21, 1945, No , 860 c . 50 / 9 – 2145 (130) , cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . 375 ; Adim kuerbitz , the polish Loan in U . S . post war foreign policy (1945 – 1947) , senior thesis from Department of history , 2012 , 17 .

(٧٢) لقد عقد مؤتمر اقتصادي بين الولايات المتحدة والمسؤولون البولنديون في الثامن والعشرين من تموز ١٩٤٥ خلال مؤتمر بوتسدام ، وقد وجد فيه هيلاري مينك الوقت مناسباً لعرض الوضع الاقتصادي البولندي، ينظر:

Memorandum of the United states delegation , in (28 , July , 1945) , Conference of Potsdam, cited in : F . R . U . S , vol .2 , p . 455 .

(73) - telegram from the (Lane) to the secretary of state , September 25 , 1945 , No , 860 c . 00 / 9 – 2545 (296), cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . 376 .

(74) - I bid , p . 377

(75) - I bid , p . 376 .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(76) - telegram from the (Lane)to the secretary of state , August 22, 1945,No. 124 (860c.00 / 8-2245) , cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . p .364 – 365

(77) - telegram from (Lane) to the secretary of state, September 25 , 1945 , No , 296 (860c.00 / 9-2545), cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . p 376 – 377 .

(78) - I bid , p . 377

(79) - I bid , p . 378

- (80)ساناكجا : وهو اسم شعبي أطلق على الكتلة المستقلة للتعاون مع الحكومة التي دعمت نظام المارشال جوزيف بيلوسدسكي ومن خلفه في بولندا بين الحربين العالميين الأولى والثانية ، وهو بالأساس عسكري سياسي والحاكم الأيدلوجي في بولندا (١٩٢٦ – ١٩٣٩) ، لمزيد من المعلومات ، ينظر:

www.pl . m . wikipedia . org

(81) - telegram from (Lane) to the secretary of state , September 25 , 1945 , No , 296 (860c.00 /9-2545), cited in : F . R . U . S , vol .5 , p . p 378 – 379 .

(82) - I bid , p . 379 .

(83) - Arther Lane , op . cit , p. 226

(84)- Memorandum of conversation by . Mr . Pierson Under wood of the war Areas Economic Division , October 1, 1945 , No . 860 C . 50 / 10 – 145,cited in :F.R.U.S., vol.5 , p . 382 .

(85) -I bid , p . 383

- (86)تشالز دوري : - سياسي كندي ، ولد عام ١٩١٢ في مدينة كيبيك ، خلال الحرب العالمية الثانية رقي الى رتبة عميد ، بعد الحرب أصبح رئيساً في إدارة الأمم المتحدة لإغاثة وإعادة التأهيل منذ عام (١٩٤٥ – ١٩٤٧) ، ثم أصبح نائب وزير الدفاع في عام (١٩٤٨ – ١٩٥٥) وانتخب عضو في مجلس النواب الكندي مرات عديدة (١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٨، ١٩٧٢ ، ١٩٧٤) وتقلد مناصب عديدة ، وقد توفي في عام ١٩٩١ ، أنظر :

www . en . Wikipedia . org

- (87)دونالد غلباترك : دبلوماسي أمريكي ، ولد في عام ١٩٠٩ في مدينة فلوريدا ، في الحرب العالمية الثانية كان مدير لبعثة الإغاثة للصين ، وأصبح المستشار الاقتصادي لمقر القوات البريطانية في الجزائر ، وكان لمدة عشرون عاماً مدير مكتب الخدمات التجارة الخارجية في وزارة الخارجية أي منذ عام (١٩٦١ – ١٩٨١) وقد توفي عام ١٩٨٩ ، أنظر : Obituaries , Donalds . Gilpatric , the New York times(14 , February ، ١٩٨٩)

(88) - Memorandum of conversation by . Mr . Pierson Underwood of the war Areas Economic Division , October 1 , 1945, No . 860 C.. 50 / 10 – 145,cited in : F.R.U.S , VOL.5 , p . 382

(89) - Arthur Lane , op . cit , p. 227

(90) - I bid , p . 228 .

- (91)يذكر لين في كتابه (بولندا المغدورة) ، أنه طلب تحديد موعد له مع الرئيس بيروت في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الرابع من تشرين الأول ، ينظر : Arthur Lane , op . cit , p . ٢٢٧ .

(92) - telegram from (Lane) to the secretary of state, October 4 , 1945 , No.347(860c.24/10-445), cited in : F.R.U.S , VOL.5 , p 383.

(93) -I bid , p . p . 383 – 384 .

(94) - I bid , p . 384 ; Arthur Lane , op . cit , p . 228 .

(95) - telegram from (Lane) to the secretary of state, October 4 , 1945 , No.347 (860c.24/ 10-445), cited in : F.R.U.S , VOL.5,p . 385 .

(96) - telegram from lane to the secretary of state , October 13, 1945, No. 403 (860c.51 /10-1345),cited in : F.R.U.S., vol.5, p. 388

- (97)ستانسلاو كوتزيبا : - مؤرخ وقانوني بولندي ، ولد عام (١٨٧٦) في مدينة كراكوف درس القانون في جامعة جاجيلونيان (١٨٩٤ – ١٨٩٨) ، وقد عمل أستاذ مساعد في وثائق الأرشيف الوطني في تاون وكراكوف حتى عام ١٩٠٨ ، وقد شغل مرتين منصب عميد كلية الحقوق (١٩١٣ – ١٩١٤) ، ، (١٩٢٠ – ١٩٢١) ، بعد الحرب العالمية الثانية شارك في محادثات موسكو بشأن أنشاء الحكومة المؤقتة للوحدة الوطنية ، توفي عام ١٩٤٦ في كراكوف ، ولمزيد من المعلومات ينظر : www . law . Uj . edu . pl

- (98)ادم ستيفان سابيها : الكاردنيال الكاثوليكي ورئيس أساقفة كراكوف ، ولد في عام ١٨٩٣ ، في عام ١٩١١ عين أسقف لكراكوف وكرس من قبل البابا بيوس العاشر في كنيسة سيبستين في ٧ / كانون الأول في العام نفسه ، وفي عام ١٩١٥ أنشأ لجنة الإغاثة لضحايا الحرب العالمية الأولى ، ومع بداية الحرب العالمية الثانية ، وكان ناشطاً للاستقلال ،وعمل في حكومة المنفى في لندن توفي عام ١٩٥١ ، ينظر: www.pl . m . Wikipedia . org

- (99)وينمتي واتيوس : ناشط في حزب الفلاحين البولندي ، ولد في عام ١٨٧٤ وشغل منصب رئاسة الوزراء ثلاث مرات ، (الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠ – الثالث عشر من ايلول ١٩٢١) ، (الثامن والعشرين من ايار – الرابع عشر من كانون الاول ١٩٢٣) ، (العاشر من ايار – الرابع عشر من ايار ١٩٢٦) ، ورئيساً لحزب الفلاحين على فترات متباينة (١٩١٨ – ١٩٣١) واعوام (١٩٣٥ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٥) ، توفي في أكتوبر ١٩٤٥ ، ينظر : Spencer tucker, Priscilla Mary Robert, World I : Encyclopedia , vol.1 ,ABC-CLIO, 2005.

(100) -Arthur lane , op . cit , p . 228 .

(101) - telegram from the Ambassador in Poland (Lane) to the secretary of state , October 13, 1945 , No . 403 (860 C . 51 / 10 – 1345), cited in : F.R.U.S., vol.5 , p 388.

(102) - telegram from (Lane) to the secretary of state, October 14, 1945 , No . 408 (860 C . 51 / 10 – 144) , cited in : F.R.U.S., vol.5 , p 390.

(103) - Memorandum by the Associate chief of the Division of foreign Economic Development (

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

young) to the undersecretary of state (Acheson) , October 25, 1945 , No . 860 C . 51 / 10 – 2545, cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 392 .

(104) - I bid , p . 392 .

- (105)كان هاريمان كحال العديد من الذين يعملون في الإدارة الأمريكية خلال الأعوام الأولى التي تلت انتهاء الحرب متفائلاً حول النتائج السياسية المتعلقة بمساعدة بولندا محتجاً بأن قرض هكذا مستوى سيكون له نتائج دائميه وطويلة الأمد بخصوص النفوذ الأمريكي على المشهد السياسي البولندي وخاصةً فيما يتعلق بالنفوذ المرتبط بتنفيذ الخطوة النهائية من قرار مؤتمر يالطا وهي إجراء انتخابات حرة : لمزيد من المعلومات ، ينظر :

Sheldon Robert Ander son , " A dollar to Poland is a dollar to Russia " : United States Economic policy towards Poland , 1945 – 1952 , (PH , D A thesis submitted , the University of Minnesota , 1989 , p . 46 .

(106) - telegram from Harriman to Byrnes , June17, 1945 ,No.2136(860c.01/6-1745), cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 347 , 360 ; telegram from Harriman to Joseph Grew a ding secretary of state , June 23 , 1945 , No. 2239 (860c.01 / 6-2345), , cited in : F. R..U.S. , vol .5 , p.p.357-360 .

- (107)نقلت العديد من التقارير التي عقدت بشأن المفاوضات الخاصة بالقروض عام ١٩٤٥ ، بأن السوفييت كانوا ينقلون مصانع من مواقع في بولندا أمثال : بوزنان وسيليزيا ، وكانت الحكومة البولندية قادرة على أقناع السوفييت أن يوقفوا هذا العمل ، حتى وأن كان السوفييت يعتبرون تلك الأراضي التعويضية هي غنيمة حرب ، وقد طالب جوملكا بإيقاف تلك العمليات ، بالرغم من التهديد السوفيتي له ولكنه لم يخضع لهم وأمر باللحاق بأي جندي سوفيتي مغتنم رميه بالرصاص ،ينظر :

Sheldon Robert Anderson , op . cit , p . p . 53 – 54 .

(108) - Memorandum of conversation , by the chief of the Division of Eastern European affairs (Durbrow) , November 8, 1945) , No . 860 C . 51 / 11 – 845,cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 400 .

(109) -I bid , p . 401 .

-(110)غاليسيا : - مدينة حدودية بين بولندا وأوكرانيا ، وهي من المدن التي لها قيمة تاريخية وجغرافية ، في القرن ١٨ أصبحت هذه المدينة جزء من المناطق البولندية ، وقد حسمت نهائياً في معاهدة ريغا في الثامن عشر من اذار ١٩٢١ ، عازيا غاليسيا الى الجمهورية البولندية الثانية وقد كان سكانها يمتازون بالتنوع العرقي من جميع البلدان (يهود – ألمان – أرمن – تشيك – مجر) ، لمزيد من المعلومات ينظر : www.en . m . Wikipedia . org

(111) - Memorandum of conversation , by the Division of Eastern European affairs (Durbrow) , November 8, 1945, No . 860 C . 51 / 11 – 845 ,cited in : F.R.U.S., vol.5, p . 401 ; Richard Lukes , op .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يهودية ـ تخرج من جامعة وارسو عام ١٩٢٥ حاصلاً على شهادة القانون ، وفي عام ١٩٢٨ أنظم الى الحزب الشيوعي لبولندا ، عندما غزا هتلر بولندا عام ١٩٣٩ هرب الى الاتحاد السوفيتي ، وما بين (١٩٤٤ ـ ١٩٥٦) أصبح بيرمان عضواً في المكتب السياسي للحزب العمال البولندي وكان يعتبر ستالين هو اليد اليمنى في الحكومة البولندية ، توفي في عام ١٩٨٤ في وارسو ، لمزيد من المعلومات ينظر:

www . en . m . Wikipedia . org

(118) - telegram from (Lane) to the secretary of state , November 9, 1945, No . 543 (860 C . 51 / 11 – 945), cited in : F.R.U.S.,vol.5 , p . p. 409 – 410 .

(119)- telegram from the secretary of state to the Ambassador in Poland (Lane) , November 9, 1945, No . 263 (860 C . 51/10 – 2245) , cited in : F.R.U.S.,vol.5 , p .411 .

(120)- telegram from (Lane) to the secretary of state , Nov 13, 1945 , No . 552 (860 C . 51 / 11 – 1345) cited in : F.R.U.S.,vol.5 , p . p . 412 – 414 ; Arthur Lane , op . cit , p . p 228 – 229 .

(121) - i bid , p . 230 .

(122) - telegram from (Lane) to the secretary of state , Nov 14, 1945 , No . 559 (860 C . 51 / 11 – 1445), cited in : F.R.U.S.,vol.5 , p . p . 414 – 415 .

(123) - I bid , p . p 415 – 416

cit , p . 39 ; Mikolajczk , the Rape of Poland , p . p. 141 –142 .

(112) - Memorandum of conversation , by the Division of Eastern European affairs (Durbrow) , November 8, 1945, No . 860 C. 51 / 11 – 845 ,cited in : F.R.U.S., vol.5, p . 402

(113) -Stanslaw Mikolajczk , the Rape of Poland , p . p . 141 – 142 .

(114) - Memorandum of conversation , by the Division of Eastern European affairs (Durbrow), November 8,1945, No.860 C . 51 / 11 – 845 ,cited in : F.R.U.S., vol.5, p . 403 .

(115) - telegram from (Lane) to the secretary of state , November 9, 1945, No . 543 (860 C . 51 / 11 . 945), cited in : F.R.U.S., vol.5 , p 409.

(116)- تاكودنك بوشني : صحيفة أسبوعية كاثوليكية اجتماعية وثقافية ، أسسها الكاردنيال أدم ستيفان سابيها في ٢٤ مارس / ١٩٤٥ في كراكوف ، وكان أول رئيس تحرير فيها هو بيتر موشريسكي ، وقد أستأنف إصدار أعدادها في السنوات (١٩٥٣ ـ ١٩٥٦) بسبب رفضها نشر النفي عن ستالين ، وبعد تلك الفترة أصبحت رسالتها أكثر ملاءمة للحزب الشيوعي في بولندا ، لمزيد من المعلومات ينظر :

www.pl . m . Wikipedia . org

(117)- جاكوب بيرمان : سياسي بولندي ، ولد في عام ١٩٠١ في وارسو ، ينتمي الى أسرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- (124)إدوارد بينش : دبلوماسي وسياسي تشيكي ، ولد في عام ١٨٨٤ حصل على شهادة الدكتوراه في القانون من جامعة السوربون في باريس عام ١٩٠٨ ، شغل منصب رئيس تشيكوسلوفاكيا مرتين (١٩٣٥ – ١٩٣٨) ، (١٩٤٥ – ١٩٤٨) وأصبح وزير للشؤون الخارجية (١٩١٨ – ١٩٣٥) ، ورئيسا ً للوزراء (١٩٢١ – ١٩٢٢) ، وشغل أيضا ً منصب رئيس تشيكوسلوفاكيا في المنفى (١٩٣٩– ١٩٤٥) توفي عام ١٩٤٨ ، لمزيد من المعلومات ، ينظر :

www . Britannica . com

(125) -" Meeting of J . V . Stalin with V . Gomulka and G . Mints Regarding the situation in Poland " , November 14, 1945 , (Eastern Europe in the Documents of the Russian Archives 1944 – 1953) , vol , 1 (1997) , p . p . 301 – 303 .

(126) - telegram from the secretary of states to the (Lane) , November 24, 1945 , No . 296(123 Arthur lane) cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 419 .

(127) -Adam Kuerbitz , op . cit , p . 16 .

(128) - telegram from the secretary of state to the (Lane) , in (24 , Nov , 1945) , No . 296(123 Arthur lane) cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 420

(129) - telegram from (Lane) to the secretary of state , Nov 29, 1945 , No . 614 (860 C . 51 / 11 – 2945) cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 422.

(130) -I bid , p . 422

(131) - telegram from (Lane) to the secretary of state , Nov 30, 1945 , No . 618 (860 C . 51 / 11 – 3054) cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 423.

- (132)نيديسلاو اندرياس : قائد عسكري بولندي ، ولد عام ١٨٩٢ في بلونيا ، كان قائد القوات المسلحة البولندية (١٩٤٤ – ١٩٤٥) وبعد أن استلمت ألمانيا في مايو ١٩٤٥ ، بقي سنة واحدة في المنفى لغاية عام ١٩٤٦ وخلالها بقي مشاركا ً في أنشطة الهجرة السياسية البولندية وبعدها عين القائد الأعلى للقوات المسلحة البولندية لغاية عام ١٩٥٤ ، توفي عام ١٩٧٠ في لندن ، لمزيد من المعلومات ينظر :

Zyciorys generala wladyslawa Andersa , www . zsm . resman . p 1 .

(133) -telegram from (Lane) to the secretary of state , Nov 30, 1945 , No . 618 (860 C . 51 / 11 – 3045) cited in : F.R.U.S., vol.5, p . p . 423 – 424 .

(134) - I bid , p . 242

- (135)في التاسع من تشرين الثاني التقى الرئيس ترومان بميكولاجيك للإجابة حول الوضع الاقتصادي وقضية أعادة الأعمار في بولندا ، وقد أكد الأخير على بعض الاحتياجات المصيرية والعاجلة لإعادة التأهيل السريع لبولندا وعبر ترومان خلال اللقاء عن عظيم اهتمامه بتصريح ميكولاجيك وأعلن عن المساعدة الأمريكية تجاه بولندا وتقديم القروض المهمة لإصلاح الطرق والمدن لمزيد من التفاصيل ، ينظر :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Aide – Memorie polish Embassy to the Department of state , Nov 9, 1945 , No . 614 (860 C . 002 / 12 – 545)cited in : F.R.U.S., vol.5 , p . 428 – 430 ; Adam Kuerbit z , op . cit , p . 18 .

(136) - Memorandum of conversation , by the Division of Eastern European affairs (Durbrow) , December 5,1945, No. 860 C. 00/12 –545, cited in : F.R.U.S., vol.5, p. 427 .

- (137)كلاتيون : - رجل أعمال ومسؤول أمريكي ، ولد في عام ١٨٨٠ في مدينة ميسسبي ، دخل المجال الحكومي أثناء الحرب العالمية الثانية كعضو لجنة توزيع القطن ، ثم عمل في مؤسسة إعادة الأعمار عام ١٩٤٠ ، ومع حلول نهاية عام ١٩٤٤ أصبح مساعداً للوزير الدولة للشؤون الاقتصادية ، وكذلك عضواً في اللجنة المؤقتة لتقديم المشورة لجيمس بيرنز وترومان ، ثم عين وكيل أول لوزارة الخارجية للشؤون الاقتصادية (١٩٤٦ – ١٩٤٧) لدعم المساعدات الاقتصادية الأمريكية لإعادة بناء أوربا ، توفي عام ١٩٦٦ في تكساس ، لمزيد من المعلومات ، ينظر :

The Hand Book of Texas , Texas state Historical Association (An independent Nonprofit since 1897) , www . tshaoline . org

(138) - Memorandum of conversation , by the Division of Eastern European affairs (Durbrow) ,December 5, 1945, No.860 C . 00 /12 –545,cited in : F.R.U.S., vol.5, p .427 .

(139) -Sheldon Robert Anderson , op , cit , p . 41 .

(140) -I bid , p . 41

(141) -I bid , p . 44 .

- (142)برتن – ودوز : - وهو نظام نقدي دولي لضمان سعر الصرف وقد أنشئ عام ١٩٤٤ ، وقد أقيم الاجتماع لتوقيع عليه في ولاية ينوهامبشير في الولايات المتحدة ، وكان من أهدافه هي المساعدة في أعادة بناء الاقتصاد المدمر بعد الحرب العالمية الثانية وتعزيز التعاون الاقتصادي الدولي وقد أنشأ من خلال هذا النظام البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، وقد اشترك في أبراز فكرة هذا النظام وزير الخزانة الأمريكي هنري مورغانثاو ، ومستشاروه الاقتصادي هاري وايت ، والجنرال الاقتصادي البريطاني جون كيرزن لمزيد من التفاصيل ، ينظر:

www . Bretton woods project . org

(143) - Sheldon Robert Anderson , op , cit ,p.72

(144) - i bid p . p . 73 - 74 .

(145) -Adam Kuerbitz , op , cit , p . 20 .

المصادر :

1 – Foreign Relations of the United States , Efforts by the United states to Assure the fulfillment by the polish provisional Government of the Yalta and Potsdam Agreement

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Regarding Poland : Discussion of Questions Relating to economic Assistance for Poland, Diplomatic papers, vol.5, 1945 , Washington , 1967 .

2 – (Eastern Europe in the Documents of the Russian Archives 1944 – 1953) , vol , 1 (1997) , Meeting of J . V . Stalin with V . Gomulka and G . Mints Regarding the situation in Poland " , November 14, 1945 .

٣ - صلاح احمد هويدي ، تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٣ .

٤ - جلال يحيى ، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر منذ الحرب العالمية الأولى ، ج٣ ، الإسكندرية ، (ب . ت) .

٥ - محمد إبراهيم فضة مشكلات العلاقات الدولية (دور الشركات العالمية في السياسة الخارجية الأمريكية ، الأردن ، ١٩٨١ .

٦ - إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسة الدولية ، المفاهيم والحقائق ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٥ .

7 – Fleming D . F . , the cold war and its origins 1917 – 1960 , Vol , I , New York , 1960

8 – May R . Ernest , American cold war strategy in tempering , Bed ford Books of st Martins , London , 1993 .

9 – Edward S . Kerstein , Red star over Poland A Report from Behind the Iron curtain , C . C . Nelson publishing company , Appleton , wiscons 1947 .

10 - Richard c . Lukas , Bitter Legacy polish – American Relations in the wake of world war II Lexington , University of Kentucky press , 1982 .

11 - Anne T . Keene , Irivg Brant , American National Biography online , 2005 , p . 1 .

12- Stanton Griffins , Lying in state , Garden city , N . 4 , Double day , 1952 .

13 – Frederick pryor , the foring trade system of the European communist Nations , Ph . D . dissertation , yale University , 1961 .

14 – Pioter S. wandycz , the United states and Poland , Harvard University press , London , 1980 .

15 – Krystyna Kersten , the Establishment of communist Rule in Poland 19430 1948 , translated and annotated by John Miguel and Michael H. Bernhard Fore word by Han T. cross , University of California Press , 1991 .

16 - Tadeusz Sadowski , the Law of Roaring Trade in the polish peoples Republic .

17 - Aruther Bliss Lane I saw Poland betrayed : an American ambassador

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

reports to the American people , Indianapolis , 1948 .

18 - Neal pease , Poland , the united states , and the stabilization of Europe , 1919 – 1933 , oxford university press , 1986 .

19 – George H. Janczewski , the Origin of the Lublin Government , the Slavonic and East European Review , vol. 50 , No. 120 , 1972 .

20 - Stanley J . zyzniewski , Soviet tutelage and the polish Economy from 1945 to 1956 , 1he polish Review , vol . 4 , No . 3 , 1959 .

21 -Nikolay Bukharin , Relations between the soviet Union and the polish peoples Republic (1944 – 1989) , journal (voprosy istoriyi) in Russian , No . 10 , 2007 .

22 – Mark Harrison , the Soviet Union after 1945 : Economic Recovery and political Repression , University of warwick , UK , 2010 .

23 – Priscilla Mary Robert , Spencer C. Tucker , world War I : Encyclopedia , vol. 1 , ABC- CLIO , 2005 .

24 - Sheldon Robert Ander son , " A dollar to Poland is a dollar to Russia " : United States Economic policy towards Poland , 1945 – 1952 , (PH , D A thesis submitted , the University of Minnesota , 1989 .

25 – Stanislaw Mikolajczk , the Rape of Poland (pattern of Soviet Aggression , Whittlesey house Mc Graw – Hill Book company , Inc . New York printed in the U. S. A , 1948 .

26 – Adam Kuerbitz , the polish Loan in U.S.post War foreign policy (1945 – 1947) , senior thesis form Department of history , 2012 (not publishing) .

27 – www. Bretton woods project. Org .

28 – www. Tshaoline . org .

29 – www. Zam . resman .

30 – www. Britannica. Com .

31 – www. Pl. m. Wikipedia. Org .

32 – www. Law . Uj. Edu . pl .

33 – Obituaries , Donald's . Gilpatric , the New york times (14, February , 1989)

34- Bigoraphie – Rajchman webext . Pasteur. Fr .

35 – Ognisko Polskie – The Polish Hearth. Org. uk .

36 – www. Hoover . org .

37 – www. Poets . org / poetsorg/poet/czeslaw-milosz.

38- Anne T. Keene , Irivg Brant , American National Biography online , 2005 .

39 – http : // www . alsafwa .books.co.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عرض مؤتمرات الاتحاد الدولي للمؤرخين

المؤتمر الدولي تحت عنوان

قراءات في المدارس الفكرية التاريخية العالمية

دراسات فكرية وتحليلية مقارنة

الاستاذ المساعد الدكتورة وفاء نعيم
استاذ علم الاجتماع المساعد بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية – مصر
مستشار الأمين العام للاتحاج الدولى للمؤرخين

عقد المؤتمر الدولى فى دورته التاسعة للاتحاد الدولى للمؤرخين (للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية) وبمشاركة من جامعة الفراتين العالمية بتركيا وجامعة سيدي محمد بن عبدالله بفاس / المغرب عقد في اسطنبول خلال الفترة ٢٠-٢١ اب اغسطس ٢٠١٩، تحت عنوان قراءات في المدارس الفكرية التاريخية العالمية .. دراسات فكرية وتحليلية مقارنة ، بحضور باحثين من العراق والمغرب والجزائر ولبنان والاردن وتركيا.

فكرة المؤتمر

قام المؤتمر فكرة البحث فى ميادين الفكر التاريخى والمدارس الفكرية التاريخية العالمية من أجل الارتقاء بدور المؤرخين ، والمساهمة فى نشر الوعى والثقافة والعلوم وامتلاك فكمر ثاقب من خلاله تتحدد الرؤى والقراءات لدراسة التاريخ بوصفه المؤهل للإجابة والتفسير والوصف الدقيق واستخلاص الدروس وإيجاد الحلول .

وتسهم القراءات فى الفكر التاريخى العالمى ودراسة التجارب الفكرية التاريخية للشعوب والأمم وتسهم فى تحقيق نضج وامتلاك الرؤيا العلمية السليمة فى التفكير والتشخيص ، فضلا عن أن كثير من دول الشرق الأوسط التى تعد المنطقة الأكثر أهمية فى العالم فهى منطقة الصراع والأزمات عاشت فيها شعوبها تطورات كثيرة وخطيرة ، ويعد المؤرخ فيها اكثر حاجة إلى قراءات تاريخية جديدة وبحاجة إلى اطر جديدة فهو يبحث عن الأولويات والمشتركات والاجابات والحلول.

وتعد المرحلة التاريخية الراهنة مرحلة مفصلية حيث تشهد انقسامات وعدم استقرار يفرض على المؤرخين التفكير بوضع إطار مدارس فكرية تاريخية تنطلق من دراسة العهد الفكرى الفلسفى والتاريخى العالمى ودراسة النتاج التاريخى الحديث والمعاصر، فضلا عن قراءة المدارس الفكرية العالمية فى مجال الفكر التاريخى ، وإجراء دراسات مقارنة بين مناهج الفكر التاريخى العالمى بهدف وضع اطار فكرى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينطلق من خلاله منهج بحث تاريخى توظف له طاقات وخبرات المؤسسات العلمية والجهود والدعوات السابقة فى ميدان تأسيس المدارس الفكرية التاريخية على الصعيد الوطنى والعربى .

أهداف المؤتمر

سعى هذا المؤتمر إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- زيادة مساحة البحث وفرصة إغناء الفكر العلمى لتقديم الافكار والأبحاث والرؤى .
٢- فرصة اللقاء بين المؤرخين والباحثين فى مختلف الحلول .
٣- تقديم قراءات وأفكار جديدة فى الفكر التاريخى والمدارس الفكرية التاريخية .
٤- وضع اطار فكرى نظرى لمدرسة فكرية تاريخية عربية .
٥- تحديد الأولويات فى البحث والاجابة عن التساؤلات والكشف عن الأسباب وراء الإخفاق والتخلف .
٦- البحث فى تطوير منهج البحث التاريخى وعلم التاريخ .
٧- تعزيز وتأكيد دور المؤرخين فى خلق الوعى ورسم مستوى الفكر ومسار الثقافة فى المجتمع.

وقدمت في هذا المؤتمر نحو ٢٢ ورقة بحثية علمية غطت محاور متعددة من موضوع المؤتمر، وقد توزعت جلسات المؤتمر على أربعة جلسات علمية بالإضافة إلى الجحلسة الإفتتاحية وجلسة الحوار وجلسة البيان الختامى لوقائع المؤتمر فقد بدأت الجلسة الافتتاحية بكلمة الامين العام للاتحاد الدولي للمؤرخين الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني، وكلمة الامين العام لجامعة الفراتين الدكتور لقمان يوسف الموسوي وكلمة ممثل جامعة سيدي محمد بن عبدالله الدكتور لحسن اوري وكلمة المشاركين القاها الدكتور صباح الفتلاوي ، وانتهت جلسة الافتتاح بتوزيع دروع تكريم للمؤسسات المشاركة.

أما الجلسات العلمية للمؤتمر فقد توزعت الجلسات على أربعة محاور على النحو التالى :

المحور الأول: الفكر التاريخى العراقى

وقد تناول هذا المحور بعض الموضوعات المتمثلة فى المدارس التاريخية فى الفكر الغربى : الأصول والامتدادات ، توظيف التطور التكنولوجى والمعلوميات للنهوض بالبحث التاريخى ، أهمية المعرفة التاريخية فى كتابة التاريخ ، دراسة النقود كأداة تاريخية ، ومفهوم التاريخ فى ظل المدرسة الوضعانية الألمانية ومدرسة الحوليات الفرنسية .

المحور الثانى : دراسات فى الفكر التاريخى والمدارس الفكرية

وقد عرض هذا المحور لعدة موضوعات تحددت فى : قراءات وأفكار فى حقل المهتمين بالمخطوطات والتراث ، المؤرخين الرواد ودورهم فى تأصيل حركة البحث التاريخى ، قراءة فى رواد المنهج العلمى التاريخى فى تدوين الأحداث العراقية ١٩٢١-١٩٥٨، اثر التاريخ والوعى التاريخى فى صياغة الهوية الوطنية العراقية وسبل الارتقاء بها ، التنوع الدينى والمذهبى فى العراق وأثره فى بناء الدولة بعد عام ٢٠٠٣، قراءات فى المدارس الفكرية والتاريخية ودعوة لوضع مدرسة فكرية تاريخية عراقية ، المدرسة التاريخية العراقية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واسهاماتها فى تطوير مناهج المؤرخين ، دراسة مناهج التاريخ عن المؤرخين الرواد فى العصر الحديث.

المحور الثالث : دراسات فى الفكر التاريخى لدول المغرب العربى

وقد تناول هذا المحور الموضوعات التالية : إكراهات الكتابة التاريخية وسبل تخطيها : التجربة المغربية نموذجات ، الصورة التاريخية للمثقف المغربى التقليدى محمد بن جعفر الكنانى ، المدرسة الكولونيالية الفرنسية ودورها فى كتابة تاريخ الجزائر ، المدرسة التاريخية الجزائرية تاريخ وافاق وتحديات .

المحور الربع : الدراسات فى الفكر التاريخى العربى والدينى

وقد تناول هذا المحور القضايا التالية : دور حسونة النواوى الاصلاحى فى الأزهر الشريف ، قراءة مقارنة حول أزمة حدوث العالم وقدمه ، المدارس الفكرية المسيحية وأثرها فى الفكر التاريخى العربى : قراءة جديدة فى منهج المؤرخين الرواد السريان ، الدين وتشكيل الرأى العام المغول نموذجا ، عقيدة الخلاص فى الفكر الاصولى الأوروبى واثرها على الشرق ، مقاربة واقعية حول تدريس مواد التاريخ فى المؤسسات العربية ، قراءة فى وصف أسباب تردى الفكر العربى المعاصر وإيجاد رؤية فكرية للحل .

وقد انتهت الجلسات العلمية بعقد جلسة حواريه شاملة ادارها الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني بصحبة نخبة من الباحثين ثم تلي البيان الختامي الذي اعدته لجنة علمية تراسها الدكتور لحسن اوري.

وقد خلص المؤتمر فى بيانه الختامى إلى عدد من القراءات والتوصيات التالية:

- دعم دعوة ومسعى الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني الذي سعى لنشرها والترويج لها خلال السنوات الثلاث الماضية باقامة مدرسة فكرية تاريخية تضع اطار للفكر والتفكير وتحدد الاولويات وطريقة البحث ومنهجيته وتضع يدها على مكامن الضعف وتشخص الواقع العراقي تشخيصا دقيقا وتحدد سبل الحل وطريقة التفكير، وبالتالي يدعم المؤتمر فكرة عقد مؤتمر دولي المدرسة الفكرية التاريخية العراقية.
- يؤكد المجتمعون في هذا المؤتمر على اعطاء مساحة واسعة من الاهتمام للدراسات التي تعني بالفكر التاريخي، ومتابعة افكار واتجاهات المدارس الفكرية التاريخية العالمية، فضلا متابعة البحث في الفكر التاريخي العربي.
- يوصي المؤتمر بحث الباحثين والمؤرخين اعتماد المنهجية التي يراها مناسبة للبحث في مجال العلوم الانسانية والتي تنسجم مع المنهجيات العالمية المعتمدة ووفق للمعايرر الدولية.
- يتبنى المؤتمر ويحث على عقد مؤتمرات دولية فكرية تاريخية في الفكر التاريخي العربي ودراسة حصيلة النتاج العلمي للمؤرخين العرب الرواد وتحديد هوية واطار لفكر تاريخي عربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- يوصي المشاركون بضرورة دعم الاتحاد الدولي للمؤرخين ومن خلال شراكته العلمية مع المؤسسات الاكاديمية بوصفة مؤسسة فكرية علمية تحمل اهدافا انسانية تعزز التعايش والسلام وتنشر الوعي والثقافة وتعمل في اطار اهداف اليونسكو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner